محمدابراهيم مصطفى
أبو إسلام

لِلشُّرَفَاءِ فَقَطْ !!..

(مجموعة قصصية)

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى - القاهرة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

تُطْلَبُ الْكُتُبُ مِنْ مَكْتَبَة وَهْبَه ١٤ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة

تليفون - ٣٩١٧٤٧٠

أو من المؤلف : ١٧ س عبد العزيز جاويش - المهندسين ت ٣٠٢٨٣٨٩ - ٣٠٥٢٤١٦ موبايل : ٠١٠١٤٦٧٠٣٩

(الغلاف من تصميم : مهندس / علاء الدين محمد ابراهيم)

الإهـــداء

إلى الشرفاء الذين يشعرون في وطنهم بأنهم غرباء !!..

وإلى مَنْ يقاومون سطوة البيروقراطية والروتين العقيم وما يسبّبه من عناء !!.

وإلى الذين يؤثرون على أنفسهم مهما لاقوْا في سبيل ذلك من شقاء .

وإلى الذين يُخْلصُون لمجتمعهم وأُسَرهِمْ ويتمنون للجميع السعادة والهناء !!..

وإلى مَنْ يزرعون في الصدور حب الوطن ، والإحساس بالولاء والانتماء !!..

وإلى الذين يحفظون أسرار بيوتهم بعيدًا عن الفضوليين والدخلاء !!..

وإلى الذين يصرخون بالحق فتضيع صرخاتُهم في الهواء !!..

وإلى الكادحين الذين يسقطون فريسةً للمرض ولا يجدون الدواء !!..

وإلى المصلحين الذين ينادون بالإصلاح ، فلا يُسْمَعُ لهم نداء !!..

وإلى الذين يبحثون في نور الشمس لعلهم يعثرون على الأوفياء !!..

إلى كل هؤلاء .. أُهْدي هذه المجموعة من القصص ..

لعلهم يجدون فيها من العظات ، ما يُعْتَبَرُ لهم راحة وشفاء !!..

محمد ابراهيم مصطفى

أبو إسلام



المقدمة

كثير من الشرفاء في هذا الزمان ، يعانون أشد المعاناة ، لمحاولاتهم تنبيه الغافلين عن جادة الصواب ، وكم يشعرون بالحزن والأسى ، لأن المسئولين لا يستجيبون لنصحهم ، ولا يسمعون لقولهم .. وكم من أبرياء يُظْلَمُونَ !!.. وكم من أصحّاء يمرضون !!.. وكم من شهداء الحق يسقطون !!.. وكم من الأزواج ينفصلون !!.. وكم من الأطفال يُشَرَّدُون !!.. وكم من العقلاء بالجنون يُصابون !!.. وأُولُو الأمر عن كل ذلك غافلون .. ورجال الدين عن الدعوة الحقيقية بعيدون !!.والمصلحون عن تصحيح المسار عاجزون !!..

وإنني كواحد من الذين عانوْا كثيرًا ، وطالبوا بتصحيح المسار في كثير من الأمور ، ووجدوا آذانًا صمَّاء لا تسمع ولا تعي ، ورأى الشرفاء يُضطهدون ، ورأى الأزواج لقدسية الحياة الزوجية لا يفهمون ، وعلى أسرار بيوتهم لا يحافظون ، ولحقوق الأطفال لا يراعون .. عندما وجدتُ أنه لا فائدة من الصراخ ، ولا سميع ولا مجيب .. رأيتُ أن أُترجم دعوتي ونصيحتي في هذه القصص التي أُقدمها للقرّاء في هذا الكتاب ، لعل الآذان الصمّاء تُشْفَى من الصمم ، ولعل العقول تُبْعَثُ من العدم .. راجيًا الله تعالى أن يوفق القرّاء الأعزّاء إلى استنباط ما وراء هذه القصص من دروس وعِبَر ، وأن يعيدوا حساباتهم قبل أن يستفحل الضرر ..

فلْنُصْلِحْ ما أفسده المفسدون في هذا الزمان .. قبل أن يَعِزَّ العلاج ، ويفوت الأوان !!..

محمد ابراهيم مصطفى

أبو إسلام

للشرفاء ... فقط !!..

إنه الدكتور أحمد ابراهيم ، أحد أساتذة كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة ، الذي رفض أكثر من مرة العمل خارج مصر ، رغم الفرص العديدة التي أُتيحت له للسفر إلى بعض الدول العربية في إعارة أو عن طريق التعاقد ، وكم حاول زملاؤه وأصدقاؤه بل وأفراد أسرته أن يقنعوه بالسفر ولو لفترة محدودة للخارج حتى يحسِّن مستوى معيشة أسرته ، خاصةً وأن له بعض الأبناء والبنات ما زالوا يدرسون في المدارس والكليات ، ولكنه كان دائمًا يرفض مبدأ السفر ، بحجة أنه يُفَضِّلُ أن يؤدي رسالته وواجبه نحو أبناء بلده ، وأن الشباب الذين يدرس لهم في حاجة إليه أكثر مما هو في حاجة إلى المال ، وأن المبادئ عنده أفضل من أموال الدنيا كلها ..

وحدث ذات مرة أن عرض عليه زميل له فرصة السفر معه إلى لندن للعمل في مؤسسة اقتصادية هناك ، وحاول أن يقنعه بأن السفر لا يتعارض مع الوطنية أو المبدأ ، بل إن الدِّين نفسه يأمر الناس بالهجرة في بعض الأحوال .. ولكن الدكتور أحمد لم يقتنع ، وتمنى لزميله التوفيق ، وقال : إن لكل إنسان وجهة نظر ، يتصرف في حياته على أساسها ، وسافر زميله الدكتور سالم ، وطلب منه أن يتصل به إن غيّر رأيه .. أما الدكتور أحمد ، فإن المبدأ الذي كان يؤمن به يفرض عليه ألاّ يترك بلده وهو يرى الشباب يمرّ بمرحلة من أصعب وأدق وأخطر المراحل التي تمرّ بها بلاده ، فهو يعتقد أن هناك مؤامرات خطيرة تُدبَّرُ وتُمارسُ فعلاً للقضاء على شباب البلد ، بهدف القضاء على القوة القادرة على حَمْلِ الأمانة ، ودَفْعِ عجلة الإنتاج ، وذلك بإيقاع الشباب فريسة للجنس والمخدرات وتكوين العصابات ، وتشجيعهم على الهجرة وتَرْكِ البلاد .

حتى لا يبقى في الصورة إلاّ العجزة والشيوخ والنساء .. وحتى الأطفال الذين ينتظرون دورهم للسقوط في شباك هذه المؤامرات .

وظل الدكتور أحمد يحمل على عاتقه مسئولية التوعية الفكرية في الجامعة ، ويخطب في الندوات ، ويكتب في بعض الجرائد والمجلات .. وكان يسهر كثيرًا في بيته لِيُعدَّ المحاضرات والخطب والمقالات ، وظل كذلك حتى بدأ يظهر عليه الإرهاق، وبدأ يشعر بآلام المرض ، دون أن يهتم بصحته .. واشتد عليه الألم ، وبدأ يتعرّض لبعض حالات الإغماء التي فاجأته إحداها وهو يحاضر في إحدى الندوات ، فأخذه زملاؤه إلى بيته ، وأحضروا له الطبيب ، الذي صمم على ضرورة ذهابه إلى المستشفى فورًا لإجراء بعض الفحوص والتحاليل الطبية اللازمة .

وذهبوا به إلى أحد المستشفيات الاستثمارية الذي طلب المسئولون فيه دَفْعَ مبلغ ألف جنيه مقدَّمًا تحت الحساب قبل إجراء أية فحوص أو تحاليل .. ودفع زملاؤه المبلغ الذي جمعوه من بعضهم ، لينقذوا زميلهم ، وأُجريت له الفحوص والتحاليل اللازمة .. وأخيرًا قرّر الأطباء أن لديه ورمًا سرطانيًا في الكبد ، ونصحوا بسفره إلى لندن ، لعرض حالته على الأطباء هناك .

وخرج الدكتور أحمد من المستشفى إلى بيته لأنه لا يقوى على تكاليف الإقامة في المستشفى الاستثماري ، ولجأ إلى مستشفيات التأمين الصحي باعتباره موظفًا له حق الرعاية الصحية المجانية .. وطلب من المسئولين في التأمين الصحي مساعدته للعلاج في لندن كما نصح الأطباء .. ولما اجتمعت اللجنة الطبية المختصة في هيئة التأمين الصحي ، رأت أن الحالة لا تستدعي السفر للعلاج في الخارج ، وأنه يمكن متابعة الحالة في مصر .

وفشلت جميع محاولات الدكتور أحمد ومحاولات زملائه في إقناع المسئولين في التأمين الصحي ،وأخيرًا اضطر زملاؤه إلى جمع التبرعات منهم ومن الطلاّب المحبين له . واتفقوا مع زوجته على إبلاغه بأن السفر سيكون على نفقة الدولة . لأنه لو علم

بفكرة التبرعات ربما رفض السفر ، فهم يعرفون طباعه ومبادئه .. وفعلاً أبلغوه بما اتفقوا عليه .. وتولّى زملاؤه إجراءات سفره ، وسافر الدكتور أحمد ترافقه زوجته ، السيدة سهير .

وفي المستشفى في لندن بدأت على الفور الفحوص والتحاليل الطبية اللازمة ، وقرّر الأطباء الإنجليز ضرورة زراعة كبد كامل جديد ، واستئصال الورم السرطاني وضرورة تغيير دم المريض بالكامل ، للقضاء على فيروس الكبد ..

وعرف الدكتور أحمد أن العملية تتكلف مائة ألف جنيه استرليني .. وأرسلت الزوجة قرار الأطباء الإنجليز إلى هيئة التأمين الصحي بالقاهرة ، واتصلت تليفونيًا بزملاء زوجها لمتابعة الموضوع للحصول على موافقة التأمين الصحي لتمويل عملية زرع الكبد الجديد وتغيير الدم .

وبعد اجتماعات ومشاورات وإجراءات روتينية عقيمة ، رفض المسئولون بالتأمين الصحي قرار الأطباء الإنجيز المعالجين .. وكان قرار اللجنة الطبية بالتأمين الصحي هو عدم الموافقة على إجراء العملية لارتفاع تكاليفها ، وعدم جدواها ، بحجة أن مثل هذه العمليات ما زالت تحت الاختبار وطلبوا من الدكتور أحمد المريض العودة إلى مصر .. ولكن زوجته رفضت عودته إلى مصر قبل إجراء العملية .

وبينما كانت تسير في أحد ممرات المستشفى وهي غارقة في التفكير في هذه المحنة ، وقعت عيناها على شخص دُهشَتْ عندما رأته ، وتوقفت أمامه تسترجع ذاكرتها لتتذكّر أين رأته من قبل.. ولم تكن دهشتها أقل من دهشته ، إذ وقف هو الآخر ينظر إليها مشدوهًا .. وبعد أن تذكّرها بادرها بسؤاله : مدام سهير ، زوجة الدكتور أحمد؟!!.. فردّت عليه : نعم ، وأنت الدكتور سالم ، أليس كذلك ؟!!.. فأجابَها : نعم، أنا الدكتور سالم ، ولكن ، ماذا تفعلين هنا ؟ وأين الدكتور أحمد ؟!!..

وهنا عزّت عليها نفسها فبكت ، وحاولت أن تستند إلى الحائط وكأنها على وشك الانهيار .. فأخذها الدكتور سالم وأجلسها على أحد المقاعد حيث هدأها ، وأتى

لها بكوب من الماء .. وبعد أن شربت ، وهدأت قليلاً سألها عما في الأمر ، فرَوَتْ له القصة من بدايتها .. ولقد تأثّر الدكتور سالم جدًا لما حدث لزميله الدكتور أحمد ، وقال مُعلّقًا إنه حاول كثيرًا أن يقنعه بالسفر والاهتمام بشئونه وشئون أسرته ، ولكنه كان عنيدًا .. وقال : إن البيروقراطية والروتين العقيم الذي مازال يتمسك به بعض المسئولين في مصر هو الذي يعوق التقدّم والتطوّر ، وهو الذي يدفع بأصحاب الكفاءات والأفكار الجديدة ، إلى الهرب والهجرة إلى خارج مصر ، مما قتل الإحساس بالولاء والانتماء في صدور الكثيرين من شباب مصر ، الذين فقدوا الأمل في مستقبل آمن لهم ، فانحصرت أحلامهم في السفر إلى أوروبا وأمريكا بحثًا عن الأمل المفقود في وطنهم ولو علم المسئولون الغيورون في مصر ما يحققه المصريون في الخارج من نجاح . وما يساهمون به في تقدّم الدول الأجنبية ، لقاموا بثورة على أقطاب البيروقراطية وأصنام الروتين العقيم والمتخلفين في الفكر والإحساس !!..

وطلب الدكتور سالم من السيدة سهير أن تذهب به إلى حجرة الدكتور أحمد .. وأثناء سيرهما ، طلبَتْ السيدة سهير منه ألاّ يخبر الدكتور أحمد بموضوع تبرعات زملائه في عملية سفره ، لأنه يعلم أن ذلك قد تم على نفقة الدولة .. ووصلا إلى حجرة الدكتور أحمد ، وكانت مفاجأة سارة ، حيث تعانق الزميلان .. وجلس الدكتور سالم إلى جانب زميله ، يتبادلان الأحاديث ويسردان الذكريات ..

وأثناء الحديث ، وجّه الدكتور سالم اللوم إلى زميله لإرهاق نفسه في العمل ، والإصرار على عدم السفر إلى خارج مصر ، وأنه لو كان قد عمل بنصيحته لكان له شأن كبير هنا !!.. فابتسم الدكتور أحمد وقال : ألا ترى أن مصر لا تتخلّى عن أبنائها الشرفاء في أوقات المحن ؟.. وهأنذا في محنتي المرضية ، لم تتخلّ عني مصر الوطن ومصر الدولة .. وإن كان بعض المسئولين فيها ليسوا على مستوى المسئولية ، فهذا ليس عيب مصر الوطن ، ولا مصر الدولة ، وإنما هو عيب يشترك فيه الآباء والأمهات ، والمعلمون في المدارس والكليات ، وكذلك القائمون على وسائل الإعلام.. فلو أن

هؤلاء جميعًا أدَّوْا واجبهم بما يُرْضِي الله ، لما كان هذا الجمود والتخلف .. ومن هنا يأتي دورنا في توعية الشباب ، وعلى كل الشرفاء من أبناء مصرأن يتعاونوا لإنقاذ المجتمع المصري مما يُحاكُ ضدّه من مؤامرات .. لابد أن يعلم المصريون جميعًا أن مصر مُسْتَهْدَفَة ، وأن أعداءها يُسَخِّرُون كل إمكاناتهم للنَيْلِ ، منها ونَشْرِ الفساد بين شبابها ، ومحو الصفحات الناصعة من تاريخها، وطمس معالم البطولة والفداء ، وكفاح الأبطال والشهداء الذين ناضلوا للدفاع عن وطنهم .. ولابد أن يعرف شباب اليوم كل هذه الحقائق ، حتى يستطيع أن يُصَحِّحَ الأوْضاع المقلوبة ..

ولاحظ الدكتور سالم أن الدكتور أحمد يتحدّث بانفعال ، وكأنه يُحاضر في ندوة وطنية ، ونسى أنه مريض ويرقد على سرير في مستشفى بلندن للعلاج ، وتبادل الدكتور سالم وزوجة الدكتور أحمد النظرات ، وكأنهما يريدان أن يُسْكِتَاه ، فبادر الدكتور سالم بقوله : على أي حال ، إن شاء الله ، بعد عودتك بسلام الله إلى مصر تستأنف نشاطك ، ونسأل الله أن يُوفق الجميع إلى إصلاح الأحوال .. ثم حاول أن يُحَوِّلَ مجرى الحديث ، فقال : أُحب أن أُطمئنك إلى أن الأطباء هنا ماهرون ، وقد أجروا كثيرًا من مثل هذه العمليات بنجاح ، وإن شاء الله قريبًا جدًا نُهنئك بنجاح العملية ، وتعود إلى مصر سالمًا بإذن الله .. ثم استأذن لينصرف على أن يعود لزيارة زميله غدًا إن شاء الله .

وعندما همّ بالخروج أشار لزوجة الدكتور أحمد لتلحق به خارج الحجرة ، فخرجت وراءه .. وتوقفا في الممر ، وقال الدكتور سالم : أرأيْتِ ؟!.. لا فائدة من محاولات تغيير أفكاره !!.. وسألها عما يمكن أن يقوم به للمساعدة في هذه الظروف .. فأخبرته بأنها تَوَدُّ مقابلة السفير المصري في لندن ، لعله يساعدها في مشكلة التأمين الصحي الذي يرفض الموافقة على علاج الدكتور أحمد في لندن ، فوعدها بمحاولة الاتصال بالسفير المصري ، وأعطاها " كارت " به عنوانه ورقم تليفونه لكي تتصل به

عند الحاجة ، ثم انصرف ، وعادت هي إلى حجرة زوجها ، الذي سألها إن كان رد التأمين الصحي قد وصل أم لا .. فأخبرته أنها ما زالت تنتظر لعل الرد يصل قريبًا !!..

وفي اليوم التالي ، اتصل بها الدكتور سالم وأخبرها بأنه وُفِّقَ في الاتصال بالسفير المصري ، وحصل على موعد لمقابلته اليوم الساعة الخامسة مساء ، وأنه سيمرّ عليها في الساعة الرابعة والنصف .

وأمام باب المستشفى كانت في انتظار الدكتور سالم الذي وصل في موعده ، وركبت معه حيث ذهبا معًا ، والتقيا بالسفير المصري الذي رحّب بهما .. وشرحَتْ له القصة كلها ، فأبدى السفير استياءه مما حدث من سلبيات التأمين الصحي ، ووعدهما ببذل مساعيه والاتصال بوزير الصحة المصري ، والاتصال بها ليخبرها بالنتيجة ، كما وعد بزيارة الدكتور أحمد في المستشفى .. وشكرته هي والدكتور سالم على اهتمامه ، وخرجا معًا ولديهما إحساس كبير في أن يُوَفَّقَ السفير المصري في هذه المهمة .

وبعد ثلاثة أيام أخبر الدكتور سالم السيدة سهير بأنه علم من السفارة المصرية في لندن أن مساعي السفير المصري أسفرت عن أن الدولة سوف تساهم في تكاليف العلاج بمبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني ، كمساهمة في شراء الدواء المانع لرفض الجسم للكبد المزروع ، وسداد الفواتير المتأخرة ، ولكن السيدة سهير شعرت بصدمة فلم تكن تتوقع أن تُسْفِرَ مساعي السفير المصري عن هذا الجزء اليسير من مساهمة الدولة .. وظلت تتساءل : كيف لهم أن يحصلوا على بقية المبالغ اللازمة للعملية والعلاج ؟؟.. وكانت هذه الأحاسيس والصراعات النفسية ، تشعرها بالتمزق من الداخل .. وكأن في داخلها صرخات مكتومة لا تستطيع أن تُطْلِقَهَا وتتمنى لو تستطيع أن تصرخها بأعلى صوتها في سماء مصر ، ليسمعها جميع المصريين : أهكذا يكون مصير الشرفاء من أبناء مصر ، الذين يُعطون وطنهم كل ما يملكون من عطاء ؟!.. ويضحون بوقتهم ومالهم وصحتهم .. وبعد أن يقعوا فريسة للمرض لا يجدون الوفاء .. بينما لو مرض أحد لاعبي الكرة ، أو أحد الممثلين أو المطربين ، نجد القرارات السريعة التي

تصدر بسفره للعلاج في الخارج على نفقة الدولة ، رغم أن أيًا منهم ليس في حاجة إلى عون مادّي لما يملكونه من ثروات تغنيهم عن مساعدة الدولة !!. هل هذا عدل ؟؟!!..

وكانت بينها وبين نفسها ، تُلْقي اللوم على زوجها الذي لم يستجب لواقع الحياة ، وأنه لو كان قد قبل فرصة من الفرص المتكررة التي أُتيحت له للعمل خارج مصر ، لما كان هذا المأزق الحرج ، ولما اضطرتْهم الظروف إلى اللجوء إلى التأمين الصحي وتعقيداته البيروقراطية والروتينية.

كانت السيدة حرم الدكتور سالم تلازِم السيدة سهير في معظم الأوقات ، وسمعتها تقول لابنها في مكالمة تليفونية أن يأخذ جميع مصوغاتِها الموجودة في دولاب حجرة النوم ، ليبيعها ، ويبيع كل ما يمكن بيعه ، ليرسل ما يجمعه ، كما ذكَرَتْ له أن يطلب من خاله أن يتصرّف في نصيبها من البيت الذي ورثته مع أخيها من أبيهما ... وتأثرَتْ السيدة زوجة الدكتور سالم لما رأته وسمعته ، وأبلغَتْ زوجها بما سمعته ... فاتصل ببعض أصدقائه من المصريين العاملين في لندن ، والتقى بأربعة منهم ، وعرض عليهم المشكلة ، واقترح عليهم أن يساهموا معًا في المشاركة في تكاليف العملية والعلاج للدكتور أحمد ، على ألاّ يُشْعِرُوه بمساهمتهم ، بل سيجعلونه يعتقد أن كل شيء سيتم على نفقة الدولة ، حتى لا يُصاب بإحباط ويأس ، لأنه يؤمن بواجبه نحو بلده ، ويعتقد أن بلده لن يتخلّى عنه في محنته مع المرض ، ووافق الجميع على الاقتراح وفعلاً أخرج أحدهم دفتر الشيكات ، وحرّر شيكًا بمبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني ، ثم تبعه الثلاثة الآخرون ، وفعلوا نفس الشيء ، وحرّر كل منهم شيكًا بمبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني ، ثم حرّر الدكتور سالم شيكًا بمبلغ عشرين ألف جنيه ، فأصبحت الحصيلة ستين ألف جنيه استرليني.. وعلّق أحدهم على الموقف بقوله : أهكذا يكون مصير الشرفاء في مصر ؟!.. ويقول آخر : بعد أن يُعْطُوا شبابهم وصحتهم لبلدهم ، لا يجدون من يقول لمن يمرض : سلامتك !!.. ويقول الثالث: بينما هناك الكثيرون ممن يسافرون خارج مصر تحت مسميات مختلفة ، وتُرْصَدُ لهم الميزانيات الضخمة ، وأمام

هؤلاء تختفي اللوائح والقوانين ، ويُصاب الروتين بالخرس . وليس لأحد أن يعترض ..
ويقول الرابع : لو أن مطربًا من مطربي الدرجة الثانية شكا يومًا من ألم في حنجرته ، وأراد أن يُعالَجَ في الخارج ، لتكفّلت الدولة بدفع تكاليف علاجه ، رغم أنه في غنىً عن مساعدة الدولة بما لديه من إمكانيات مادّية هائلة ، وكأن ألم حنجرته سيسبب أزمة للأمن القومي في البلاد !!.. أما أستاذ الجامعة ، الذي يُرَبِّي الشباب ، ويغرس فيهم الإحساس بالولاء والانتماء للبلد ، فهو لا يستحق عَوْنَ الدولة عندما يسقط ضحية للمرض ، أليس هذا هو الظلم بعينه ؟! وكيف يكون الانطباع لدى الطلاّب الذين يَرَوْنَ أُستاذهم يصارع المرض دون أن تمتد إليه يدالدولة بالرعاية اللازمة ؟؟!!.. لا حول ولا قوة إلاّ بالله !!.. لَكِ الله يا مصر !!..

وهنا يقول الدكتور سالم : وهذا ما يُفَسِّرُ أسباب ظاهرة تَهافت الشباب المصري على محاولات الهجرة إلى الخارج .. لقد آن الأوان لتغيير كثير من المفاهيم السائدة في مصر ، وإعادة النظر في كثير من السلوكيات التي تعوق التقدّم والتطوّر .. ويقول أحدهم غاضبًا : لقد بُحَّتِ الأصوات التي تنادي بحتمية التغيير في الفكر والسلوك ، ولكن المشكلة في الآذان التي لا تُصْغِي لهذه الأصوات .. فيقول آخر : فعلاً ، لَكِ الله يا مصر !!..

وفي اليوم التالي ، ذهب الدكتور سالم ومعه أصدقاؤه المصريون الذين تبرعوا للمساهمة في علاج ابن بلدهم ، الدكتور أحمد ، ذهبوا إلى المستشفى لزيارته .. وقدّمهم له الدكتور سالم قائلاً : هؤلاء بعض أولاد بلدك جاءوا ليطمئنوا عليك .. فنظر إليهم الدكتور أحمد ، ثم بكى ، واشتد بكاؤه ، ودُهش الدكتور سالم ، واستبد به القلق ، وقال : ماذا حدث ؟!.. لماذا تبكي ؟!.. فجفف الدكتور أحمد دموعه ثم قال : هذه دموع السعادة .. السعادة التي أشعر بها وأنا أرى أبناء بلدي حولي ، جاءوا ليطمئنوا عليّ، وهنا أقبلوا عليه يُقَبِّلونه ويحتضنونه ، وتسيل الدموع في أعين الجميع .. ثم نظر إلى زوجته التي كانت تجفف دموعها وقال لها : أرأيت يا سهير ؟ ألم أَقُلْ لَك

إن مصر بخير ؟!.. وهؤلاء أبناء مصر ، بأصالة مصر ، وشهامة مصر !!.. وعلّق الدكتور سالم قائلاً : إن مصر فعلاً بخير مادام فيها رجال شرفاء من أمثالك .. فقال الدكتور أحمد : المصريون كلهم شرفاء .. مهما حدث من سلبيات .

وقال الدكتور سالم : إن لديّ خبرًا سيسرّك كثيرًا .. إن الدولة ستتكفل بنفقات العملية والعلاج بالكامل .. وهنا ارتسمت علامات السعادة والارتياح على وجه الدكتور أحمد الذي نظر إلى زوجته وقال لها : أرأيت ؟!.. إن الدولة لم تتخلّ عني في محنتي ، ثم سرح بخاطره وكأنه يتذكّر بلده ، وتنهّد ثم قال : بارك الله فيكِ يا مصر .. بينما كانت ترتسم على وجه زوجته علامات الدهشة والحيرة ، وراحت تنظر إلى زوجها تارة ، وإلى الدكتور سالم تارة أخرى ، وكأنها تقول : ما هذا الذي قُلْتَه ؟!.. وهل هذا صحيح ؟!.. فنظر إليها الدكتور سالم وكأنه يقول لها : انتظري ، وستفهمين كل شيء بعد قليل .. واستأذن الدكتور سالم وقال إنه يريد أن يقابل الدكتور المعالج ليعرف منه موعد إجراء العملية ، وخرج من الحجرة ، فأسرعت السيدة سهير وراءه ، وأوقفته وسألته عن تفسير ما ذكره منذ لحظات للدكتور أحمد.. فاضطر أن يشرح لها أنه وأصدقاءه تبرّعوا بمبلغ ستين ألف جنيه استرليني مساهمة في تكاليف العلاج ، وأنهم فضّلوا عدم ذِكْر الحقيقة أمام الدكتور أحمد حتى لا تتأثر نفسيته ، فهم يعرفونه جيدًا ، وربما رفض إجراء العملية إذا عرف الحقيقة .. وطلب الدكتور سالم من السيدة سهير ألاّ تخبر زوجها بهذه الحقيقة إن كانت حريصة على إجراء العملية ونجاحها .. فوعدته بذلك ، وشكرته لما يقوم به من واجب .وذهبا معًا إلى مكتب الدكتور المعالج ، وعرفا منه أن العملية سيتم إجراؤها بعد ثلاثة أيام ، وسيزرع الطبيب للدكتور أحمد كبد فتاة إيرلندية .

وتابع الدكتور سالم نشاطه ، وتولّى مع زملائه عملية جمع المبالغ التي أمكن جمعها من تبرعات المصريين المقيمين في لندن ، بالإضافة إلى المبلغ الذي جمعته السيدة سهير

من حصيلة بيع مصوغاتها ونصيبها في ميراث والدها .. وتم تسديد جميع تكاليف العملية للمستشفى .

وفي اليوم المحدّد لإجراء العملية ، جاء الدكتور سالم ومعه أصدقاؤه المصريون الذين ساهموا في تكاليف العملية ، وقابلوا الدكتور أحمد وطمأنوه ، وأبلغوه بأن الطبيب المعالج ، دكتور جورج براون متفائل جدًا .. وأدمعت عينا الدكتور أحمد ، وأبلغهم بأنه ليس خائفًا من نتيجة العملية ، لأنه يؤمن بأن لكل أجل كتابًا ، وبأن الموت حق ، ولكن ما يقلقه هو مصير الأولاد والبنات إذا ما قُدِّر له أن يموت .. ونظر إلى زوجته وقال لها : أرجو أن تغفري لي أني لم أستجب لنصائحك بالسفر والعمل بالخارج ، والادخار لمثل هذا اليوم .. وعذري أنني كنتُ أرى أن مصر بلدي أولى بجهدي وكفاحي .. فأبناء مصر كلهم أبنائي .. ثم نظر إلى أصدقائه وقال : أرجو أن أكون قد قمتُ بواجبي نحو بلدي وأبناء بلدي بقدر ما منحني الله من قدرات .. فقال الدكتور سالم : لقد قمتَ بواجب لم يَقُمْ به كثيرون غيرك ممن لديهم القدرات والإمكانيات .. فاطمئن .. وثق بأننا جميعًا نحسدك على وطنيتك الجارفة .. وتأكّد بأن طلاّبك الذين غرَسْتَ فيهم المبادئ والقيم ، سيكونون صورة أخرى للدكتور أحمد ، المصري الأصيل ، بمبادئه وقيمه وأخلاقياته !!...

ولم تستطع زوجته أن تتكلم ، لأن دموعها عبّرت بما هو أبلغ من الكلام .. وفي هذه الأثناء ، دخلتْ ممرّضة ومعها عدّة برقيات سلّمتها للدكتور أحمد قائلة له : برقيات لك من القاهرة .. فأخذها وقرأ بعضها ، ثم غلبته دموعه فبكى ، وأجهش بالبكاء ، مما جعل الحاضرين ينتابُهم القلق والحيرة .. وإذا به يهدأ ويبتسم ، ثم يناول البرقيات للدكتور سالم ويبتسم ، ويقول في سعادة : اقرأوا هذه البرقيات ، لتعرفوا أن مصر مازالت بخير ، وأن شبابها مازال وفيا . فبدأ الدكتورسالم ومن معه يقرأون البرقيات . وإذا بها من بعض الأساتذة الزملاء بالجامعة وبعض الطلاّب . فهذه برقية

تقول : " أستاذنا الدكتور أحمد ، سلامتك سلامة لمصر .. أسرة مصطفى كامل " وبرقية أخرى تقول : " عُدْ إلينا بالسلامة أيها القائد ، لنكمل معًا مسيرة الخير والوفاء لمصرنا الحبيبة .. زملاؤك وطلابك " – وبرقية ثالثة تقول : " قلوبنا تُصلّي وندعو لك بالشفاء العاجل ، والعودة إلى طلاّبك ومحبيك" ، وبرقية رابعة تقول:حتى جدران المدرجات ومقاعدها تشاركنا الحنين إلى سماع صوتك وتوجيهاتك التي تنير لنا الطريق " اتحاد الطلاّب بالكلية " .

وبعد أن تبادلوا قراءة البرقيات ، حيث سالت دموع التأثر بهذا الحب الجارف والوفاء من أبناء مصر ، قال الدكتور سالم : فعلاً ، مازالت مصر بخير ، ومازال الكثيرون من شبابها بخير ، وستظل مصر إن شاء الله بخير ، مادام فيها أُناس أمثالك يؤمنون بها ، كما تفعل أنت !!..

وهنا تنهّد الدكتور أحمد بعمق ، ثم قال : الآن أستطيع أن أُواجه قَدَري وأنا سعيد .. ودَخَلَتْ ممرضة لتعلن أن الوقت قد حان لدخول الدكتور أحمد حجرة العمليات .. وجاء رجلان يجرّان " الترولِلي " ليحملا عليه المريض .. وقام الدكتور أحمد ، ورفض أن يحمله أحد ، وصعد بنفسه على"الترولِلي" ، ثم نزل عنه وقال : لا .. لن أرقد عليه .. بل سأمشي معكم حتى حجرة العمليات .. فأنا لا أشعر بأني مريض ، فتلك البرقيات قد ملأتني إحساسًا بالسعادة والرضى .. وأنا مستعد لإجراء العملية ، ومتوكّلٌ على الله .. وسار مع أصدقائه حتى حجرة العمليات .. وعند بابها تمنّى الجميع له نجاح العملية . ونظر الدكتور أحمد وقال لهم : أُوصيكم بمصر ، وأبناء مصر ، واحموها من أعدائها الذين يعيشون على أرضها ، فهم أخطر من أعدائها في الخارج .. ثم نظر إلى زوجته التي كانت تحاول التغلب على دموعها ، وقال لها : سامحيني يا سهير.. سامحيني إن كنتُ قد قصَرتُ في حقّك وحق الأولاد .. ثم وضع على جبينها قُبْلَةَ أودعها كل مشاعره ، وكأنه يُحمّلُها رسالةً لتبلّغها لأولاده وبناته .. ثم دخل على قدميه إلى حجرة العمليات ، وأُغلق بابُها وراءه .

وهنا كانت زوجته على وشك الانهيار .. ولحقها الدكتور سالم وزوجته وأصدقاؤه ، وأجلسوها على أحد المقاعد .. وظلّوا إلى جوارها يخففون عنها .. ولكنهم في الحقيقة كانوا جميعًا في غاية القلق . فالعملية واحدة من العمليات الكبيرة والحديثة .. وحاول الدكتور سالم إقناع السيدة سهير أن تذهب لتستريح بعض الوقت في حجرة زوجها ، لأن العملية ربما تستغرق ساعات طويلة ، ولكنها أبَتْ إلاّ أن تنتظر معهم .

ومضى الوقت ثقيلاً ، وكأن عقارب الساعة لا تتحرّك .. وكانوا جميعًا يتبادلون النظرات ، ويرفعون أبصارهم إلى السماء ، يدعون الله أن يشمل برحمته وعنايته صديقهم ، وأن تتم العملية بنجاح .. وكانوا يُشْفِقُونَ على السيدة سهير التي استبد بها القلق والخوف على زوجها ، وكانت عيناها تتجه معظم الوقت إلى السماء لتضرع وتتوسّل إلى الله أن يُعيد زوجها إليها وإلى أولاده سالمًا !!.. واقترح الدكتور سالم أن يسجدوا جميعًا على الأرض ، يسألون الله تعالى أن يُتمَّ الشفاء لصديقهم ، وسجدوا جميعًا لدقائق قليلة ، حيث لفتوا أنظار المارّين بجوارهم الذين كانوا يُبدون دهشتهم .. وبعد قيامهم من السجود رفع جميعهم أكفهم بالدعاء ، لعل الله تعالى يُحقق رجاءهم ويستجيب لدعائهم !!...

وظلوا منتظرين بجوار حجرة العمليات ، وأيديهم على قلوبهم ، حتى فُتحَ بابُ الحجرة ، فهبُّوا جميعًا واقفين ، وقلوبُهم مضطربة ، وعيونُهم على باب حجرة العمليات .. وبمجرد أن رأوا الطبيب يخرج من الباب حتى اندفعوا جميعًا في اتجاهه ، متلهّفين ومتشوقين لمعرفة نتيجة العملية .. وأحاطوا بالطبيب وعيونُهم على وجهه لعلهم يرَوْنَ في قسماته ما يُطمئنهم ، وتحمل نظراتُهم جميعًا تساؤلاً واحدًا لا تقوى ألسنتهم على النطق به ، وكان باديًا على الطبيب الارهاق ، ولكنه عندما رأى تلك العيون المحملقة ، والوجوه التي تحمل علامات الاستفهام ، ابتسم لهم ، ثم قال لهم بالإنجليزية ما معناه : الحمد لله .. فقد نجحت العملية .. وهنا صاح الجميع قائلين : الله

اكبر والحمد لله .. ثم سجدوا جميعًا لله حمدًا وشكرًا .. ووقف الطبيب مشدوهًا . وانتظر حتى وقفوا ، ثم سألهم ماذا كانوا يفعلون !!.. فقال له الدكتور سالم : كنا نعبِّر عن شكرنا لله بنجاح العملية .. وأقبلَتْ السيدة سهير على الطبيب ، وبمجرد سماعها كلام الطبيب وصياح الحاضرين ، انهمرت دموعها وقالت بصوت عالٍ : الحمد لله .. الحمد لله .. أشكرك يا رب !!.. وأحاطها الجميع يُهنئونها والسعادة تكاد تقفز من عينيها ، ودموع الفرح مازالت تنساب من عينيها .. وشعرت بأن كل ما عانته من قلق وألم قد زال . وقال الطبيب : إنه الآن بخير ، ولكنه مازال تحت تأثير البنج ..وظل الجميع يرددون عبارات الحمد والشكر لله ، وبعد قليل ، رأى الجميع " الترولل " الذي يحمل الدكتور أحمد ، ويدفعه بعض الممرضين والممرضات ، حيث يسيرون به إلى حجرته ، وقد أحاط الجميع به حتى أدخلوه الحجرة ..

وسمحوا لزوجته وزوجة الدكتور سالم بالدخول إلى الحجرة والجلوس إلى جواره حتى يُفيق .. ووقف الباقون خارج الحجرة .. وكانت إحدى الممرضات تدخل بين الحين والآخر لتلقي عليه نظرة ثم تخرج ، فيسألها الواقفون خارج الحجرة ، فتقول : إنه مازال تحت تأثير البنج ..

وكانت السيدة سهير وزوجة الدكتور سالم قد أرهقهما التعب والسهر ، فغلبهما النوم وهما على الكرسيين .. وبعد قليل ، بدأ الدكتور أحمد يُفيق من البنج ، وينظر حوله ، حتى وقعتْ عيناه على زوجته ، وبدأ يناديها باسمها بصوت خافت .. وسمعتْ صوته وكأنها تحلم ، ثم تلفتت حولها لتتأكّد من أنها يقظة وليست نائمة .. ثم نظرت إلى زوجها ، وكم كانت فرحتها عندما رأته ينظر إليها ويبتسم ، فلم تستطع من فرط سعادتِها أن تمنع نفسها من الإقبال عليه صائحة : أحمد .. حمدًا لله على سلامتك ، ومالت عليه وقبّلت رأسه واحتضنته وهي تحمد الله وتشكره أن حفظ لها زوجها .. واستيقظت زوجة الدكتور سالم التي فرحت لما رأته ، وهنّأت السيدة سهير ، ثم أسرعَتْ إلى خارج الحجرة ، لتخبر المنتظرين بأن الدكتور أحمد قد أفاق ، فاندفع

الجميع إلى الداخل فرحين ، فهنأه الجميع وهنأوا زوجته التي راحت تمسك بيده وتقبّلها .. فقال لها الدكتور سالم : أرجو ألاّ تنسي يا مدام سهير أنه قد خرج توًا من حجرة العمليات .. ثم نظر إلى الدكتور أحمد وقال له : ألف مبروك يا دكتور أحمد ، وحمدًا لله على سلامتك .. فقالت السيدة سهير : إنهم جميعًا لم يتركوني طوال الوقت ولو للحظة ، وتركوا أعمالهم وبيوتهم ومصالحهم ، للوقوف بجانبنا .. فشكرهم الدكتور أحمد ، وقال لزوجته : ألم أَقُلْ لَكِ إن المصريين بخير ؟!.. مهما تشغلهم أعباء الحياة ، فإن أوقات الشدة تُظْهِرُ أصالتهم ، وتبين حقيقة مشاعرهم .. إذن فأنا على حق في موقفي من شباب مصر ، وإيماني بالدفاع عنهم ، وحمايتهم من أعدائهم .. وبدأت الكلمات تنساب منه متقطعة ، مما يدل على حاجته إلى الراحة .. فطلب منه الدكتور سالم أن يتوقف عن الكلام ويستريح .. ولكنه قال : الحمد لله .. أنا بخير ، وأريد أن أعود إلى مصر في أقرب وقت ..إن أبنائي في الكلية ينتظرونني .. وهنا قالت زوجته وهي تبتسم : وأبناؤك في البيت ؟!.. فقال : أبنائي في البيت يكفي أن أمهم سهير .. فضحك الجميع .. وبعد لحظات وصل دكتور " جورج براون " الطبيب المعالج ، الذي ابتسم ، وطلب من الحاضرين أن يتركوه بعض الوقت حتى يستريح ، وقال للدكتور أحمد :سأمرّ عليك بعد ربع ساعة ، ثم خرج ، وسار معه الدكتور سالم إلى مكتبه ليحصل على مزيد من المعلومات ، فقال له دكتور "جورج براون " :

لابد أن يبقى بالمستشفى لمدة أسبوع على الأقل ، ليكون تحت المتابعة .. بعدها يستطيع الخروج ، ولكن عليه أن يظل في دور النقاهة لمدة عشرين يومًا قبل أن يستأنف عمله .

ومرّ الأسبوع الذي حدده دكتور براون ، وحان الوقت لخروج الدكتور أحمد من المستشفى .. وحضر الدكتور سالم وأصدقاؤه .. وفي مكتب دكتور " جورج براون " كان الجميع يشعرون بالسعادة ، وكان الدكتور أحمد بملابسه العادية ، استعدادًا لترك المستشفى .. وقال له دكتور جورج براون : أرجو أن تعلم أنك في حاجة إلى الراحة التامة لمدة عشرين يومًا قبل مزاولة عملك ، بالإضافة إلى أمر آخر

في غاية الأهمية ، أرجو أن تلتزم به ، وهو أنه نظرًا لدقة العملية التي أُجْرِيتْ لك ، لابد أن تقوم بعمل تحليل للدم كل ثلاثة أسابيع ، لمعرفة كيفية عمل وظائف الكبد المزروع ، على أن تُرْسِلَ إلينا تقرير التحليل بالفاكس فورًا لكي نتابع حالتك أولاً بأول ، وعلى أي حال ، لقد سجّلتُ لك كل التعليمات الواجب اتباعها في هذه الأوراق التي يجب أن تقرأها بين الحين والآخر، وأتمنى لك حظًا سعيدًا ، وسلمه الأوراق وصافحه ،كما صافح الباقين ، وكذلك السيدة سهير التي شَكَرَتْهُ كثيرًا ، ونظر دكتور جورج براون إلى الدكتور أحمد وقال له : أريد أن أهنئك لأن لك زوجة مثل هذه ، وأرجو أن تعتني بها كما اعتنت بك .. وشكره الدكتور أحمد ، ثم انصرف الجميع إلى بيت الدكتور سالم ، الذي أصرّ على ألاّ يقيم الدكتور أحمد في الفندق ، وصمم على ينزل ضيفًا عليه حتى يحين موعد سفره إلى مصر .

وفي المساء ، جاء عدد من المصريين المقيمين في لندن من أصدقاء الدكتور سالم ، وبعضهم من زملاء الدكتور أحمد وتلاميذه السابقين ، جاءوا ليهنئوه بنجاح العملية ..

وطلب الدكتور أحمد من الدكتور سالم أن يحجز له في أقرب وقت للسفر إلى مصر .. ولكن الدكتور سالم قال إنه يجب أن يبقى معهم لمدة أسبوع على الأقل ، وأصرّ على ذلك .. وفعلاً حجزوا للسفر بعد أسبوع ، قضاه الدكتور أحمد وزوجته بمنزل الدكتور سالم الذي كان كريمًا للغاية ، وكذلك كانت زوجته .

وفي الليلة السابقة على موعد السفر ، كانت هناك مفاجأة أعدّها الدكتور سالم ، عندما طلب من الدكتور أحمد وزوجته الخروج من حجرتهما ، والنزول إلى الطابق الأرضي .. وارتدى الدكتور أحمد وزوجته ملابسهما ، وخرجا من الحجرة فوجدا الدكتور سالم وزوجته في انتظارهما أمام الحجرة .. وما أن هبطا إلى الدور الأرضي حتى فوجئا بحشد من الضيوف المصريين من الرجال والسيدات الذين استقبلوهما بالتصفيق المتواصل والابتسامات المشرقة .. وبدت على وجهي الدكتور أحمد وزوجته الدهشة الكبيرة لهذه المفاجأة السارة .. وبدأ الضيوف يُقْبِلُونَ عليهما ويصافحونهما ،

والدكتور أحمد يقوم بمهمة تقديم الضيوف لهما .. وبعد أن جلس الجميع ، كانت الدهشة لم تفارق الدكتور أحمد وزوجته .. وبعد لحظات ، وقف الدكتور سالم وقال : بسم الله الرحمن الرحيم .. الأخ العزيز الدكتور أحمد .. يسرّني أن أفسّر لكم سرّ هذا التجمع الذي أثار دهشتكم .. لقد صمم إخوانكم وزملاؤكم وبعض المخلصين من أبنائكم ، المقيمون في لندن أن يقيموا لكم هذا الحفل المتواضع ، تعبيرًا عن إحساسهم بالسعادة لنجاح العملية ، ولتوديعكم قبل سفركم إلى مصر .. وإننا جميعًا نعتبر هذا الحفل الذي نقيمه لتكريمكم هو رسالة شوق وحب وعرفان لبلدنا مصر، وإلى إخواننا من أبناء مصر الذين يعيشون على أرضها،يكافحون في سبيلها ، ويتحمّلون من أجلها الكثير .. وإننا نحيي شعب مصر كله ، مُمَثَّلاً في شخصكم .. كما نُهنئكم على الدور الوطني الذي تقومون به في مجال التوعية للشباب المصري إزاء ما يُحاك ضدهم من مؤامرات ، وما يُرادُ بهم من سوء .. ونسأل الله تعالى أن يوفقكم في أداء رسالتكم السامية ، وأن يمتعكم بالصحة والسعادة .. وباسم كل المصريين والمصريات المقيمين في لندن ، أرجو أن تقبلوا هدية متواضعة تقديرًا لوطنيتكم وجهادكم المستمر لصالح مصر وأبنائها ، كما نرجو أن تتقبّل السيدة حرمكم ، السيدة سهير ، هدية أخرى ، تعبيرًا عن إعجابنا بوفائها وإخلاصها أثناء محنتكم حيث وقفت إلى جواركم ، وضربت المثل الأعلى على وفاء الزوجة المصرية ، وأصالتها التي تتجلّى عند الشدائد .. ثم قام الدكتور سالم ، وتناول هديتين كان يحملهما أحد الواقفين إلى جواره ، واتجه إلى الدكتور أحمد ، حيث فتح له علبة هديته ، وكان بِها ميدالية ذهبية على شكل قلب ، ومكتوب عليها " مصر " .. فأخذها الدكتور أحمد وقبّلها ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع التي تُعبِّر عن إحساسه بالحب نحو بلده ، كما تعبِّر عن سعادته بهذا التكريم الذي يلقاه من إخوانه المصريين في المهجر .. ثم قدّم الدكتور سالم للسيدة سهير الهدية الثانية ، وكانت عبارة عن عقد ذهبي قيِّم ، فتسلمته ، وقد بدا عليها التأثر الشديد .. هذا بينما ظل الحاضرون يصفقون في حماس ، وقد بدا عليهم السرور ..

وعندما جلسوا ظل الدكتور أحمد واقفًا ، ثم بدأ يتحدث إليهم فقال : باسم الله الرحمن الرحيم .. إخوتي وأخواتي ، وأبناء بلدي .. لا أدري من أين آتي بالكلمات التي تستطيع أن تترجم مشاعري التي أُحسّها الآن ، لكي أُعَبِّرَ لكم عن مقدار سعادتي وشكري لكل ما قمتم به نحوي من عون ومساندة وتكريم .. ولقد سبق أن سمعتُ من بعض الإخوة في مصر أن الذين يهاجرون إلى خارج مصر ، سرعان ما ينسى كل منهم بلده وأهل بلده ، ولا يفكّرون إلاّ في تكوين الثروات .. وإنني أقول لهؤلاء الإخوة : ليتكم كنتم معي الآن ، لتلمسوا بأنفسكم ، ولتروْا بأعينكم أن المصريين الشرفاء لا يمكن أن ينسوا بلدهم ، ولا أبناء بلدهم .. فإنهم في حياة المهجر يرفعون اسم بلدهم عاليًا بما يحققونه من تقدّم في المجالات المختلفة ليثبتوا للعالم أن الشعب المصري شعب متحضّر ، شعب أصيل ، شعب يؤمن بالإنسانية .. وإن شاء الله ، سأنقل هذه الصورة المشرقة عنكم لإخواكم في مصر ، ليعلموا أن المصريين مهما اغتربوا عن مصر ، فهي تعيش في قلوبهم ووجدانهم ، ولا يمكن أن ينسوها أبدًا .. والحمد لله ، فقد أثبتُّم بكرمكم أن مصر مازالت بخير ، وأن أبناء مصر مازالوا أوفياء .. ثم جلس فصفق الحاضرون ، وأقبلوا عليه يصافحونه ويقبِّلونه .. ثم دعا الدكتور سالم الجميع إلى مائدة العشاء التي أُعِدَّتْ لهذه المناسبة .

وفي الصباح جاء عدد من المصريين ، لمصاحبة الدكتور أحمد وزوجته إلى المطار ، ونزلوا جميعًا حيث ركبوا عددًا من السيارات التي شكّلت موكبًا جميلاً ، ووصلوا إلى مطار لندن ، وصافحوه جميعًا وعانقوه ، بينما عجز الدكتور أحمد عن الكلام ، فأرادت عيناه أن تقوم بالتعبير عما عجز عنه ، فأطلقت العنان للدموع التي لم يستطع إيقافها ، وكانت الدموع الممتزجة بابتسامة السعادة على وجهه تنطق بالكثير مما عجز لسانه عن قوله ..ودخل الدكتور أحمد وزوجته صالة المطار حتى وصلا إلى سلم الطائرة ، والجميع يُلوّحون لهما مُوَدِّعين .. وعندما استقرّ على مقعد الطائرة ، مسح دموعه ، وتنهّد بعمق ، ثم نظر إلى زوجته ، فوجدها تمسح دموعها هي الأخرى ، وقد بدا عليها

التأثر الشديد ، ثم قال لها : ألم أَقُلْ لك إن المصريين مازالوا بخير ؟!..لقد كنت تلومينني أحيانًا في دفاعي عن الشباب .. فقالت : أنا لم أكن ألومك لدفاعك عنهم ، ولكني كنتُ ألومك لأنك كنتَ تُرْهِقُ نفسك أكثر من اللازم ..

وبينما كان يشاهد مسار الطائرة على شاشة تليفزيون الطائرة كان يتابع ما بَقِيَ من مسافة للوصول إلى مصر والشوق يملأ قلبه ، شوق المحب الذي غاب عن محبوبته سنوات طويلة .. ولما أعلن قائد الطائرة أنهم الآن فوق القاهرة ، ارتسمت علامات السرور على وجهي الدكتور أحمد وزوجته ، وتبادلا عبارات التهنئة: حمدًا لله على السلامة، وعندما نزلا من الطائرة ، سجد الدكتور أحمد على أرض المطار ، شكرًا لله ، ثم قبّل الأرض وهو يقول : حماك الله يا مصر .. ثم نظر إلى الآفاق ثم قال :

يا مَـصْرُ يـا أم الـدنـيـا .. يـا أحْـلى دنْـيـا فـي عَيْنَيَّ
إن طَـالْ غـيَـابي وَحْشَـاني .. ولابـُدّ أَرْجَـعْ لـكْ تَـانـي
وَأَبـُوسْ تـُرَابِكْ بـعْـيـنَـيَّ .. يـا مَـصْرْ يـا أم الـدُنـْيـا !!..

وخرجا ليجدا أولادهما ، وعددًا من زملائه وطلاّبه في انتظارهما ، حيث عانقوهما ، وباركوا لهما بنجاح العملية وسلامة الوصول ، وغادروا المطار أيضًا في موكب من سيارات المستقبلين ، تمامًا كما حدث في موكب المودّعين في لندن .

ووصل الرَّكْبُ حتى منزل الدكتور أحمد ، وخرجوا جميعًا من السيارات وصافحوه وهنّأوه بسلامة الوصول ، وفضّلوا أن يتركوه لكي يستريح من عناء السفر .. ودخل البيت وسط أولاده الذين ملأت السعادة وجوههم .. وكان ينظر إلى جوانب البيت ، وكأنه يشعر بالوحشة ، ثم قال : الحمد لله على كل حال .. وظل في البيت يتلقّى برقيات ومكالمات التهاني ، وعلى مدى عدّة أيام كان يستقبل الزائرين المهنئين من الأهل والزملاء والطلاّب والطالبات .. ومكث في البيت في دور النقاهة ، كما نصحه الطبيب الإنجليزي المعالج ..

ومرّت الفترة المحددة ، وهي عشرون يومًا ، عاد بعدها إلى كلّيته حيث أُقيم له حفل استقبال أعدّه له زملاؤه وطلاّبه في الكلية ، وألقَوْا بعض الخطب وبعض قصائد الشّعرالتي تشيد بإخلاص الدكتو أحمد ووطنيته وحبه لمصر ، وحرصه على حماية الشباب المصري والدفاع عنه .. وقدّموا له بعض الهدايا الرمزية .. وألقى هو كلمة شكرهم فيها على هذا الحب والتقدير ، وتحدّث عن الإخوة المصريين في لندن ، وأشاد بمصريتهم ووطنيتهم ، وذكر ما فعلوه معه من عون وتكريم ، وأنه أحسّ بأنهم إنما يُكرمون بلدهم مصر وأبناء مصر .. وطمأن الجميع بأن المصريين في المهجر لا يقلّون حماسًا عن المصريين الذين يعيشون على أرض مصر .. وقال : إن مصر أمانة في أعناق جميع المصريين .

وبدأ الدكتور أحمد يستعيد نشاطه بتنظيم المؤتمرات الطلاّبية ، ويعقد الندوات ، ويُلْقِي المحاضرات لتوعية الشباب ، وكَشْفِ المؤامرات التي تُحاكُ ضد مصر بهدف القضاء على شبابها بإفساده .. وكان زملاؤه ينصحونه بين الحين والآخر أن يُخفف من هذا النشاط حرصًا على صحته ، فكان يُطمئنهم على أنه بخير .. وكانت زوجته تُذكّره دائمًا بعدم الإرهاق .. وذات مرّة عندما أطال الوقت وهو يكتب في حجرة مكتبه بالبيت ، دخلتْ عليه وصممت أن يتوقف عن الكتابة ويذهب للنوم فورًا وإلاّ فستُضْرِبُ عن الطعام ، وليتحمّل هو المسئولية .. فقد ملّتْ الطلب بأن يُخفف من العمل حرصًا على صحته دون أن يستجيب ، فاضطر أن يترك المكتب حينئذ لكي يرضيها ولو مؤقتًا ، ولكنه ظل على أسلوبه المرهق ، وكان في هذه الأثناء يحرص على عمل تحليل للدم كل ثلاثة أسابيع ويُرسل نتيجة التحليل إلى الطبيب المعالج في لندن ..

وظل على هذه الحال مدّة عامين ، إلى أن وصلته برقية من الطبيب المعالج في لندن ، يطلب منه الحضور إلى المستشفى بلندن لإجراء بعض الفحوص والاختبارات الضرورية ... وبدأ الدكتور أحمد يتصل بالمسئولين في هيئة التأمين الصحي ، ليوافقوا

على سفره إلى لندن ، ولكنهم رفضوا .. واستمرت محاولات بعض المخلصين لإقناع مسئولي التأمين الصحي ، ولكنهم صمموا على الرفض ، وقالوا إنهم يستطيعون إجراء الفحوص والاختبارات المطلوبة في مستشفيات التأمين الصحي .

وبدأ الدكتور أحمد يشعر ببعض الآلام ، حتى أنه اضطر أن يرقد على السرير في بيته بضعة أيام .. وفجأة ، وصلت رسالة بالفاكس إلى رئيس الجامعة من لندن ، ويقول نص الفاكس : (من الدكتور جورج براون بمستشفى كلية الطب " free royal " لندن — إلى الدكتور مدير جامعة القاهرة ، كلية الطب .. أفيدكم بأن الدكتور أحمد ابراهيم الذي أُجريتْ له عملية زرع كبد واستئصال ورم سرطاني منذ عامين .. آخر الفحوص التي وصلت لنا عن الحالة كانت مشوشة وخطيرة ، وأنه لابد وللأهمية القصوى من حضوره إلى لندن لتقييم الحالة وعمل فحوص واختبارات بمعرفتنا ، وأَخْذِ عينة من الكبد المزروع له ، لدراستها مجهريًا حيث أن هناك احتمالاً أن يعاوده التهاب الكبد ، أو يحدث رَفْضٌ للكبدالمزروع ، وطالب الفاكس بضرورة منح المريض إجازة للحضور إلى لندن على وجه السرعة .. وأرسلت الجامعة صورة من الفاكس الوارد من لندن إلى المسئولين في التأمين الصحي .. ومرة أخرى توالت اجتماعات اللجنة الطبية .. وذهب الدكتور أحمد ومعه زميلان لمعرفة قرار اللجنة الطبية ، وقابلوا الدكتور مدير الشئون العلاجية بالتأمين الصحي ، فأخبرهم بأن اللجنة التي شكّلها الدكتور رئيس الهيئة لبحث هذا الموضوع أصدرت قرارها برفض الموافقة على السفر، وزعمت اللجنة أن هذا قد تم بناء على قرار من المجالس الطبية بعلاجه داخل مصر .. وحضر هذا اللقاء أحد الأطباء الشبان الذين كانوا ضمن أعضاء اللجنة ، وكان معارضًا لقرار اللجنة ، وقال لمدير الشئون العلاجية أمام الدكتور أحمد وزميليه : إنني مازلت معارضًا لقرار اللجنة لأنها لم تكن تضم متخصصًا واحدًا في حالة الدكتور أحمد ولأن اللجنة ضربت عرض الحائط بكل التقارير القادمة من الطبيب المعالج في لندن .

وأمام هذا الموقف المؤسف ، لم يجد الدكتور أحمد ما يقوله إلاّ أن جلس يائسًا على مقعد مجاور ، ثم بدأ يشعر بآلام ، وأسرع إليه زميلاه ليسانداه .. واقترب منه مدير الشئون العلاجية وقال : دعوني أرى ما به ، فقال له الزميلان : شكرًا يا دكتور ، فعلاجه ليس عندكم ، ونحن أدرى بعلاجه منكم ، وأخذاه معهما وهو يستند عليهما . وبعد أن خرجوا ، وقف الدكتور مدير الشئون العلاجية يفكر فيما حدث .. وهنا بادره الطبيب الشاب الذي كان يعارض قرار اللجنة قائلاً : أرأيتَ يا دكتور ؟!.. إن الرجل لم يحتمل الصدمة ، صدمة القرار الظالم والغير مسئول .. هذ القرار الذي يُعتبر حكمًا بالإعدام على بريء .. هذه القرارات التي لا تصدر إلاّ للشرفاء فقط .. أما غير الشرفاء ، فهم ليسوا في حاجة لمثل هذه القرارات ، ولا للتأمين الصحي أصلاً .. وأنا لا أستطيع أن أقف كالمتفرج على المهازل التي ترتكبها هذه اللجنة .. وسأكتب تقريرًا مفصلاً أبيِّن فيه رأيي ، وأقدّمه للدكتور رئيس الهيئة .. وإذا لم يُنْظَرْ في الأمر بأسلوب موضوعي ، فسأقدّم استقالتي ، ثم قال : عن إذنك يا دكتور ، وانصرف .

وصل الدكتور أحمد مع زميليه إلى البيت ، وكان في حالة نفسية سيئة ، وإحباط تام ، ورقد على سريره ، وطلبوا له الطبيب الذي حاول أن يتكلم مع الدكتور أحمد ، ولكنه لاذ بالصمت ، ولم يتكلم لا مع الطبيب ولا مع غيره .. وعرف الطبيب من الزميلين ما حدث ، فقال : إن ما حدث له هو نتيجة تأثر نفسي بالغ لشيء لم يكن يتوقعه .

وبدأ يخيم على البيت جو من القلق والحزن .. وتساءلت زوجته وأولاده : هل هذا جزاء الإنسان الذي أعطى شبابه وصحته لبلده وللدفاع عن قضايا بلده ؟!.. وهنا قال أحد الزميلين ، واسمه الأستاذ علي : لابد أن نجد حلاً .. ولابد أن يسافر الدكتور أحمد .. ثم طرأت له فكرة ، فقال للسيدة سهير: لو سمحتِ ، أريد التليفون ، وخرج إلى الصالة وأمسك بالتليفون وطلب أحد أصدقائه ، وهو محرر بجريدة كبرى ، وأخبره بأنه يريد مقابلته لأمر عاجل وفي منتهى الأهمية، واتفقا على أن يذهب الأستاذ

على إلى مكتب صديقه المحرر فورًا .. وما هي إلاّ دقائق قليلة وصل بعدها إلى مكتب صديقه الذي قابله وهو متلهف لمعرفة الأمر العاجل الذي حدّثه عنه في التليفون ، فقال له : اسمع يا محمود .. أنا أعرف أنك تحارب دائمًا الروتين والجمود ، كما تحب أن تتصدّى لكل ما هو خطأ .. فقال محمود : لقد أثرت فضولي ، أَسْرِعْ لو سمحت ، وأخبرني بالأمر ، إذ يبدو أن لديك شيئًا يحتاج إلى معركة ...فقال الأستاذ على : نعم ، فما جئتُ من أجله يستحق أن تقوم له أكبر المعارك .. وهي فرصة لك لتعبّر فيها عن ثورتك على الظلم والجمود والتخلف .. وبدأ يسرد الموضوع منذ بدايته إلى آخر ما وصل إليه .... وهنا وقف الأستاذ محمود ، وقال : إنه موضوع يستحق إعلان الحرب على ذلك المشروع الذي يسمّونه التأمين الصحي .. وليست هذه هي المرّة الأولى التي كتبتُ فيها عن سلبيات هذا المشروع .. وسبق أن قلتُ إن المشروع في حد ذاته مشروع عظيم لو أُحْسِنَ تنفيذه ، وقلتُ يجب أن يعمل فيه أُناس يؤمنون بأهدافه..ولكن يبدو أنهم صمٌ لا يسمعون .. وإن الموضوع الذي ذكرتَه الآن سيجعلني أُعْلِنُ الحرب عليهم من جديد ، ولكنها ستكون في هذه المرّة حربًا شرسة ، لن أتوقف عنها إلاّ بعد تحقيق الهدف .. وسأبدأ أول مقال لِيُنْشَرَ في صباح الغد ، ولكني أريد منك بعض المعلومات والمستندات .. فقال الأستاذ على : وهو كذلك .. وأحضر له بعض المستندات والتقارير الطبية وصورة من الفاكس المُرْسَل من لندن .

وفي صباح اليوم التالي صدرت الجريدة وعلى صفحتها الأولى مقال بعنوان : (مأساة جديدة في التأمين الصحي) .. وتلاه في اليوم الثاني مقال بعنوان : (التأمين الصحي يحكم بالإعدام على مريض) .... ثم بمقال آخر يخاطب فيه وزير الصحة بعنوان :(أين أنت يا وزير الصحة ؟!..) .. وذكر في هذا المقال ما حدث للدكتور أحمد ، وطالب بوقف هذه المهزلة فورًا .. وكتب مقالاً بعنوان : (أين صوتك يا مجلس الشعب ؟!..) ، وطالب أعضاءَ مجلس الشعب باستجواب وزير الصحة ومطالبته بسفر الدكتور أحمد إلى لندن فورًا ..

وكانت هذه المقالات الملتهبة سببًا في إثارة الرأي العام .. فأصبح المواطنون في المقاهي وفي الأوتوبيسات وفي البيوت يقرأون ويعلّقون على ما يُكْتَبُ عن مهازل التأمين الصحي .. وبدأت تُنْشَرُ صور الكاريكاتير التي تسخر من التأمين الصحي .. وبدأت الأصوات تعلو في مجلس الشعب مطالبة بسفر الدكتور أحمد ، وطالبوا بحضور وزير الصحة واستجوابه .

وكان آخر مقال للأستاذ محمود بعنوان : (يا رئيس مجلس الوزراء .. هل هو تأمين صحي .. أم تأبين صحي ؟!..) .. واشتدت المناقشات في مجلس الشعب أثناء استجواب وزير الصحة ، وطالب المجلسُ الوزيرَ ورئيسَ مجلس الوزراء بالعمل على سفر الدكتور أحمد ، وإعادة النظر في أسلوب هيئة التأمين الصحي في معالجة مثل هذه الحالات .. وعقد مجلس الوزراء اجتماعًا طارئًا ، حيث وجّه رئيسُ المجلس اللومَ إلى وزير الصحة لعدم التصرف في الوقت المناسب مما أدّى إلى إثارة الرأي العام ضد التأمين الصحي وضد الحكومة ، بسبب المقالات الصحفية التي أثارت الجماهير .. وطالب رئيسُ المجلس وزيرَ الصحة بضرورة التحقيق مع المتسببين في إثارة هذه المشكلة وضرورة إجراء تعديلات في الأشخاص القائمين على المشروع وتعيين آخرين من الأطباء الأكفاء الذين يُقدّرون مسئولية هذا المشروع .. ثم أصدر مجلس الوزراء قرارًابالموافقة على سفر الدكتور أحمد ابراهيم إلى لندن ، لمتابعة الفحوص اللازمة لحالته على أن تكون تكاليف السفر والعلاج على نفقة الدولة .

وفي صباح اليوم التالي نُشِرَ في الصفحة الأولى بالجريدة مقال للأستاذ محمود بعنوان : (قرار مجلس الوزراء بسفر الدكتور أحمد ابراهيم إلى لندن – الحكومة تتحمّل نفقات السفر والعلاج) ويتبادل المواطنون في كل مكان التعليقات على انتصار الحملة الصحفية ، وتنهال برقيات التهنئة على الجريدة وعلى المحرر ، الأستاذ محمود ، مما جعل رئيس التحرير يستدعيه ويهنئه على انتصار حملته

الصحفية ، ويعلن عن منحه مكافأة ... ويتصل الأستاذ علي تليفونيًا بصديقه الأستاذ محمود، المحرر ، ويهنئه بنجاح الحملة الصحفية ، ويشكره على الجهد الذي بذله .. ويتفقان على اللقاء بعد دقائق في مقر الجريدة ، ليذهبا معًا إلى منزل الدكتور أحمد ، ليهنئاه بقرار سفره وانتصار قضيته .. ويصل الأستاذ على الذي يحتضن صديقه المحرر ويقول له : لقد سَمَّيتَها حربًا ، وهاأنت قد كسبتَ الحرب .. فقال الأستاذ محمود : إنها فقط مجرّد معركة ، ومازال أمامي كثير من المعارك ، ولن أتوقف عن الكتابة ضد البيروقراطية والروتين والجمود ، الذي يُضَيِّعُ حقوق المواطنين ، والذي يتسبب في هجرة الشرفاء من أبناء البلد !!..

ويخرج الصديقان ومعهما الجريدة التي تحمل قرار مجلس الوزراء في صفحتها الأولى .. ويركبان السيارة ويتوجّهان إلى منزل الدكتور أحمد .. ويفتح لهما البابَ خادمُ البيت .. ويقول له الأستاذ علي : أَبْلِغْ السيدة سهير بأن معي الأستاذ محمود المحرر ، وأنه يريد لقاء الدكتور أحمد .. فيردَ الخادم : الدكتور أحمد .. تعيش انت .. لقد تُوُفِّيَ منذ ربع ساعة !!..

وينزل هذا الخبر نزول الصاعقة على الرجلين .. ويشهق الأستاذ على ، ثم يُخْفِي وجهه بين يديه ، بينما يُذْهَلُ الأستاذ محمود المحرر .. وتسقط الجريدة من يده .. وينظر إليها وهي على الأرض ، وقد ظهر بوضوح العنوان الذي يقول :(قرار مجلس الوزراء بسفر الدكتور أحمد ابراهيم إلى لندن) .. (الحكومة تتحمّل تكاليف السفر ونفقات العلاج) .. ويقول الأستاذ محمود ساخرًا : أهكذا يكون مصير الشرفاء ؟؟!!..

وتَهب ريح قوية فتطيح بالجريدة حيث يطير بها الهواء بعيدًا .. وكأنه يُعَبِّرُ عن رحيل الدكتور أحمد ، أحد القلائل من المواطنين الشرفاء !!!!....

مَـــطَـــبَّـــات .. فِـــي الْـــهَـــوَاء !!..

وفجأةً وجدتُني أطير في الهواء ، وفوق السحاب ، حقيقةً أطير ، ولكن ليس بجناحين كما تفعل الطيور ، ولكن لأني كنتُ أحد ركّاب الطائرة المتجهة إلى نيويورك ، تلك المدينة التي تناطح السحاب " كما يقولون " ، وحيث يعيش نجلاي الطبيب والمهندس .

وكنتُ أنظر من نافذة الطائرة ، فأرى السُّحُبَ تحتنا وهي تجري بسرعة مذهلة ، وتتلاحق حتى بدت متلاحمة ، وكأنها كتلة واحدة بيضاء ، تخفي تحتها معالم الأرض وما كانت هذه السرعة حقيقةً للسحب ، إنما هي سرعة الطائرة النفاثة التي تطير فوقها ، فيُخَيَّلُ إلينا أن السحب هي التي تجري ، مع إيماني بأن السحاب هو الآخر يجري كما نراه ونحن على الأرض ، ولكن ليس بهذه السرعة التي نراها من خلال نافذة الطائرة .

وسرحتُ بخيالي في محاولات الأخوين " رايت " لإنشاء أول طائرة يطير بها الإنسان في الجو .. ثم تذكّرتُ الأشكال والتصميمات المختلفة للطائرات ، وتطورات أحجامها وسرعاتها حتى فاقت سرعة الصوت والضوء .. كما سرحتُ في تطوّر بناء سفن الفضاء التي فاقت كل خيال .

وبينما كنتُ أعيش في هذه الخيالات ، خُيِّل إليّ أني أسمع صوتًا يهمس في أذني ، ولكني لم أكترث ، إذ كنتُ مستغرقًا في تخيّلاتي .. ولكن الصوت عاود الهمس ، وأحسستُ بيد تمسك بذراعي ، ولما نظرتُ إلى يساري إذا بالراكبة التي تجاورني في المقعد تشتدّ قبضتها على ذراعي ، وقد ارتسم على وجهها شيء من الخوف والهلع والذعر ، وجحظتْ عيناها من الرعب ، وكانت فتاة شقراء ، تبدو في أواخر العشرينات ، بعينين زرقاوتين ، وكانت خصلة من شعرها الأصفر الناعم قد حجبت جزءًا من وجهها ، مما أكسبها جمالاً على جمالها الذي لم يستطع الفزع أن يخفيه، وظننتُ أنها أمريكية ، فسألتُها بالإنجليزية عما في الأمر .. ولكنها بادرتني بسؤال باللغة العربية

عما إذا كنتُ أتكلم العربية .. وهنا عرفتُ أنها عربية . وليست أمريكية كما ظننت .. فأفهمتها بأنني مصري .. ولما استفسرتُ منها عما بها قالت : ألم تسمع ما قاله قائد الطائرة منذ قليل ؟!.. فقلتُ لها : لا ، لم أسمع شيئًا ، فقد كنتُ مستغرقًا في الخيال وأنا أنظر من خلال نافذة الطائرة ، ماذا قال ؟ فقالت : لقد طلب من الركّاب أن يربطوا أحزمة الأمان ، فسألتها : لماذا ؟. ولم يمض على بدء الرحلة أكثر من ساعة ؟!.. فقالت : لا أدري .. ولكني أخشى أن يكون قد حدث أمر يضطر بسببه قائد الطائرة إلى الهبوط الاضطراري .. ثم سألتني : ألم تشعر ببعض الاهتزازات منذ دقائق قليلة مضت ؟!.. وهنا بدأ القلق يساورني ، وبدأت الأفكار السوداء تتداخل وتتزاحم في رأسي ، حتى شعرتُ برعدة عنيفة تهز بدني كله ، احسست بعدها كأن رأسي يدور ، وكأن عقلي قد توقف عن التفكير ، ووجدتني دون أن أدري أضع كلتا يديّ على الجهة اليسرى من صدري وكأنني أتحسس قلبي لأرى إن كان ما زال ينبض أم توقف .

وبينما أنا شارد هكذا ومذهول ، بل ومذعور من تلك الأفكار التي راودتني ، إذا بشيء يمسك بذراعي ويهزّه بشدّة ، مما زادني رعبًا ، ونظرتُ فإذا بجارتي في المقعد هي التي تمسك بذراعي ، وقد بدت الدهشة الكبيرة ترتسم على وجهها وقالت : ماذا بك يا أستاذ ؟!.. يا أستاذ ماذا بك ؟!.. ألا تسمعني ؟!..

وكانت عيناي تحملقان في كل ما حولي ، وكأني لا أري شيئًا إلاّ علامة استفهام كبيرة تتراقص أمامي مترجمة للسؤال الذي أحس به ولا يستطيع أن ينطق به لساني من هول ما أشعر به من خوف وقلق !!..وإذا بيد رقيقة حانية تمسك بيدي وتجذبُها برقة ، ثم تمسح عليها ، وكأنها تداعب قطة صغيرة .. ولما التفتُّ إلى هذه اليد الرقيقة وجدتُها يد إحدى مضيفات الطائرة التي استدعتها جارتي في المقعد عندما وجدتني لا أردّ عليها ورأت على وجهي ما ضاعف انزعاجها .. وإذا بالرؤية التي كانت قد انعدمت أمام عينيّ ، بدأت تتضح شيئًا فشيئًا حتى بدأتُ أرى أشباحًا وأشكالاً غير واضحة المعالم ، تمامًا كما في الصور " المهزوزة " التي تُلْتَقَطُ بكاميرا غير مثبتة ، وبدأت هذه الأشباح

والأشكال تزداد وضوحًا بالتدريج ، حتى استطعتُ أن أرى المقعد الذي أمامي ، والجيب الذي يقع خلفه ، وتلك المجلات التي تُطِلُّ منه ، وهذه المضيفة التي تمسك بيدي وتحاول تَهدئتي ، ورأيتُ وجهها بوضوح ، حيث كانت تبتسم ابتسامة وظيفية ينقصها الصدق ، تريد بها أن تخفف عني ، وإلى جواري رأيتُ جارتي في المقعد التي بدأت علامات الارتياح ترتسم على وجهها بالتدريج ، وتتنهّد كأنها خارجة من تجربة ومحنة مثيرة وإذا بها تبتسم هي الأخرى ، ولكن ابتسامتها تختلف عن ابتسامة المضيفة ، فقد كانت ابتسامة صادقة ، شجّعتني وأحسست بعدها أني أعود إلى نفسي وكأني كنت غائبًا عن الوعي .. وارتسم على وجهي تساؤل ، سرعان ما ترجمه لساني حين قلتُ : ماذا حدث لي ؟!.. فقالت المضيفة : لا شيء .. فقط يبدو أنك نمتَ بعض الوقت ، وأنك رأيتَ حُلْمًا مزعجًا بعض الشيء .. ولكني لم أثق في كلام المضيفة ، كما لم أثق في ابتسامتها ، فأنا أعرف أن من متطلبات وظيفتها أن تعمل على إبعاد الخوف عن الركّاب ، وطمأنتهم بأن كل شيء على ما يرام ، حتى ولو كان الأمر على شفا حفرة من الموت .

واستدرتُ إلى جارتي في المقعد وسألْتُها : أخبريني بحق .. ماذا حدث ؟.. فقالت : كنتُ أسألك إن كنتَ قد سمعتَ قائد الطائرة وهو يرجو الركّاب أن يربطوا أحزمة الأمان ، وسألتُك عما إذا كنتَ قد شعرتَ باهتزازات الطائرة ، فلم تُجِبْني ، ويبدو أن سؤالي قد فاجأك وأقلقك بعض الشيء .. هذا كل ما في الأمر .

وهنا تذكّرتُ ما حدث فعلاً ، وتبينتُ صدق جارتي في المقعد .. وهززتُ رأسي وقلت : حقًا .. ماأضعف الإنسان !!.. وهنا قالت المضيفة وعلى وجهها نفس الابتسامة الوظيفية الباهتة : لعلك الآن أحسن !!.. فقلت : الحمد لله .. فقالت : هل تحب أن أُحْضِرَ لك حبّة أسبرين وكوبًا من الشاي ؟.. فقلت لها : بل يكفي كوب من الشاي .. فقالت : حبة أسبرين تُهَدِّئُ أعصابك .. فقلت : شكرًا ، فأنا لا أتناول أي نوع من الحبوب .. وانصرفت المضيفة .. وبادَرَتْ جارتي في المقعد بسؤالي : لماذا لا

تتناول أي نوع من الحبوب ؟!.. فقلت لها : ربما تندهشين إذا قلتُ لك إنني لا أثق في جميع الأدوية التي يصنعها الإنسان ، وفي هذه الأيام بالذات .. كما لا أثق في أطباء هذا الزمان !!..

فقالت جارتي في المقعد : يبدو أنك مررتَ بتجربة جعلتكَ تخاف من الدواء ، ولا تثق في الأطباء .. فقلت لها : ليس نتيجة تجربة شخصية لي ، ولكن ما نقرأ عنه في الصحف والمجلات يكفي لأن نقاطع الأدوية والأطباء ، فكم من أبرياء ضاعت صحتهم بسبب الأدوية " المغشوشة " أو التي انتهت مدّة صلاحيتها ، ومازالت تُباع في الصيدليات .. وكم من صيدليات ضُبطَتْ ، وكم من أطنان الأدوية التي ضبطتها السلطات المختصة وأعدمتها حفاظًا على صحة المواطنين !!.

أما أطباء هذا الزمان ، فأغلبهم قد سيطر عليهم الجشع والطمع ، ولا يهمهم صحة الناس بقدر ما يهمهم أن يجمعوا الثروات .. وكم من القصص التي تحكي عن الأطباء الذين يتسببون بإهمالهم أو بعدم دقة التشخيص ، في كثير من الوَفَيَات، أو في حدوث المضاعفات فقالت : وماذا تفعل إذا شَعُرْتَ يومًا بألم ما ؟.. فقلت : أولاً ومن حيث المبدأ ، فأنا أسير بقدر الإمكان على القول المأثور الذي يقول : " الوقاية خير من العلاج " ولهذا فأنا أجتهد ألاّ أعرِّض نفسي لأسباب الأمراض ..ثانيًا .. إذا حدث أن أُصِبْتُ مثلاً بصداع .. أحاول أن أعرف السبب ، فربما كان الإجهاد أو قلة النوم أوالجوع ، بعد ذلك أتخلص من الصداع بمزيد من الراحة والاسترخاء ، وأن أُعَرِّضَ نفسي للشمس والهواء ، وطبعًا الشمس الهادئة ، والهواء البعيد عن التيارات الشديدة كما أني أحرص على تناول حبتين من الثوم ، وملعقة صغيرة من حبة البركة ثم ملعقتين من عسل النحل صباح كل يوم .. وحبّة البركة تحدّث عنها الرسول الكريم فقال : (عليكم بتلك الحبّة السوداء ، فإن فيها شفاءً لكل داء) .. أما عسل النحل فيكفي أن الله تعالى قال عنه : [فيه شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] . كما أحرص على العمل بمنطق حديث الرسول الكريم الذي يقول فيه : (المعدة بيت الدّاء ، والْحمْيَةُ رأس الدّواء) ومعنى

" الحِمْيَة " الإقلال من الطعام .. وفي ذلك سلامة للمعدة وراحة لها .. ولهذا فلا آكل إلاّ إذا أحسستُ بالجوع .. وإذا أكلتُ فإني أحرص على تَرْكِ الطعام قبل أن أشبع ، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع) .. وهناك حكمة أخرى تقول : " أَقْبِلْ على الطعام وأنت تشتهيه ، واتْرُكْهُ وأنت تشتهيه " ... وهناك أمرٌ آخر ربما يُزِيدُ دهشتك كما يثير دهشة الكثيرين من أهلي وأصدقائي .. هذا الأمر هو أنني أُؤْمِنُ بأن الجسم يُصْلِحُ نفسه بقدرة الله .. لأنه من صنع الله ، والله أعلم بخلقه .. [ألا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وهُوَ اللطِيفُ الْخَبِير] .. ويقول الرسول صلىالله عليه وسلم : (داووا مرضاكم بالصدقة) .. وأذكُرُ أنني ذات يوم أحسستُ بتعب ، ونصحني أصدقائي بالذهاب إلى الطبيب .. وتذكّرتُ الحديث الشريف ، فقلتُ في نفسي : سأفترض أن الطبيب سيأخذ مني عشرين جنيهًا ، وسيصف لي دواءً ثمنه عشرون جنيهًا أخرى .. وبذلك تكون قيمة الكشف الطبي والدواء أربعين جنيهًا .. وقلتُ : فَلأَزِدْ المبلغ عشر جنيهات أخرى ، وهكذا تصدّقتُ بمبلغ خمسين جنيهًا .. وستندهشين إذا قلتُ لكِ إن الله شفاني ، وفي اليوم التالي كنتُ صحيحًا تمامًا .. وإني لَحَسَنُ الظَّنِّ بالله .. والله تعالى يقول في الحديث القدسيّ : (أنا عند ظن عبدي بي) ..

فقالت جارتي في المقعد : هل معنى ذلك أنك لستَ على استعداد للتعامل مع الأطباء مهما حدث ؟!.. فقلت لها : وقانا الله شرهم .. لستُ مستعدًا للتعامل معهم إلاّ في حالات الضرورة القصوى ، ونسأله تعالى أن يحفظنا برحمته .

وفجأة ، وجدتُ جارتي في المقعد تقهقه بصوت مرتفع ومفاجئ ، ولما رأتني مندهشًا لضحكها ازداد ضحكها ، وهي تحاول جاهدة أن تتوقف عن الضحك ، وتضع يديها على فمها وكأنها لا تستطيع .. وظلت هكذا لمدّة دقيقة تقريبًا ، وهي تنظر إليّ بين الحين والآخر ، وأنظر إليها فتلتقي عينانا فنضحك معًا ..

وبعد أن هدأنا وتوقف ضحكنا ، إلاّ من أجزاء متقطعة ، إلى أن توقف الضحك تمامًا ، قلتُ لها : ماذا أضحككِ كل هذا الضحك ؟!.. فقالت : لقد تذكّرتُ أني كنتُ أسألك لتفسِّر لي ما يحدث مما كان يقلقني من أمر الطائرة . وبدلاً من أن تجيبني إلى سؤالي ، تحولتَ في لحظات إلى سائل تريدني أن أُفسِّرَ لك ما حدث .. هذا ما جعلني أضحك ، وتذكّرتُ المثل العامِّي الذي يقول " جئتُك يا عبد المُعين لتُعينَني ، فوجدتُك تحتاج عَوْني " ، ثم قالت : هذا ما أضحكني ، فماذا أضحككَ أنتَ ؟؟.. فقلت : حقيقةً .. لا أدري ، فبمجرّد أن رأيتُكِ تضحكين بلا توقف ، وجدتُني أضحك معكِ !!..

وفي هذه اللحظة كانت المضيفة قد جاءت بكوب الشاي ، وناولتني إياه وقالت : هل من خدمة أخرى ؟.. وفجأةً تذكّرتُ ما قالته جارتي في المقعد عما قاله قائد الطائرة عن رَبْطِ أحزمة الأمان ، فسألتُ المضيفةَ عن سبب ذلك ، فقالت : لقد تعرّضت الطائرة لبعض مطبات الهواء ، وهذا أمر عادي ، يحدث كثيرًا ، فلا تقلقوا .. ثم انصرفتْ المضيفةُ ، وكنت أنظر إليها وأقول لها في نفسي : " لعلك لا تكذبين كما تكذب ابتسامتك !!..

ثم سرحْتُ بخيالي في حكاية " مطبات الهواء " ، وتذكّرتُ المطبات الأرضية الكثيرة في شوارع القاهرة التي تتعرّض لها السيارات والأوتوبيسات ، حتى يكاد الركّاب يقفزون من مقاعدهم عند كل مطب ، ومساكين أولئك الركّاب الواقفون الذين يرتطمون بعضهم ببعض ، ثم يعلو صراخ بعض النساء وبكاء الأطفال ، ثم تتوالى لعنات الركّاب على هيئة النقل ، وعلى المسئولين الذين يهملون في رصف الطرق ، وعلى المقاولين معدومي الضمير الذين لا يخشون الله في عمليات الرصف التي تُسْنَدُ إليهم ، والتي لا تعيش إلاّ شهور قليلة ، ثم تعود المطبات كما كانت !!..

ووجدتُني أقول في نفسي : إن مطبات الهواء أرحم بكثير من مطبات الأرض ..
وإذا بجارتي في المقعد تشد ذراعي مرة أخرى وتقول : يا أستاذ .. هل عُدْتَ تَسْرَحُ من جديد ؟!..ولما نظرتُ إليها وجدتُها مندهشة ، وقالت : لقد ناديتك ثلاث مرّات فلم ترد .. فقلت لها : آسف يا آنسة ، ثم استدركتُ قائلاً : ألستِ آنسة كما أعتقد ؟.. قالت : نعم ، واسمي " نوال " . فقلت : وإلى أين أنتِ ذاهبة ؟ .. فقالت : نيويورك ، ثم قالت : ألا تلاحظ أنني كلما هممتُ بسؤالك بادرتني أنت بالسؤال ؟!. فقلت : هل كنتِ تسأليني الآن ؟ قالت: كنت أنوي أن أسألك عن وِجْهَتِكَ ، وعما إذا كنتَ تعرف الكثير عن نيويورك ، فقلت : أنا أيضًا ذاهب إلى نيويورك ، وحقيقةً لم أسافر إليها من قبل ، ولكني أعرف عنها الكثير من قراءاتي ، ومن حكايات أبنائي وأبناء أخي الذين يعملون ويعيشون فيها .. ولا تنسي الأفلام الأمريكية التي نرى فيها نيويورك ، وما فيها من مباهج ، وما بها من مفاسد أيضًا .. وما تتمتع به من ديمقراطية وحرية ، وما تسبح فيه من مافيا وعنصرية .. تُرَى !!.. ماذا تريدين أن تعرفي عن نيويورك ؟.. إذا كنتِ تقصدين شوارعها وأحياءها فأنا لا أعرفها ، أما إذا كنتِ تريدين الذهاب إلى أي مكان فيها ، فهذا أمر سهل ، فإن نجليَّ سيكونان في انتظاري في المطار بسيارة ، ويمكننا أن نوصلك إلى حيث تريدين ، أو على الأقل إرشادكِ لكيفية الوصول إلى أي مكان ، فقالت : شكرًا .. أنا لم أقصد ذلك ، فإن عمِّي سيكون في انتظاري في المطار ، إنما كنتُ أريد فكرة عامة عن نيويورك ، وطبيعة الحياة فيها .. فأنا ذاهبة إليها بدعوة من عمِّي ، وهو من رجال الأعمال ... فقلت : إن ما أعرفه عن نيويورك أنها سريعة الإيقاع ، والحركة فيها كخلية النحل ، وأنها مزدحمة ، والوقت فيها كالماس ، وليس كالذهب كما نقول نحن أحيانًا ، رغم أننا نعامل الوقت في مجتمعنا على أنه من " صفيح " .. والعمل في نيويورك يأخذ معظم الوقت من الناس ، لأن ارتفاع مستوى المعيشة يتطلب العمل المتواصل ، حتى يستطيع الإنسان فيها أن يفي بمتطلبات الحياة .. فلا تأخّر عن مواعيد العمل ، وإلاّ كان الجزاء الفصل من الخدمة ، أو الخصم القاسي

من المرتب ، والعمل هناك يُقدّرُ بالساعة وليس باليوم .. والمرتبات تُحدّد على أساس كمية الإنتاج ، وعدد ساعات العمل .. وتجدين كل فرد منهمكًا في عمله ، فلا قراءة للجرائد أثناء العمل ، ولا تسلية في حل ألغاز " الكلمات المتقاطعة " ، ولا التهام " للسندويتشات " ، ولا أكواب الشاي والقهوة المبعثرة هنا وهناك ، ولا أحاديث بين الزملاء عن أحداث الأمسيات والسهرات ، ولا احتدام المناقشات والتشنجات حول نتائج مباريات الكرة ، ولا خصومات حولها ، أو تعصبات بسببها .. ولا صورة من هذه الصور الكئيبة التي نراها في مجتمعنا في سائر المصالح ، مما يعوق الإنتاج ويزيدنا تأخرًا وتخلّفًا .. وكان الله في عون حكوماتنا التي تجري وراء المستحيل لكي تُشْبِعَ تلك البطون الجائعة ، التي جعلت الطعام أكبر همها .. والشعوب جميعها تتسابق مع الزمن ، وتجري بالخطوة السريعة إلى الأمام .. ونحن أيضًا نجري بالخطوة السريعة .. ولكن .. إلى الخلف .. وإلى الضياع !!..

وهنا استوقفتني جارتي في المقعد ، الآنسة نوال قائلة : يا أستاذ .. سألتك عن نيويورك وطبيعة الحياة فيها ، فإذا بك تتحوّل إلى طبيعة الحياة في مجتمعنا !!..فسألتها : هل أنتِ مصرية ؟ فقالت : نعم .. ومن شبرا .. فقلت : الحمد لله أنكِ " بلديّاتي " فأنا لا أحب أن أتحدّث عن سلبيات مجتمعنا مع أحد من الأجانب .. فقالت : لقد كنتَ تتحدّث بانفعال ، وهذا لا يتّفق مع الأسلوب الصحّي الذي تسير عليه ، وهو " الوقاية خير من العلاج " .. ألا تعلم أن الانفعال يؤدّي أحيانًا إلى أضرار صحّية ؟.. فقلت : لكِ الحق فيما تقولين .. واعذريني .. فأنا مصري لحمًا ودمًا وإحساسًا ، وأدين بالولاء لبلدي .. وكم أشعر بالحزن عندما أجد دولة من الدول تحقق الإنجازات العلمية والاقتصادية ، وتتطوّر في السياسة والتعليم ، وتحقق الرخاء لمواطنيها ، بينما أجد بلدي يرزح تحت وابل من الديون للدول الأخرى بعد أن كنا ندين الدول الكبرى في الأربعينيات من القرن العشرين ، كما يصيبني الإحساس بالأسى عندما أرى حكومات العالم تؤكّد حقوق شعوبها ، وتحترم كلمة هذه الشعوب ، بينما نسمع بين

الحين والآخر أننا نسير نحو الديمقراطية (وكأننا لم نعرف الديمقراطية من قبل !!) .. ونسمع كثيرًا أن حكوماتنا تسعى جاهدة لتحقيق الرخاء .. ولكي يمتلك كل مواطن " فيللا وسيارة " .. وتمضي السنون ، وتتعاقب الحكومات .. فلا يتحقق رخاء ، ولا " يحزنون " ، بل يوجد فقط " يحزنون " !!..

فقالت نوال : أنا أسمع من عمِّي أحيانًا عندما يزورنا أن مصر ليست دولة فقيرة كما يُشاعُ عنها ، بدليل أن فيها عددًا كبيرًا من المليونيرات والمليارديرات .. فقلت : هذا صحيح .. فإن أصحاب الملايين أصبحوا بالمئات .. ولكن لا خير في كثير منهم .. ففي النصف الأول من القرن العشرين كان في مصر عدد قليل جدًا من المليونيرات ، يقتربون من عدد أصابع اليد الواحدة ، من أمثال طلعت حرب وسيد ياسين وعبّود وأبو رجيلة .. وكان هؤلاء مصريين حقًا ، ويعملون من أجل مصر ، فأسسوا البنوك والشركات ، وأقاموا المصانع الشامخة ، وأفادوا بأموالهم الاقتصاد المصري ، حتى تفوّق الجنيه المصري على الدولار والجنيه الاسترليني !!..

وكان هؤلاء المصريون الشرفاء يبنون المدارس والمستشفيات المجانية ، والمطاعم الخيرية التي تُطعم الفقراء ، كما كانوا يوصون في وصاياهم بأن تستمر ثرواتُهم في خدمة الاقتصاد المصري ، والمجتمع المصري ، والمواطن المصري !!..

أما أصحاب الملايين والمليارات الذين يُعَدُّون الآن بالمئات .. فماذا قدَّم أغلبهم لمصر أو لشعب مصر ؟!.. ماذا فعلوا للاقتصاد المصري ؟!.. تقريبًا لا شيء .. فهم يصدّرون ثرواتِهم للخارج ليزدهر بِها الاقتصاد الأجنبي ، رغم أن هذه الثروات قد جَنَوْهَا من خير مصر وعَرَقِ المواطنين المصريين !!..

هل هناك مستشفى مجّانيّ أو حتى اقتصاديّ بناه مليونير ؟!.. هل سمعنا عن مدرسة مجّانية أنشأها ملياردير؟!..

إننا نسمع عن المستشفيات الاستثمارية التي تتدفّق وتسيل على أبوابِها دماء المصابين من الفقراء ، دون أن يُسْمَحَ بدخولهم إلاّ بعد دفع الآلاف مقدّمًا ، مما يزيد في

خراب البيوت ، كما نسمع عن جثث الأموات التي تحتجزها هذه المستشفيات كرهينة حتى يتم تسديد فواتير العلاج ، حتى أصبح الشعار في هذه المستشفيات " موت وخراب ديار " !!..

وقبل أن أُكْمِلَ حديثي ، بادرتني الآنسة نوال بقولها : لكن لا تَنْسَ أن بعض الأثرياء ساهموا بأموالهم في تخفيف أزمة التعليم في مصر ، بتلك المدارس التي أنشأوها بأموالهم ، خاصة مدارس اللغات التي رفعت مستوى الطلاّب في اللغات الأجنبية ، وخاصة اللغة الإنجليزية ، التي تُعْتَبَرُ لغة عالمية .. فقلت لها : إن معظم أصحاب هذه المدارس — وأقول معظمهم — لكي لا أظلم بعض الشرفاء منهم ، لا يقصدون من إنشاء هذه المدارس المساهمة في حل أزمة التعليم كما يدّعون ، بل إنهم يعتبرون ذلك وسيلة من وسائل الإثراء السريع أما حكاية اللغات ومدارس اللغات ، فهذه " نكتة " أخرى وخدعة ابتلعها بعض أولياء الأمور ، ممن يعشقون التباهي والتفاخر بأن أولادهم يدرسون في مدارس لغات .. ولكنهم لا يعلمون حقيقة هذه المدارس .. فاللغات لديهم مجرّد ستار لابتزاز أولياء الأمور .. فمعظم الذين يقومون بتدريس اللغة الإنجليزية ليسوا مؤهلين لذلك .

فقالت الآنسة نوال : إن بعض هذه المدارس يعمل بها مدرّسون أجانب .. فقلت لها : وهذه وسيلة أخرى للخداع ، يلجأ إليها أصحاب المدارس ، فهم " يصطادون " بعض الأجانب الذين لا علاقة لهم بالتدريس ، ولم يسبق لهم العمل في هذا المجال ، ويجزلون لهم العطاء في المرتبات السخيّة ، ليجعلوهم واجهة ودعاية للمدرسة ، ولينخدع أولياء الأمور بوجود هؤلاء الأجانب في المدرسة .. وأنا شخصيًا أعرف سيدة أمريكية كانت تعيش في القاهرة بعد زواجها من طبيب مصري حديث التخرّج، ولما ضاقت الحياة المعيشية أمام هذا الطبيب ، ذهب بامرأته إلى إحدى مدارس اللغات بمنطقة الهرم ، لعلها تجد عملاً يساهم في نفقات المعيشة ، وما أن عرف المسئولون في

المدرسة أنها أمريكية ، وأنها تتحدّث الإنجليزية بطلاقة ، حتى رحّبوا بها ووافقوا على عملها كمدرِّسة للغة الإنجليزية ، ولما اعترضت الأمريكية وأخبرتهم بأنها لم تعمل في هذا المجال من قبل ، وليس لديها معرفة بكيفية التدريس ، وأخبرتهم بأنها لم تُكْمِلْ دراسة المرحلة الثانوية في بلدها حينما تزوّجتْ .. فقالوا لها : ليس هذا مهمًا .. بل يكفي أنكِ أمريكية وتتحدّثين الإنجليزية بطلاقة .. فأولياء الأمور يهمهم أن يتأكّدوا بأن لدينا مدرسات أجنبيات .. وحرّروا معها عقدًا بمرتب ستمائة جنيه شهريًا بينما كان مرتب زوجها الطبيب لم يصل بعد إلى مائة جنيه !!..

ومعظم مدارس اللغات كان الطلاّب فيها يرسبون في اللغة الإنجليزية " المستوى الرفيع " في امتحانات الشهادة الابتدائية ، فيضطر أولياء الأمور إلى تحويل أبنائهم إلى المدارس الأميرية العربية بعد قضاء سبع سنوات في الحضانة والابتدائي ، ثم تبدأ بعد ذلك مشاكل الأولاد مع المواد التي كانوا يدرسونها بالإنجليزية ، وعليهم أن يدرسوها من جديد باللغة العربية .. إذن ، فهذه المدارس أو أغلبها لا تخفف من أزمة التعليم ، بل إنها تزيد من حدّتها .

قالت نوال مُعَلِّقَةً : إنك تتحدّث وكأنك خبير في التربية والتعليم !!.. فقلت : نسيتُ أن أذكرَ لكِ أنني كنتُ أعمل مديرًا للتعليم الخاص بإدارة عابدين التعليمية بالقاهرة .. فقالت نوال : آه .. هذا هو السبب .. فأنت بحكم عملك تعرف الكثير عن حقيقة المدارس الخاصة ، ولماذا تحدث هذه الأمور ؟.. أليست هناك ضوابط وشروط لابد من توافرها فيمن يعمل بالتدريس بالمدارس الخاصة أو من يديرونها ؟!.. قلت : الضوابط موجودة ، والقوانين المنظِّمة للعمل معروفة ، ولكن العيب في المتابعة ، إذ أن كل شيء عند بداية إنشاء المدرسة يكون متوافقًا مع القوانين واللوائح ، وبعد أن يصدر الترخيص للمدرسة بالعمل ، يتغيّر كل شيء حسب أهواء أصحاب المدارس، وما دامت المكافآت والهدايا تتدفق على المسئولين ، فالعين لا ترى ، والأذن لا تسمع ، واللسان لا ينطق .. ورحمة الله على التعليم وعلى المتعلمين !!..

وقالت نوال : ألم تحاول أن تفعل شيئًا وقد كنت أحد المسئولين عن التعليم الخاص ؟!.. فقلت : وماذا يستطيع مثلي أن يفعل مع العيون العمياء والآذان الصمّاء والألسنة الخرساء ؟!..

لقد قمتُ ذات مرة بعمل بحث بعنوان (التعليم الخاص – مشاكل وحلول) ذكرتُ فيه أهمية التعليم الخاص ، وشرحتُ أهم مشاكله ، وقدّمتّ بعض المقترحات لحل هذه المشاكل ، وأرسلتُ نُسَخًا منه إلى وزير التربية والتعليم ، وإلى وكيل أول الوزارة بالقاهرة ، وإلى إدارة التدريب ، وإلى مديري التعليم الخاص بالمديرية والوزارة وبعض مديري العموم .. ولم يتحرّك أحد ليبحث ويتحقق من المشاكل التي ذكرتُها ، أو حتى يناقشني فيما جاء بالبحث .. والأغرب من ذلك أن بعضهم كان يثني على البحث ويقول إنه عمل عظيم وأفكار بنّاءة ، وأنا واثق تمام الثقة أنه لم يقرأ صفحة واحدة منه !!..

وأثناء حديثي مع نوال ، أحسستُ بهزّة خفيفة ، أعقبتها هزّتان خفيفتان .. فلما رأتني نوال خَشيَتْ أن يتملكني الخوف كما حدث من قبل ، فبادرتْ وهي تمسك بيدي برقة وتبتسم ابتسامة مُطَمْئِنَةً وقالت : لا تَخَفْ .. إنَها بعض مطبات الهواء .. ولن تتكرّر .. ثم قالت : ألا تلاحظ أنك عرفتَ اسمي ، بينما أنا حتى الآن لم أعرف اسم حضرتك ؟!..فقلت لها : معذرة .. فإن الحديث قد أخذني بعيدًا .. اسمي " محمد ابراهيم " .. فقالت : في سياق حديثك قلتَ إنك كُنْتَ تعمل مديرًا للتعليم الخاص ، فهل معنى ذلك أنك تركتَ الخدمة ؟.. قلت لها : إنكِ ذكية ولّماحة .. فعلاً تركتُ الخدمة في شهر أبريل سنة ١٩٩٦ ، فقالت : معنى هذا أنك من مواليد شهر أبريل ، أي أنك من برج " الحَمَل" .. فقلت : لا ، أنا من مواليد شهر فبراير ، أي من برج " الدلو " فقالت : إن مواليد برج " الدلو " معروفون بأنهم عاطفيون ومتسامحون ، ولكنهم عندما يغضبون تكون ثورتُهم عارمة ، ولا يتراجعون .. ولكن اسمح لي أن أسألك .. إذا كنتَ من مواليد فبراير ، فكيف تركتَ الخدمة في أبريل ؟!..

تنهّدتُ تنهيدة طويلة ثم قلتُ : إن لهذا قصة طويلة لا داعي لسردها بالتفصيل ، ولكن سأذكرها لكِ بإيجاز .. قبل أن تنتهي مدّة خدمتي في فبراير ، أصدر السيد وزير التربية والتعليم قرارًا بمد خدمتي حتى شهر يونيو من نفس العام .. وحدث أن نشبت أزمة بيني وبين مجلة " آخر ساعة " ، حيث أساءت محررة بها إلى شخصي ، وحقيقةً إنَها لم تكن تتعمّد الإساءة ، ولكن عدم التزامها بميثاق الشرف الصحفي ، وابتعادها عن واجب التقصّي الدقيق للحقيقة ، جعلها تتورّط في هذه الإساءة ، فاضطررتُ إلى تحرير محضر وإبلاغ النيابة ضد المحررة والمجلة ، ورفعتُ قضية ضدهم .. ولكن هالني أن أجد أحد المسئولين الكبار بالوزارة ، يأخذ مني موقفًا معاديًا عندما اتصَلَتْ به المحررة ، وبدأ المسئول الكبير يُحَرِّضُ بعض المسئولين في المديرية والإدارة التعليمية لمضايقتي ، لإرغامي على التنازل عن القضية التي حررتُها ضد المحررة والمجلة .. ولما وجدتُ أن الموقف يتناقض مع أبسط قواعد الأصول .. إذ المفروض أن أرى المسئولين بالوزارة يدافعون عني باعتباري واحدًا من رجال التربية والتعليم ، خاصةً وأني صاحب حق .. ولكن يبدو أن هؤلاء الناس يعتبرون أن المفروض شيء والواقع شيء آخر .. فاضطررتُ إلى طلب إعفائي من استكمال المدّة التي قرّرها السيد الوزير .. وكان طلبي من خلال برقية أرسلتها للسيد الوزير وطلب رسمي لمدير عام الإدارة التعليمية ، وهكذا تركتُ العمل في أبريل ، لأني اعتبرتُ الموقف السلبيّ للمسئولين هو بمثابة مجاملة للصحفية وعلى حساب كرامتي .. فآثرتُ الانسحاب من العمل لأتفرغ للدفاع عن كرامتي أمام القضاء .

فقالت نوال : ألم أَقُلْ لك إن مواليد برج الدلو عندما يغضبون لا يتراجعون ؟!.. فقلت : لاحظي أيضًا أنكِ قلتِ منذ لحظات ، إن مواليد برج الدلو متسامحون .. وهم فعلاً كذلك ، ولكن مع الذين يؤمنون بأن الرجوع للحق فضيلة ، أما المستكبرون الذين لا يعترفون بأخطائهم ، ويتمادون في غطرستهم ، فالتسامح معهم لا يكون إلاّ صورة من صور الضعف والهوان ، وهذا ما لا يقبله من يعتزّ بكرامته ..

ثم قلت لها : دعينا من الحديث عن مشاكل مجتمعنا ، فقد أطلنا فيها .. ولنتحدّث عنكِ ، وسألتها : هل زيارتكِ لنيويورك من أجل الزيارة فقط ؟.. أم من أجل العمل أو الدراسة ؟ فقالت: بل للزيارة فقط .. فأنا أعمل مدرِّسة للتربية الفنية في مدرسة ثانوية بالقاهرة ، وأنا من خرِّيجات الفنون الجميلة ، وأبي مدير مرحلة بالتربية والتعليم .

وهنا وجدتُني أسرح من جديد ، وأنظر إليها وكأني أفحصها جيدًا وأقول لنفسي : ربما تصلح زوجة لنجلي حسام ، مهندس الديكور ، فهو أيضًا من خرِّيجي الفنون الجميلة ، هذا إذا لم يكن قد وقع اختياره على واحدة بعد !!..

وبينما كنت أفكّر في هذا الموضوع ، إذا بِهزّة شديدة للطائرة ، أفقتُ على أثرها لأجد الذعر قد سيطر على الآنسة نوال ، وعلى الركّاب في المقاعد المجاورة ، حتى أن بعض السيدات أطلقن بعض الصرخات ، وتعالت بعض الأصوات المستفسرة .. وأعترف أني كنتُ ممن اعتراهم الخوف والرعب ، وحاولتُ التظاهر بالتماسك ، وقلتُ للآنسة نوال : لا تخافي فإنها مجرّد مطبات في الهواء ، ثم يعود الهدوء للطائرة .. وما كِدْتُ أُنهي هذه العبارة ، حتى اهتزّت الطائرة مرّة أخرى ولكنها كانت أشدّ عنفًا في هذه المرّة .. وبدأ الأمر يأخذ في مخيلتي شكلاً آخر غير مطبات الهواء التي كنت أتحدّث عنها .. وإذا بصوت قائد الطائرة يرجو الركّاب الالتزام بربط أحزمة الأمان ، وعدم مغادرة مقاعدهم ، أو المشي في ممرّات الطائرة ، وعدم التدخين نهائيًا ، والالتزام بضبط النفس ، ثم قال : إننا نواجه مشكلة بسبب سوء الأحوال الجويّة ، وإن شاء الله سنتغلّب عليها ، وربما نضطر للهبوط الاضطراري في أقرب مطار ، ولهذا نرجو الهدوء حتى لا تتعقد الأمور .

وما أن انتهى قائد الطائرة من إعلان بيانه حتى ارتسم الوجوم على وجوه الجميع ، فالشفاه ترتعد وتتمتم ، والعيون جاحظة توجّه نظرات الخوف والتساؤل يمينًا ويسارًا ، لعلهم يجدون من يطمئنهم ، دون جدوى !!..

ونظرتُ إلى الآنسة نوال ، فوجدتُ الدموع تنهمر من عينيها المغمضتين ، وجسدها يرتعد ، وكانت شفتاها تتمتمان بكلمات لا أسمعها .. وبدأتُ أتساءل بيني وبين نفسي : ماذا لو ..؟ ولا أستطيع أن أكملَ ، ثم أقول : لا لا .. غير معقول ، وكأني أطرد أفكارًا مخيفة تحاول أن تسيطر على ذهني !!..

وفجأةً .. أحسستُ بهزّة أخرى ، ثم تَلَتْهَا بضعة هزّات متلاحقة ، بعضها عنيفة ، وبعضها خفيفة ، شعرتُ معها بأن أجهزة بدني التي بداخله ترتطم بعضها ببعض ، كما يحدث لزجاجة الدواء عندما " نرجّها " !!..

وبدأتُ أُدرِكُ أن الأمر جدّ خطير ، وأنه لابد وأن خللاً ما قد حدث للطائرة ، ولم يفصح عنه قائد الطائرة خوفًا من إثارة الفزع بين الركّاب .. ولكن تلك الهزّات المتلاحقة كانت كافية لتخبر الركّاب بما لم يفصح عنه قائد الطائرة .. وانتابني إحساس بأننا على وشك حدوث كارثة مؤكّدة ، وأننا معرّضون للفناء .. وأصبح الركّاب جميعهم بين من يبكي ومن يصرخ ومن يرتعد وقد انعقد لسانه فلا يقوى على الكلام.. ومنهم من يصلّي ومن يرفع كفّيه إلى السماء بالدّعاء مستغيثًا برحمة الله .. ومنهم من يبدو أنه تذكّر أعماله السيِّئة ويشعر بالندم ، ويقول وهو يرتعد : سامحني يارب !!..

هذا الجو المُرْعِبُ والمخيف جعلني أتذكّر أولادي ، وخاصةً الولدين اللذين تركتهما في القاهرة دون أن أُرَتِّبَ لهما أمر معيشتهما ، إذ أني لم أدّخرْ مالاً يكفي ليستعين به الولدان به ، إلاّ ذلك المعاش الهزيل ، الذي يُصرفُ لرجال التعليم ، الذين أفنوا شبابَهم وأضاعوا عمرهم في تربية النشء ، وحتى هذا المعاش الضئيل ، لن يأخذ نجلاي منه شيئًا ، حيث أنهما تخرّجا حديثًا ، ولم يلتحقا بعمل بعد .. وكيف ستواجه

زوجتي نبأ الكارثة التي على وشك الحدوث ، وماذا ستفعل لتصرف المعاش الذي سيُستَحَقُ لها ، وقد يستغرق صرفه وقتًا طويلاً كما يحدث دائمًا بسبب البيروقراطية والروتين العقيم ؟!..

كم كنتُ أتمنى أن تكون الآن بجواري لأقول لها : سامحيني إن كنت قد قصّرتُ في حقّكِ أو أسأتُ إليكِ يومًا !!..وكم تمنيتُ أن أُحقق وعدي لها بأن نسافرللحج معًا!!.وظللتُ أتساءل :ماذا سيفعل ولداي اللذان ينتظران وصولي بمطار نيويورك ؟!.. لابد أن الصدمة ستكون قاسية عليهما ، فمنذ عدّة شهور ، وهما يُلحّان عليّ لكي أُسافر إليهما ، وهما يأملان أن ينتشلاني من محيط المسئولية وحمل الهموم ولو لفترة وجيزة ، ونجحا أخيرًا في إقناعي بالسفر !!..

إنني أُشْفِقُ عليهما من أن يلوما نفسيهما ، وأن يشعرا بالذنب ، وربما يظنّان أنهما السبب في أن تكون نهايتي في هذه الكارثة المُفْجعَة .. كم أتمنى أن أقول لهما : إن الأجل محتوم ، وصدق الله تعالى إذ يقول :[وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ] ..

وبينما كنت غارقًا في هذه الأفكار ، إذا برائحة دخان تُنبئُ بأن شيئًا ما يحترق .. وكانت بعض المضيفات يجرين في ممرّات الطائرة ، كأنهن يبحثن عن أدوات لمنع الكارثة ، وقد اختفت تلك الابتسامات الوظيفية المصطنعة التي كُنَّ يرسمنها على وجوههن .. وبدأت رائحة الدخان تتزايد ، وصرخات النساء تتعالى ، كما كثرت الأصوات وتَدَاخَلَتْ بحيث لم يَعُدْ أحد يفهم منها شيئاً .. وأيْقَنْتُ أنها الكارثة .. النهاية لا محالة قادمة !!.. بينما لم أشعر بما انتابني منذ قليل من خوف وهلع ، إنما شعرتُ بهدوء غريب ، وأحاسيس متداخلة ومتباينة .. منها إحساس بالندم على ما فاتني من تقصير في حق الله ، أو في حق أحد من عباده ، وإحساس بالرغبة في التضرّع إلى الله أن يغفر لي ما بدر مني من زلاّت . وبدأتُ أتذكّر بعض الأعمال الطيبة التي

وفقني الله لأدائها ، وكأني أدعو الله بحق هذه الأعمال الخيِّرة أن يغفر لي .. وانتابني إحساس بالاستسلام لأمر الله .. وبدأ الدخان يظهر أمامي ويزداد شيئًا فشيئًا ، حتى أني لم أعُدْ أرى من الركّاب أحدًا من كثافة الدخان .. وبدأتُ أردّد الشهادتين ، استعدادًا للقاء الله !!.. ثم بدأ صوت الطائرة يعلو بشكل كبير حتى تضاءلتْ معه أصوات الركّاب المذعورين الذين يواجهون النهاية !!..

وبدأتْ تخترق أُذُنَيَّ أصوات فرقعات على فترات مختلفة ، وأزيز الطائرة .. وصرخات المذعورين ، ثم بدأتُ أشعر باختناق ، ولم أستطع إلاّ أن أقول : أشهد ألاّ إله إلاّالله وأن محمدًا رسول الله .. اللهم إني تركتُ في رعايتك زوجتي وأولادي ، فالطف بِهم وخفف عنهم .. وظللتُ أُرَدِّدُ كلمة " يا لطيف يا لطيف " .. وما هي إلاّ لحظات ، ولم أشعرْ بشيء ولا أدري ما حدث بعد ذلك ، ولا كم من الوقت مضى قبل أن أفتح عينيّ لأرى نفسي في مكان آخر غير مقعد الطائرة !!..

وجدتُ نفسي مستلقيًا على سرير ، وأحسستُ بمن يلمس ذراعي ويهزّه بِهدوء ، ويناديني قائلاً : بابا .. بابا .. حسام على التليفون ، ويريد أن يكلمك .. فقلتُ في نفسي : كيف عَرَفَ بالحادث ؟!.. ومتى وكيف جئتُ إلى هنا ؟!..
فقال لي الطبيب : هل نسيتَ يا بابا ؟!.. أنت هنا منذ شهر تقريبًا .. فقلتُ في نفسي: وماذا حدث للطائرة ؟! ، وما مدى إصابتي ؟!. وماذا حدث للآنسة نوال ؟!.. وكم من الركّاب نَجَوْا معي ؟!..

وإذا بنجلي الطبيب يقول : بابا ، حسام على التليفون .. وبدأتُ أُدَقِّقُ النظر فيما حولي .. فوجدتُ أني لستُ في مستشفى ، فأيقنتُ أن إصابتي ليست خطيرة .. وسمعتُ صوتًا صغيرًا يناديني : جِدُّو .. جِدُّو .. " قُمْ يا جدو لتلعب معي " .. وإذا به

صوت حفيدتي الغالية " إيمان " ابنة نجلي الطبيب .. وبدأتُ أتحسس جسدي لأعرف إصابتي .. وكنتُ أدعو الله في نفسي ألاَّ تكون الإصابة خطيرة !!..

وتقدّم نجلي الطبيب ، وأعانني على الاعتدال في السرير .. وكم سُرِرْتُ حين رأيتُ ساقيّ يتحرّكان ، وكذلك رأيتُ الذراعين !!.. وقلت : الحمد لله رب العالمين .

وإذا بنجلي الطبيب يقول : لقد فاتتك فرصة مشاهدة ذلك الفيلم عن الحرب العالمية الثانية .. وشيئًا فشيئًا بدأتُ أُفيق .. ورأيتُ أمامي بعض الدخان ، وقبل أن أسأل عن مصدره ، أدركتُ أنه دخان بخور ، والتفَتُّ حولي .. ورحتُ أتذكّرُ شيئًا فشيئًا .. وأدركتُ أخيرًا أن ما حدث في الطائرة لم يكن إلاّ مجرّد حُلْم مُزْعِج ، وأنني لم أتعرّض لكارثة الطائرة .. فلم تكن هناك كارثة ، ولا طائرة ، ولا حتى .. مطبات في الهواء !!..

صَــنْعَــه .. واللاّ خُــلُوّ بَــال ؟!..

الحاج عبد الله ، أو أبوأحمد كما يناديه أهل الحيّ ، من أمهر الحرفيين في تجارة الزجاج وتشكيله وتقطيعه ، وتكوين الأشكال الفنية الرائعة من قطع الزجاج الملوّن .. وهو يمارس هذه المهنة منذ كان صبيًا في الحادية عشرة من عمره .. وورث هذا الفن عن جدّه وعن أبيه الذي تولّى أمر المحل بعد وفاة الجدّ .. وقد تعلّم الحاج عبد الله هذا الفن وأتقنه عن أبيه .. وبعد وفاة أبيه ، تولّى هو أمر المحل .. ومع الأيام ، كان عشقه لهذا الفن يزداد حتى أصبح من أشهر العاملين في هذا المجال .. وقد اعتاد الحاج عبد الله أن " يُدَنْدِن " بالغناء أثناء تقطيع الزجاج، وعمل البراويز وتكوين التشكيلات المزخرفة من قطع الزجاج الملوّن الذي كان ينشر انعكاسات الأضواء الملوّنة كلما حرّك تلك البراويز والتشكيلات التي يصنعها ..

وكان من عادة أهل الحيّ من السكّان أو أصحاب المحلات المجاورة ، أن يحيي بعضهم بعضًا .. ومن بين هؤلاء كان " الأسطى سالم " النجّار ، الذي كان محله يقرب من ورشة الحاج عبد الله .. وقد اعتاد الأسطى سالم كلما مرّ أمام محل الحاج عبد الله ، أن يحييه قائلاً : صباح الفن على أهل الفن .. فيجيب الحاج عبد الله قائلاً : صباح الرضى على أهل الرضى !!..ثم يواصل أداء المواويل، وهو يشعر بالنشوة والسعادة .

وذات صباح ، أقبل الأسطى سالم على الحاج عبد الله ، وهو يؤدّي عمله ، وكانت أمامه لوحة كبيرة يشكّلها من قطع الزجاج الملوّن ، وكان يبدو عليه الاهتمام الزائد لدرجة أنه كان يقطع أداء الموّال في بعض اللحظات لكي يركّز اهتمامه في اللوحة التي أمامه ، ثم يستأنف غناء الموّال .. ولما رأى الأسطى سالمُ صديقَه الحاج عبد الله مشغولاً بما في يديه ، قال له : صباح الفن على أهل الفن والموّال !!.. جرى إيه يا حاج عبد الله .. بتقطع الموّال ليه النهاردة ؟!..فقال الحاج عبد الله : أبدًا ياأسطى سالم .. أصل الحتة اللي قدّامي فيها شويّة شغل معقّد حبتين .. فقال الأسطى

سالم : وهوّ من إمتى بتصعب عليك حاجة في الشغل؟!.. إوعى تكون عجَزت يا بو أحمد والمهارة قلّت في إيدك .. فقال الحاج أحمد : فشرْ .. دنا لسّه في عزّ شبابي ، والمهارة في إيدي عمرها ما تقلّ أبدًا .. عيب .. داحنا أصحاب الصّنعة !!.. فاقترب منه الأسطى سالم ، ونظر إلى اللوحة التي يشكّلها الحاج أحمد ، فكانت مثالاً للجمال والدّقة في الصنع .. فقال الأسطى سالم : ما شاء الله ، ما شاء الله !!..اللهم صلّ على النبي !!.. تسلم إيدك يا بو أحمد .. ثم قال : إلاّ قولّي يا بو أحمد ، يا ترى !! المهارة دي ، السّر فيها .. صنعة واللاّ خلوّ بال ؟!..فقال أبو أحمد : طبعًا صنعة .. فردّ الأسطى سالم : ما قلناش حاجة ، بس الصّنعة محتاجة خلوّ بال .. وإلاّ اتلخبط الشغل .
فقال أبو أحمد : خلوّ بال مين وبتاع مين يا عم !!.الصّنعة هيّ الأساس يااسطى !!..آل خلوّ بال آل !!..

فقال الأسطى سالم : طيب يا عم ، الله يعينك .. أسيبك أنا بقى للصّنعة ، وأروح الورشة ، سلام يابو أحمد .

فيقول الحاج أحمد : سلام يا خويا .. وابقى سلّم لي على خلوّ بالك .. ويضحك ويقول ساخرًا : آل خلوّ بال آل !!.. ثم يستأنف عمله وهو يغنّي ويقول : الفن مدرسة وفيها نتعلّم .. والشغل دا هندسة والصّنعة تتكلّم ..وقد ترامت هذه الكلمات إلى مسامع الأسطى سالم ، الذي أنصتَ إليها باهتمام ، ثم هزّ رأسه متعجبًا !!..

ومرّت إحدى سيدات الحيّ من الشابات ، وقالت : صباح الفل يابو أحمد .. فأجاب أبو أحمد : صباح الفل والياسمين ، والخير على الحلوين !!..

ويأتي بائع العرقسوس ، الذي يُعْلِنُ عن وصوله بصوت " صاجاته " الصفراء ، ثم يقول : الخمير الشفا .. يقرَّب الحبيب ويمنع الجفا .. والفلوس قبل العرقسوس ، واللي مامعهوش مايشربوش ، واللي ما يشربوش ما يعرفوش ، واللي ما يعرفوش ، يبقوا ما يستاهلوش ، ويبقوا زيّ كلينتون أو زيّ بوش ''

ويتجمّع حول بائع العرقسوس الكبار والصّغار ، وهم يضحكون .. ويصبّ لهم ويملأ الأكواب .. ثم يقول للحاج أحمد : السلام عليكم يابو أحمد .. صباح الخير والفن .. العرقسوس بيصبّح .. فيردّ الحاج أحمد ووجهه مشرق بابتسامة : وعليكم السلام يا أمير .. صُبّ وهات الخمير .. فيأتي إليه بائع العرقسوس ويعطيه الكوب .. وأثناء ذلك يمرّ المعلّم حنفي الجزّار ، فيحيّي الحاج عبد الله قائلاً : صباح الخير على عمدة الفن والصّنعة ..

فيردّ أبو أحمد : أهلاً بسيد المعلّمين وعمدة الجزّارين .. تعالى يا معلّم حنفي ..

(ويخاطب بائع العرقسوس) : صُب يا واد الخمير ، للمعلّم حنفي الأمير .

فيقول المعلّم حنفي : تسلم يا بو الكرَم ، يابو أحمد يا محترم .(ويشرب العرقسوس) ويقول : دايمًا سابقنا بخيرك يابوأحمد !!..

فيقول أبو أحمد : استغفر الله ، دا كله من خيرك وجمايلك اللي مغرّقانا يا معلّم حنفي .

فيردّ المعلّم حنفي : العفو يا خويا ، مافيش بين الحبايب جمايل ولا حاجة ، ربنا يديم المعروف .

يقول أبو أحمد : أمّا الحتّة اللي قطعتها لنا امبارح ، كانت زيّ اللوز .. والوليّة ام أحمد بقت تدعيلك ، وتقول : أهي دي اللحمة واللاّ بلاش .. دي ماستحملتش غلوة على النار .. وبقينا ناكل منها ونقول : تسلم إيدك يا معلّم حنفي !!..

ويقول المعلّم حنفي وهو يبتسم : بالهنا والشفا ، يا جار الهنا .. وبعد أن شرب العرقسوس ، استأذن قائلاً : بالإذن بقى يا بو أحمد ، أمّا أوصل لحد الدكّان .

يقول أبو أحمد : مع السلامة ياخويا ، في أمان الله ..

ويحاسب أبو أحمد بائعَ العرقسوس ثم يقول له : روح صُب شوية عرقسوس للاسطى سالم .

ويقول البائع : ماهو شرب .

فيقول أبو أحمد : وماله ، صُب له تاني .

ينصرف بائع العرقسوس ، ويستأنف الحاج عبد الله " أبو أحمد " العمل في اللوحة الكبيرة ، وهو يغنيّ .. وكان من عادته أن يُغلق المحل الساعة الثانية بعد الظهر ، ويذهب إلى بيته للغداء ، ثم يعود للمحل الساعة الرابعة مساء .

وذات يوم ، أغلق المحل كعادته ، وذهب إلى البيت ليتناول الغداء .. وعندما طرق باب شقته ، تأخرت زوجته قليلاً حيث كانت مشغولة في المطبخ .. ولما فتحتْ له الباب قال لها : جرى إيه يا ام أحمد ، سايباني واقف على الباب المدّة دي كلها ؟!..

فقالت : معلش يا خويا .. أصلي كنت في المطبخ وإيدي مش فاضية .. ويادوب ، على ما غسلت إيدي وجيت على طول .

ودخل أبو أحمد إلى الصالة ، فوجد على منضدة السفرة كمية كبيرة من التفاح والموز والبرتقال ، فدُهِشَ لوجود هذه الفواكه وبِهذه الكمية .. وكانت أم أحمد قد ذهبت إلى المطبخ ، لتواصل إعداد الطعام .. بينما جلس أبو أحمد شاردًا .. وبعد قليل قام منتفضًا ، وآثار الغضب أقطبت جبينه ، وصاح بأعلى صوته : أم أحمد ، فجاءت تجري ، وبمجرّد أن رأته وقد ملأه الغضب ، واتسعت عيناه وكأنهما مملوءتان بالشرر.. فارتعدت أوصالها وارتجف بدنُها ، وتملّكتها قشعريرة الخوف والرعب ، وقالت : نعم؟.. فإذا به يقول في غضب شديد: مين اللي جاب الفاكهة دي ؟؟!!.. وضرب بيده على الفاكهة التي سقط بعضها على الأرض ..

فقالت أم أحمد : اسم الله عليك يا بو أحمد !! إنت يا خويا اللي بعتتها مع الواد ..

فاشتط غضبه أكثر وقال : واد مين يا وليّة ؟!.. أما مابعتّش حاجة مع حدّ !!..

قالت أم أحمد (وقد ازدادت خوفًا ورعبًا) : الواد اللي جابْها وجاب معاه اللحمة والخضار ، وقال لي إن أبو أحمد باعتْ الحاجات دي وبيقولّك وضّبيها على الغدا عشان حييجي ومعاه ضيوف .

فصاح أبو أحمد غاضبًا : وكمان لحمة وخضار ؟!!.. إنتِ يا وليّة حتجننيني ؟!.. أنا بقولّك ما بعتّش حاجة مع حدّ .. ثم أمسك بتلابيبها ، وكاد يخنقها وهو يقول في ثورة غضبه : أنا لازم اعرف الحاجات دي جبتيها منين !!..

فقالت : إنت يا خويا اللي بعَتَّها مع الواد .

فيقول : إنتِ لسّه بتقولي أنا اللي بَعَتَّها ؟!.. وأمسك بها وراح يضربُها في قسوة ، وبلا وعي وهو يقول : أنا مابَعَتِّش حاجة ، ما بَعَتِّش حاجة ..

ووقعَتْ أم أحمد على الأرض منهارة وهي تقول : إخص عليك يا بو أحمد .. إخص عليك !!..

وهنا دخل ابنهما أحمد ، وهو شاب في العشرين من العمر ، وأسرع إلى أمّه وهو يبعدها عن طريق أبيه ، وقد عقدت الدهشة لسانه .. فإنّها المرّة الأولى التي يرى فيها أباه وهو يضرب أمّه ، تلك السيدة الطيبة التي تحترم زوجها ، ولا تعصي له أمرًا .. وقال لأبيه مستنكرًا ما حدث : إيه يابابا ؟ إيه اللي حصل ؟!.. دنا عمري ما شفتك غضبان بالشكل ده !!..وعمري ما شفتك مدّيت إيدك على أمّي .. إيه اللي حصل عشان تعمل ده كله ؟!..

وكأن هذه الكلمات قد أيقظت الرجل من كابوس رهيب .. ووقف أبو أحمد مشدوهًا لا يدري ماذا فعل !!.. وأخذه ابنه أحمد بهدوء وقال له : هدّي نفسك ووحّد الله ، وصلّ على النبي.. اقعد وروّق .. وخلّينا نتفاهم بالعقل .. معقول إنت أبو أحمد ، اللي كل الناس بتتكلم عن طبعك الهادي ، ومزاجك الرّايق ؟!.. قوللي بقى .. إيه اللي ضايقك وخلاّك تخرج عن وعيك ، وتضرب أم أحمد ، اللي طول عمرها بتحترمك وبتنفّذ أوامرك ، وعمرها ما عارضتك في حاجة قلتها أبدًا ؟!..

كل هذا وأبو أحمد شارد بفكره ، وتكاد الهواجس تفتك بعقله .. ويضرب الرجل كفًا بكف ويقول : استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم .. ويكرّر هذا بين الحين والحين .. فاضطر الابن أن يخاطب أمّه قائلاً : إيه اللي حصل يا أمّي ؟!..

وحاولتْ الأم أن تكف عن البكاء ، وقالت لابنها : ماعرفش يابني .. فيه واد جه وجاب فاكهة ولحمة وخضار ، وقاللي إن أبو أحمد بيقولّك وضّبي الغدا عشان فيه ضيوف حيتغدّوا معانا .. ولما وصل أبوك بيقول إنه ما بَعَتْشِ حاجة .. وبيقوللّي مين اللي جاب الحاجات دي ؟ أنا ذنبي إيه بقى، يضربني بعد العمر الطويل ده ؟!..إيه الغلط اللي انا عملته عشان يضربني بالشكل ده ؟!..

فربَتَ أحمد على ظهر أمّه وهدّأ من غضبها وقال لها : اصبري يا أمّي لّما يهدأ أبويا ونشوف إيه الحكاية .. واستدار أحمد إلى ناحية أبيه وقال له : وحّد الله يا بو أحمد وصلّ على النبي ، وافتكر كويّس مش يمكن إنت اللي بَعَتّ الحاجات دي وناسي ؟!..

فصاح أبوه غاضبًا : إنت بتقول إيه يابني ؟!.. هوّ انا مسطول للدرجة دي ؟!.. بقى معقول ابْعَتْ تفاح وموز وبرتقال ولحمة وخضار .. كل ده وانا ناسي ؟!.. لا حول ولا قوّة إلاّ بالله !!..

وظلّ الحاج عبد الله يضرب كفًا بكف ، ثم يقوم ويتوجّه إلى حجرة النوم وهو يقول : يا لطيف الألطاف ، الطف بعقلي يا رب !!.. ويدخل الحجرة ويغلقها خلفه بشدّة .. بينما يجلس أحمد وأمّه حائرَيْن لا يدريان تفسيرًا لما حدث .. ويقول أحمد لنفسه : إذا كان أبويا ما بَعَتْشِ الحاجات دي .. أمّال يبقى مين اللي بَعَتْهَا ، ويقصد إيه من كده ؟!..

وتدخل أم أحمد المطبخ ، وتعود بأطباق الطعام وتضعها على المائدة ، وتطلب من أحمد أن يستدعي أباه لتناول الغداء .. ويطرق أحمد الباب مناديًا أباه : تعالى يابا ، الغدا جاهز .. ويخرج أبو أحمد والغضب مازال باديًا علىوجهه ويقول : وكمان عاوزيني آكل من الأكل اللي لا بَعَتُّه ولا اعرف مين اللي بَعَتُه !!..

فقال أحمد مهدّئًا : طيب بلاش تاكل منّه .. كُلْ أيّ حاجة خفيفة من اللي في البيت .

فقال أبو أحمد : قسمًا بالله ، ما أدوق أيّ حاجة في البيت ده إلاّ لما اعرف مين اللي بَعَتْ الحاجات دي .. ثم خرج من الشقة غاضبًا .. وذهب إلى الورشة حيث فتحها

وجلس على كرسيّ ، ووضع رأسه على يده مستغرقًا في التفكير ، وبين الحين والحين ، يضرب كفًا بكف ، وينفخ ويقول : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، ويشير بيديه وكأنه يحدّث نفسه .. وتمرّ إحدى السيدات وتقول : السلام عليكم يابو أحمد ..فلا يجيب ، لأنه لم يسمعها لكثرة ما يشغله من الفكر ، فتندهش السيدة وتنصرف لحالها .. وبعد قليل يمرّ المعلّم حنفي ، ويرى الحاج عبد الله وقد عاد إلى المحل قبل موعده المعتاد ، ويراه وهو جالس مستغرقًا في التفكير ورأسه على يده ، فيقول المعلّم حنفي : الله .. إيه اللي جابك بدري النهارده يا بو أحمد ، يعني مش عادتك ؟!. فلا يجيب أبو أحمد .. فيقترب منه المعلّم حنفي ويقول : إيه يا بو أحمد .. خير ياخويا مالك .. فيه إيه ؟!.. ولكن الرجل لا يجيب ، فهو لم يشعر بوجود المعلّم حنفي .. فيقترب منه المعلّم حنفي ، ويضع يده على كتفه ويقول : إيه يا عم .. إنت مش معانا واللاّ إيه ؟!.. فينتبه أبو أحمد ، وينظر إلى المعلّم حنفي ويقول : نعم ، خير .. فيه إيه ؟!..

فيقول المعلّم حنفي : ياه !!.. كل ده وماسمعتنيش .. دنا بقى لي مدّة بكلّمك وانت ، ولا انت هنا !!.. إيه يابو أحمد ..فيه إيه ياخويا كفى الله الشر ؟!..وَغْوِشْتِنِي !!..

فيقول أبو أحمد : والله مشغول شويّة يا معلّم حنفي .

فيقول المعلّم حنفي : مشغول ؟!.. وإيه اللي يشغلك ، لا سمح الله ، ويخلّيك سرحان خالص بالشكل ده ؟!.. محتاج فلوس ياخويا ؟!.. أنا تحت أمرك (ويُخْرِجُ محفظته) اطلب ياخويا اللي انت عاوزه ولا يهمّك .. احنا طول عمرنا جيران واخوات وحبايب ، ومافيش فرق بين الاخوات وبعضها .. وانت طول عمرك راجل جَدَعْ وصاحب واجب وكلّك معروف .

يمدّ أبو أحمد يده معترضًا على إخراج المحفظة ويقول : كتّر خيرك يا معلّم حنفي .. المسألة مش مسألة فلوس ، وخير ربنا موجود والحمد لله ، المسألة حاجة تانية خالص ، مش حاقدر أحكيها لك دلوقت .

فيقول المعلّم حنفي : طيّب على أيّ حال ، أنا حاسيبك دلوقت شويّة لما تروق ، وبعدين أجيلك نتكلّم تاني .. بس أحب اقولّك ، مفيش حاجة في الدنيا دي تستاهل إنك تشيل همّ وتحط إيدك على خدّك ، وتضيّع الضحكة الحلوة اللي بنشوفها على وشّك كل يوم .. دوس على الدنيا ، وارمي همومك ورا ظهرك ، وسلّمها لله .. ربنا مايحرمناش من مواويلك الحلوة ، اللي بتشجينا .. قوم يابو أحمد .. قوم .. سمّي وصلّي على النبي ، وشوف شغلك .. يمكن الشغل يروّق بالك !!..

ويقوم الحاج عبد الله ويقول : عندك حق .. (وينصرف المعلّم حنفي) ، ويمسك أبو أحمد بأدوات العمل ، كالأزميل والشاكوش الصغير ، ويبدأ العمل ويدق على قطعة كبيرة من الزجاج فتنكسر ، وتتحوّل إلى قطع متناثرة ، فترتعد يداه ، وتعتريه دهشة كبيرة ، ويقول في نفسه : إيه ده ؟!.. دي أوّل مرّة تحصل !!.. ويأتي بقطعة أخرى ، ويدق عليها فتنكسر وتتحوّل إلى قطع غير متساوية ، فيشتدّ غضبه ، وتتضاعف دهشته ، ويُلْقِي بالأزميل على الأرض في غضب ، ويقول : إيه اللي بيحصل ده ؟!.. أنا جرى لي إيه ؟!.. ويجلس على الكرسيّ في شبه انهيار ويأس ودهشة ، وبعد قليل يأتي الأسطى سالم النجار ، ويُلْقِي السلام على الحاج عبد الله ، فلا يجيب .. فيقترب منه فيراه شاردًا ، كما يرى قطع الزجاج المتناثرة على الأرض ، وكذلك الأزميل والشاكوش ، بينما أبو أحمد يضع رأسه على ذراعه الذي يستند على حرف منضدة الزجاج ..فينحني الأسطى سالم ويلتقط الأزميل والشاكوش ويضعهما على المنضدة ، ويربت على كتف الحاج عبد الله ، ويقول له : إيه يا بو أحمد .. خير .. مالك كفى الله الشر ؟!.. فيرفع أبو أحمد رأسه ، فإذا بعينيه تنزل منهما الدموع ، وينظر نظرة كأنه حائر لا يدري أين هو ، ولا ماذا يحدث !!..

فيقول الأسطى سالم : الله الله .. إنت بتبكي يابو أحمد ؟!.. إيه اللي جرى .. وإيه الزجاج المكسور دا كله ؟!..

فيقول أبو أحمد : مش عارف ياسطى سالم إيه اللي جرى لي .. إيديّ بتترعش ، ومش قادر اتحكّم في الشاكوش والأزميل !!.. كل ما أدُقّ ينكسر الزجاج ويتفتفت زيّ ماانت شايف كده !!..

فيقول الأسطى سالم : غريبة !!.. الحكاية دي ماحصلتش معاك قبل كده !!..

فيسارع أبوأحمد ويقول : أبدًا والله ياخويا .. عمرها ما حصلت !!..

فيقول الأسطى سالم : يكونش بالك مشغول حبتين واللاّ ما أخدتش راحتك من النوم كويّس ؟!.

فيقول أبو أحمد : أيوه ، أنا مشغول شويّة .

يقول الأسطى سالم : أيوه ، بس انت طول عمرك أسطى في الصّنعة !!..

فيقول أبو أحمد : أيوه .. بس الصنعة برضه عاوزه البال الرّايق .

فيردّ الأسطى سالم : الله الله .. ما هو ده اللي كنت باقولهولك " صنعة واللاّ خلوّ بال " تقوللي صنعة .. عرفت بقى إن خلوّ البال ضروري عشان نتقن الصنعة ؟!..

فيقول أبو أحمد : عندك حق .

الأسطى سالم : يعني اعترفت دلوقت ؟..

أبو أحمد : أيوه .

الأسطى سالم : طيّب روّق بقى يا عمّ .

أبو أحمد : منين حيجيني رَوَقَان البال ؟!..

الأسطى سالم : أنا اللي حَرَوَّقْ لك بالك ..

أبو أحمد : ياريت ياسطى سالم !!..

الأسطى سالم : بس على شرط .. تدفع اللّي اطلبه منّك .

أبو أحمد : دنا ادّيلك رقبتي .

الأسطى سالم : لا يا عمّ .. أما مش عاوز رقبتك .. أنا عاوز ثمن التفاح والموز والبرتقال اللي بَعَتُّهُولَكْ البيت .

فيصرخ أبو أحمد ويقول : بتقول إيه ؟!.. هوّ انت اللي ..

فيقاطعه الأسطى سالم ويقول : أيوه أنا اللي بَعَتّ الفاكهة واللحمة والخضار كمان .. بس اللحمة والخضار على حسابي .. وانا اللي حاكون من الضيوف اللي حيتغدّوا معاك ..

فيقول أبو أحمد (وقد ارتاح باله) : الله يخرب بيت شيطانك !!.. يا راجل ، دي عَمْلَه تِعْمِلْهَا ؟!

طيّرت برج من دماغي .. وخلّتني ضربت أم أحمد لأوّل مرّة في حياتي !! ..

الأسطى سالم : أعمل لك إيه ؟ مانا كل ما أسألك " صنعة واللاّ خلوّ بال " تقوللّي صنعة .. فحبّيت أدّيلك درس .. عشان تعرف إن خلوّ البال لابد منّه ، عشان نتقن الصّنعة !!..

أبو أحمد : عندك حق .. يا خبر أبيض !!.. دلوقت بس ارتاح بالي .. ولازم تيجي تتغدّى معانا ، وبالمرّة ، نصالح أم أحمد (ويبدأ أبو أحمد في إغلاق المحل) ، ثم يأخذ معه الأسطى سالم في طريقهما إلى البيت ، وينادي وهو يصعد السلّم : أم أحمد ، أم أحمد .. فتخرج أم أحمد من باب الشقة ، ومعها ابنها أحمد ، فتنظر إلى السلّم فترى الحاج عبد الله ، ومعه الأسطى سالم .

فيقول لها أبو أحمد ، وهو يبتسم : الضيوف جُمْ معايا .. ياللاّ جهّزي الغدا ..

فينظر أحمد وأمّه إلى بعضهما مندهِشَيْن .. ويدخل أبو أحمد ومعه الأسطى سالم ، الذي يقول لأم أحمد : سامحيني يا أم أحمد ، أنا اللي بَعَتّ الفاكهة واللحمة والخضار .. عشان أشْغِلْ باله ، واشوف حيعمل إيه بالصّنعة مع انشغال البال ، ومعلش يا ست ، حقّك عليّ .. امسحيها فيّ انا .

ونظر أبو أحمد إلى زوجته في خجل وقال : معلش يا أم أحمد ، سامحيني .. أنا غلطان .. وعشان أراضيكي اعملي حسابك ، حنزل بكره إن شاء الله حيّ الصّاغة ، وتنقّي لك ثلاث غوايش على مزاجك .. ومن أوّل الأسبوع الجاي ، من غير مقاطعة

نسافر رأس البر ، نقضي لنا فيها أسبوعين ، عشان أصالحك .. هيه .. سامحتيني يا أم أحمد ؟؟..

قالت أم أحمد : هوّ انا أقدر ما سامحاكش يا بو أحمد ؟!.. (وضحك الجميع) .

وبعد تناول الغداء ، وأثناء تناول الفاكهة ، قال الأسطى سالم :

هيه يا بو أحمد .. صنعة واللاّ خلوّ بال ؟..

فصاح أبو أحمد : خلوّ بال يا عمّ .. خلوّ بال .. ربنا ينعم علينا جميعًا بخلوّ البال !!..

ابْـنُ الْـعُـمْـدَة

كان لكتّاب القرية في الزمن الماضي دور كبير في تعليم الأطفال وتربيتهم وتشكيل شخصياتهم ، والتحكّم في بعض عاداتِهم وتقاليدهم وأنماط سلوكياتِهم .. وكان من عادة أهل الريف أن يرسلوا أطفالهم إلى كتّاب القرية منذ حداثة سنهم ، ليتعلموا القراءة والكتابة ، وليحفظوا القرآن الكريم .. وكان شيخ الكتّاب يحظى باحترام كبير من أولياء أمور الأطفال الذين يعلمهم الشيخ .. ورغم أن الأطفال كانوا يتسابقون في حِفظ آيات القرآن الكريم .. إلاّ أنهم كانوا يرهبون الشيخ ويخافون قسوته ، فإن عصاه الطويلة تلهب أجسادهم بكل قسوة إذا ما تكاسل أحدهم في الحِفظ أو أداء الواجب ، أو إذا ما أتى أحدهم عملاً يخالف أوامر وتعليمات الشيخ الذي كان الجميع ينادونه بلقب " سيّدنا " .. أما أولياء الأمور وأهالي القرية فكانوا ينادونه بلقب " مولانا " .

وكان لسيدنا أو مولانا من المهابة والاحترام ما يجعل الناس تترجّل عن ركائبهم إذا ما مرّوا به ، وإذا دخل على مجلس من المجالس كان يسارع الجميع بالوقوف إجلالاً واحترامًا له .. وكثيرًا ما كان عمدة القرية وكبار رجالها يطلبون رأيه في المشاكل التي تعرض لهم .. وذات يوم حضر ابن العمدة إلى الكتّاب متأخرًا ، وكان تلميذًا من تلاميذ الكتّاب .. فأمره الشيخ بالوقوف ووجهه للحائط حوالي ربع الساعة ، ثم سمح له بالجلوس ..وكان ابن العمدة لا يتجاوز الثامنة من العمر ، وكان يتفاخر أمام زملائه بأنه ابن العمدة .. ولما جلس ، وجد الطفل الذي يجلس بجواره يضحك ويحاول أن يكتم ضحكه حتى لا يسمعه " سيدنا " وكان اسمه " حسن " فنظر ابن العمدة إلى حسن وقال له : لماذا تضحك ؟ .. هل تسخر منّي ؟ .فلم يردّ زميله .. فبادره ابن العمدة بلكمة خفيفة على ظهره قائلاً له :" طيّب ، والله العظيم ما انا عاتقك عن

الضرب ، بس لما نخرج من الكتّاب"، وهنا يبدو أن الشيخ قد سمع صوت همهمة ، فقال في غضب : مين اللي بيتكلّم هناك ؟

فلم يُجبْ أحد ، فسأل مرّة أخرى : أنا قلت مين اللي بيتكلّم هناك ؟ فوقف حسن خائفًا وقال : أحمد اللي اتكلّم ياسيدنا، فقال الشيخ مخاطبًا أحمد : بتتكلّم ليه يا أحمد ؟ قال أحمد خائفًا : لا يا سيدنا .. أنا ماتكلّمتش ، دا حسن هوّ اللي اتكلّم .

فقال الشيخ : تعالَ هنا انت وهوّ .. فخرج حسن من مقعده وذهب إلى مكان الشيخ بينما تباطأ أحمد ابن العمدة .. فإذا بالشيخ يضربه بعصاه الطويلة ضربة واحدة قائلاً : إنت لسه في مكانك .. ماسمعتنيش وانا باقول ، تعالَ هنا انت وهوّ ؟..

فأسرع أحمد وترك مكانه ، وذهب إلى موقع الشيخ ، وهو يتحسس مكان ضربة العصا على جسده ، ويقطب جبينه من الغضب .. فبادر الشيخ بسؤال حسن قائلاً :

قول يا حسن ، أنا أعرف إنك ما بتكدبش أبدًا .. إيه اللي حصل ؟

فنظر حسن إلى أحمد ، الذي كانت نظراته تتوعّده ، وكأنه يقول لحسن : إيّاك أن تقول الحقيقة .

وكان حسن يشعر بالخوف من أحمد، وإذا بالشيخ يزعق فيه ويقول: إنت ساكت ليه يا حسن ؟.. اتكلّم .. فارتعد حسن خوفًا من الشيخ .. ولم يجد بدًا من قول الحقيقة ، وذكر حسن للشيخ تهديد أحمد له بعد الخروج من الكتّاب .. فنظر الشيخ إلى أحمد الذي ارتعدت فرائصه ، وبدا على وجهه الخوف ، وقال : لا يا سيدنا ، ماتصدّقش حسن .. دا كذّاب .

فقام الشيخ وقال لأحمد : إخرس ياكلب ..إنت اللي كذّاب .. أنا عارف حسن كويّس .. عمره ما يكذب .. وهوى الشيخ بالعصا على ظهر أحمد ، وقال له :

إنت عامل لي فيها ابن عمدة ؟.. أنا هنا مفيش عندي ابن عمدة وابن غفير .

ثار أحمد وهو يتحسس مكان ضربة العصا على ظهره ، وقال للشيخ : ما تضربنيش .. والله لو ضربتني تاني ، لازم أقول لابويا العمدة .. فقام الشيخ غاضبًا ، والهال على

أحمد ضربًا بالعصا على أماكن متفرّقة من جسده ، بينما كان أحمد يصرخ ويتوجّع من شدّة الألم .. ثم استطاع أحمد أن يفلت من عصا الشيخ ، ويسرع خارجًا من الكتّاب وهو يقول : والله لاقُول لابويا العمدة ، واخلّيه يضربك زيّ ما ضربتني ..

قالها بسذاجة .. لأنه كثيرًا ما رأى أباه العمدة ، وهو ينهر بعض الرجال ، وقد يضرب بعضهم إذا ارتكبوا بعض الأخطاء ، فظن أحمد الطفل بفكره الطفوليّ الساذج أن أباه العمدة يمكن أن يتعامل مع الشيخ كما يتعامل مع غيره من أهالي القرية .

ظل أحمد يجري ويسرع في الجري حتى وصل إلى دار أبيه العمدة ، وتعمّد أن يشتدّ بكاؤه أمام أبيه الذي كان يجلس مع بعض الأهالي ، وإلى جواره شيخ البلد ، بينما كان يقف بعض الخفراء حاملين البنادق .. فسأل العمدة ابنه : إيه ، مالك ؟ بتبكي ليه ؟..
فقال أحمد (وهو مازال يتحسس مكان الضرب ويبكي ليستدرّ عطف أبيه ، فيثأر له من الشيخ الذي ضربه) : سيدنا ضربني بالعصا هنا وهنا وهنا ، وهو يشير إلى أماكن متفرقة من جسده ، ويشتدّ في بكائه .
فقال العمدة : ليه ، إنت عملت إيه ؟ .. لازم عملت حاجة غلط ..
فقال أحمد : لأ ، ماعملتش حاجة .. دا الواد حسن أبو متولّي اللي قاعد جاري قال لسيدنا إن أنا اتكلّمت .. فقال العمدة : طيّب ، وانت اتكلّمت واللاّ لأ ؟
فطأطأ أحمد رأسه ونظر إلى الأرض خجلاً ، ثم قال : أصل الواد حسن أبو متولّي كان بيضحك عليّ ، فضربته على ظهره وقلت له حاورّيك لما نخرج من الكتّاب .
فابتسم الحاضرون ، وقال العمدة لابنه : عشان كده ضربك " مولانا " ؟
فقال أحمد : أيوه .. ولازم تيجي معايا بكره الصبح ، وتضربه زيّ ما ضربني .. هوّ مش عارف إن أنا ابن العمدة واللاّ إيه ؟..

فنظر الحاضرون بعضهم إلى بعض وهم يبتسمون ويتعجّبون لسذاجة الطفل أحمد ، ثم نظروا جميعًا إلى العمدة منتظرين إجابته وكيف ستكون .. فإذا بالعمدة " وهو يغمز

بعينه للحاضرين" يقول لابنه : أيوه طبعًا ، انت ابن العمدة .. وأنا حاروح معاك الكتّاب إن شاء الله بكره الصبح .

ابتسم أحمد عندما سمع إجابة أبيه ، وفرح لأن أباه سيواجه سيدنا ، وسينهره ويؤنبه لضربه أحمد " ابن العمدة " .. وربما يضربه كما ضرب ابنه ..وحينئذ سيختال أحمد أمام زميله حسن ، وبقية الأطفال ، الذين يجب أن يعرفوا أن هناك فرقًا بين ابن العمدة وبين غيره من أطفال الكتّاب .

وفي المساء ، وبعد صلاة العشاء في المسجد ، قابل العمدةُ شيخَ الكتّاب ، وجلسا معًا بعض الوقت ، وتحادثا معًا فيما حدث اليوم من أحمد في الكتّاب ، واتفق العمدة مع الشيخ على أمر ما، وعلى أن يلتقيا في الصباح إن شاء الله في الكتّاب .

وفي صباح اليوم التالي ، نادى العمدة على ابنه أحمد الذي كان يتناول إفطاره ، وقال له : ياللاّ يا أحمد ماتتأخَرش على الكتّاب . فقال أحمد : إنت مش جاي معايا ؟.. قال العمدة : طبعًا جاي معاك .. أمّال إيه !!..

وفرح أحمد لأن أباه العمدة سيذهب معه ، وسيردّ اعتباره عند سيدنا ، ويبيّن كرامته أمام زملائه من أطفال الكتّاب ، ليعرفوا جميعًا أن ابن العمدة يتميّز عليهم ، ولا يتساوى معهم .. وأنهى أحمد إفطاره ، وحمل الحقيبة المصنوعة من القماش ، والتي يضع فيها أدوات القراءة والكتابة والمصحف الشريف ، وخرج مع أبيه العمدة .. وكان يزهو وهو يسير مع أبيه ، وكأنه يقول لكل الناس في الطريق : أنا ابن العمدة .. أنا ابن العمدة .

ووصل العمدة وابنه أحمد إلى الكتّاب ، ودخلا فوجدا الشيخ جالسًا يتصفح كتابًا ..فقال العمدة : السلام عليكم يا مولانا .. وردّ الشيخ السلام ، وهو جالس مكانه ، ولم يقم تحية للعمدة .. ووضع الكتاب جانبًا ، وأمسك بالعصا وقال للعمدة : إيه اللي جابك يا عمدة .. عاوز حاجة ؟.. ثم نظر إلى الطفل أحمد الذي كان يمسك بيد أبيه ، وتبدو عليه الدهشة من أسلوب الشيخ في مخاطبة أبيه العمدة ، وكان أحمد

ينظر إلى الشيخ حينًا ثم إلى أبيه أخرى .. وإذا بالشيخ يقول لأحمد : إنت واقف عندك كده ليه يا ولد ؟.. امشي ادخل جوّه .. فينظر الطفل أحمد إلى أبيه مستنجدًا .. ولكن العمدة يقول لابنه : ادخل يا أحمد وأنا حاتكلّم مع سيدنا .. فيدخل أحمد متباطئًا وخائفًا . وهو لا يدري تفسيرًا لما يحدث أمامه .. وإذا بالشيخ يقترب من الطفل أحمد ويضربه على " قفاه " ويقول له : امشي اتحرّك .. إنت ماشي على قشر بيض ؟!.. فتزداد دهشة أحمد ، وينظر إلى أبيه مستنكرًا ، وكأنه يقول له : كيف تسكت وأنت تراه يضربني أمامك ؟.. ويلتفت الشيخ إلى العمدة ويقول : هيه .. يعني ما قلتش ياعمدة عاوز إيه ، وإيه اللي جابك ؟ فيتقدّم العمدة قليلا من الشيخ ويقول :إنت ضربت أحمد امبارح ليه يا سيدنا ؟..إنت مش عارف إنه ابن العمدة ؟؟..

عندئذ تنفرج أسارير الطفل أحمد ، وينظر إلى أبيه وهو يبتسم ، فلقد آن الأوان ليثأر له أبوه من الشيخ الذي ضربه وأهانه ، ونسي أنه ابن العمدة ونهض الشيخ من مقعده ، وأمسك بالعصا واقترب من العمدة ، وقال له : أيوه ضربته لأنه قليل الأدب وكذّاب ويظهر إن انت ماعرفتش تربّيه كويّس .. ثم أشار إليه بالعصا وقال له : اقعد هنا .. فجلس العمدة حيث أشار الشيخ ، ثم قال سيدنا للعمدة : مِدّ رجليك هنا ، وأشار إلى مكان ما على المقعد ، وأطاع العمدة أمر الشيخ ومدّ رجليه ، وصاح الشيخ قائلاً : هات الفلكه يا ولد .. فامتلأ أحمد بالخوف والذعر ، وكان يختطف النظرات بين أبيه وبين الشيخ .. ورغم وجود عدد كبير من أطفال الكتّاب ، إلاّ أن الشيخ صاح في وجه أحمد ابن العمدة وقال له : هات الفلكه يا ولد .. فلما علم أحمد أنه المقصود بالأمر ، أسرع بالجري إلى حجرة صغيرة في الكتّاب ، ثم عاد وفي يده الفلكة وهو يرتجف ولا يدري ماذا سيصنع بها الشيخ .. والفلكة عبارة عن عصا غليظة ومربوط بها حبل توضع فيه رِجْلا مَنْ يريد الشيخ عقابه ..ونظر الشيخ إلى العمدة نظرة غاضبة وقال له : حُطّ رجليك في الفلكة .. فيقول العمدة : معلش يا سيدنا .. سامحني .

فيقول الشيخ : مفيش سماح .. عشان تحرّم تيجي هنا وتعترض على اللي أنا باعمله .
ويضع العمدة رجليه في الفلكة ، ويرفع الشيخ العصا ، ويضرب العمدة على رجليه خمس ضربات .. ويقول للعمدة : نزّل رجليك .. قوم روّح ، واوعى تكرّرها تاني .
فيقول العمدة : حاضر يا سيدنا .. خلاص حرّمت .. ويخرج العمدة من الكتّاب ودون أن ينظر حتى إلى ابنه الذي وقف مشدوهًا ومرعوبًا مما رأى .. ويلتفت الشيخ إلى أحمد ويقول له : اجلس يابن ال .. عمدة .. ويجلس أحمد دون أن ينبس بكلمة .. فإذا كان أبوه وهو عمدة القرية لم يستطع أن يقاوم بطش سيدنا ، ولم يستطع أن يدافع عن نفسه ، فكيف يستطيع أحمد بعد ذلك أن يعترض إن عاقبه الشيخ ؟.

ومنذ ذلك الوقت ، دأب أحمد على الحضور إلى الكتّاب في الموعد المناسب ، ولم يتأخر يومًا واحدًا ، كما واظب على المذاكرة وأداء الواجب والاجتهاد في حفظ القرآن الكريم ، وما أن بلغ سن العاشرة حتى كان قد حفظ القرآن كله .

وبعد ذلك التحق أحمد بالمعهد الأزهري الابتدائي ثم الثانوي ، وكان طالبًا مثالياً ، ومثلاً طيّبًا في احترام أساتذته ، وفي حُسْنِ التعامل مع زملائه الطلاّب ، ثم التحق بكلية أصول الدين ، واكتسب حب واحترام أساتذته وزملائه .. وتخرّج بعد ذلك ، ونظرًا لتفوّقه فقد عُيِّنَ معيدًا بالكلية ، ثم اجتهد في الدراسات العليا حيث حصل على الماجستير ثم الدكتوراة.. وتدرّج في وظائف الكلية حتى أصبح عميدًا للكلية .

وذات مرّة سأله أحد الطلاّب في إحدى الندوات : مَنْ هو مَثَلُكَ الأعلى وكيف أثّرَ في سلوكياتك ؟.. فقال : مَثَلِي الأعلى هو " سيّدنا " ، أو شيخ الكتّاب ، الذي علّمني أنه لا فرق بين ابن العمدة وابن الخفير .. وكذلك أبي ، الذي علّمني كيف أطيع وأحترم أستاذي ولا أعترض على قراره .. وما من طالب يحترم أستاذه إلاّ استفاد من علمه ، واكتسب احترامه ، وتفوّق في دراسته وحقق ما يصبو إليه .

وصفّق الحاضرون من أساتذة وطلاّب .. بينما راح العميد يتذكّر شيخ الكتّاب وهو يضرب أباه العمدة .. ثم ابتسم ، وقال في نفسه : رحم الله " سيّدنا " .. ورحم الله ، أبي العمدة "

آسِـــفْ .. النِـــمْـــرَة غَـــلَـــطْ !!..

الأستاذ محمد عبد السلام كان معيدًا بكلية التجارة ، وكان يرفض دائمًا فكرة الزواج قبل الحصول على درجة الدكتوراه .. والآن وقد حصل على الدكتوراه ، وبدرجة امتياز ، قالت له والدته : أظن أنه قد آن الأوان لأن تتزوج .. لقد كانت حجتك الدكتوراه ، والحمد لله لقد حصلت عليها .. أرجوك ، ارحمني ، أريد أن أطمئن عليك قبل أن أموت .. لقد كانت أمنية والدك رحمه الله أن يرى أولادك ، ولم تتحقق أمنيته ، وأتمنى أن تتحقق أمنيته عن طريقي أنا ، فأرى أولادك وأطمئن على استقرارك مع زوجة ترعاك وتخاف عليك ، وتملأ عليك حياتك . فأخذ الدكتور محمد بيد والدته وقبّلها وقال لها : ربّنا يحفظك ليّ ياماما ، أنتِ دنياي وسعادتي ، ورضاكِ عنّي هو أهم شيء لي في الدنيا .. أما الزواج ، فمازال أمامنا وقت طويل .

فقالت الأم : لا ، أنسيتَ أنك تجاوزتَ الثلاثين ؟، وأعتقد أن هذا الوقت مناسب جدًا للزواج .. أريد أن أفرح بك .. ولابد أن تأخذ قرارًا في هذا الموضوع ، والآن ..

قال الدكتور محمد : يبدو أنكِ مصمّمة .. فقالت : نعم .

قال : وهل لديكِ " عروسة " تصلح لي ؟

قالت : نعم ، وهي وأسرتُها ينتظرون إشارة .. وهي تميل إليك ، وأعتقد أنها تحبك .

قال متسائلاً : ومَنْ هذه ؟ .

قالت :كاريمان ، جارتنا ، بنت الأستاذ أمين .. طبعًا أنت تعرفه كويّس ، وهورجل محترم ومتديّن .. قال : ليس المهم أبوها .. بل أمّها .. وهناك حكمة تقول : " إذا أردتَ أن تتزوج ، فابحث عن الفتاة ذات الأم الصالحة ، ثم تزوجها ولو كان أبوها شيطانًا " !!..

قالت الأم :طيّب سيبنا من الحِكَم دي دلوقت وخلّينا في المهم ، إيه رأيك في كاريمان ؟

قال وهو متردد : على أيّ حال ، نفكّر .

قالت: الموضوع مش محتاج وقت تاني للتفكير، أنت عارفها وعارف أبوها ، يبقى فيه إيه تاني ؟!.. فقال :أمّها .. أمّها يا ماما .. ماعرفش عنها حاجة ، وكمان بالاحظ إنها غير محتشمة في ملابسها ، وبتبالغ في وضع الماكياج .. وكذلك بنتها .. وانتِ عارفة إن أنا بحب الاحتشام في المرأة .

قالت الأم : على أيّ حال .. الرّك على الراجل .. ولما تبقى تروح بيتك ، ابقى عوّدها على اللي انت عاوزه .

قال الابن :لا يا ماما .. إن ماكانتش البنت متعوّدة على الحشمة في بيت أهلها يبقى صعب تعويدها في بيت الزوجية .

قالت الأم : برضه الرّك على الراجل .. المهم ريّحني بقى وكفاية جدال .. هيه ، ماقلتليش ، إيه رأيك في كاريمان ؟

قال : أنا شايف إنها حلوة ، من ناحية الشكل .. إنما من ناحية الطّباع .. الله أعلم .

قالت الأم : مادام أبوها رجل طيّب ومتديّن .. يبقى لابد إنه ربّاها تربية كويّسة .

قال : أنا رأيي إنك تحاولي تعرفي أمّها كويّس .. فإذا عجبتك ، وخصوصًا في تعاملها مع زوجها ، يبقى على خيرة الله .. قالت : أفهم من كده إنك موافق ؟

قال : بعد موافقتك وبعد ما تحكمي على والدتها ، ثم قال : وانتِ عرفتِ منين إن كاريمان ميّالة ليّ أو بتحبني ؟!..

قالت : وهيّ دي حاجة تخفى على الستّات يابني ؟ .. أنا باشوفها كل يوم وهيّ بتبصّ عليك وانت رايح ووانت جاي .. وباشوف الفرحة في عينيها لما بتشوفك .

فقال : غريبة !!.. أنا مالاحظتش حاجة من دي !!..

وبعد أيام قليلة ، عاد الدكتور محمد من الكلية ، وقال لوالدته : باركيلي يا ماما ، أنا بقيت أستاذ مساعد .

فقالت : ألف مبروك يابني، ربّنا يعلّيك كمان وكمان ، وان شاء الله حنقولّك مبروك بالعروسة .. خلاص يا سيدي .. اطمئن ، أنا شفت أم كاريمان ودردشت معاها ، ولقيتها ست طيّبة قوي ، وعلى فكرة ، سَألتْني عنّك .. ويظهر إنهم واخدين بالهم منّك .. يعني العملية جاهزة .. مش فاضل إلاّ إنّنا نتقدّم لهم .. إيه رأيك ؟

فقال : اللي تشوفيه يا ماما .. فقالت : طيّب سيب لي انت الموضوع ده ، وانا حاتصرّف واحدّد مع أمّها موعد نزورهم فيه .. قال : أمرك يا ماما .

ورتّبت الأم مع أم كاريمان موعدًا ، وذهبت مع ابنها الدكتور محمد لزيارة أسرة كاريمان .. واستقبلهما الأستاذ أمين ، والد كاريمان ، ورحّب بِهما.. وبدأ الجميع تبادل الأحاديث الودّية ، ونادت أم كاريمان على ابنتها ، فجاءت وسلّمت على الضيفين ، وكان باديًا عليها السرور .

وقال الأستاذ أمين " ضمن ما قال: أنا منذ خروجي على المعاش من وزارة الزراعة ، وأنا تحرّكاتي تنحصر في البيت والمسجد ، وأقضي معظم أوقاتي مع القرآن الكريم والكتب الدينية .. ومليش في السياسة ، لأن أخبارها بتوجع القلب .. حتى الجرائد ، بقيت نادر لما أقرأها .. ما بقاش فيها حاجة تشدّ القرّاء زيّ جرايد زمان .. الواحد بيلاقي في الجريدة نصفها إعلانات ، وربعها تّهاني وكلمات نفاق ، والرّبع الباقي يا دوب لبعض الكتّاب اللي بيكتبوا بحذر شديد، وبيخافوا يقولوا كلمة الحق أحسن يتحبْسُوا أو يتّهِمُوهُمْ بالسّب والقذف ، وإذا اتجرّأ محرّر عنده ضمير ، وقال كلمة جريئة يكشف فيها انحراف أو ظلم مسئول كبير ، تقوم عليه الدّنيا ، ويمكن حتى رئيس التحرير ياخد منّه موقف ويضطهده .. طبعًا عشان يحافظ على رئاسة التحرير ، ويرضي اللي عيّنوه ، وده من أخطر عيوب تبعية الصحافة للحكومة .

فقال الدكتور محمد : الحمد لله ، أنا مريّح نفسي .. واهتماماتي كلها تنحصر في عملي وبس.. أما عن السياسة ، فأنا أؤمن بمبدأ إن أعظم سياسة ، هي البعد عن السياسة .. " ويضحك الجميع " .

وتقول أم كاريمان : أما كاريمان بنتي فبتحب القراءة جدًا ، وما بتخلَيش مجلّة إلاّ لما بتقراها .. واللاّ التليفزيون !!.. كل البرامج عارفاها ومتابعاها ، وحافظة كل الأغاني ، وساعات تغنّي أغاني أجنبية !!..

وينظر الدكتور أحمد إلى والدته ، وكأنه يقول لها : اسمعي ما تقوله أم كاريمان !!..
ثم أسرعَتْ كاريمان ، وكأنّها تحاول تحسين صورتَها فقالت :
بس أنا باتابع البرامج الثقافية والدينية والمترلية .
فقالت أم محمد : ما شاء الله !!.. أيوه كده يا بنتي ، البرامج الثقافية تزوّد الإنسان بالثقافة والمعرفة ، والبرامج الدينية بتعلّم القيم والأخلاق ، أما البرامج المترلية فبتساعد الست في شئون البيت وفن المطبخ .
فتقول أم كاريمان : الحمد لله ، أنا عندي كاريمان بنتي ست بيت درجة أولى .. من بعد ما أخدت الثانوية العامة ، أبوها مارضيش يخلّيها تكمّل في الجامعة ، وقال ان البنت حلوة وجسمها أكبر من سنّها ، وأخاف عليها من شبّان الأيام دي (وكان زوجها ينظر ناحيتها باشمئزاز ويتمنى أن تتوقف عن الحديث) ولكنها تسترسل في حديثها وتقول : وقال خلّيها تقعد في البيت ، وتتقن شغل البيت عشان تبقى زوجة ناجحة .. (ثم توجّه الحديث لأم محمد) بس وحياتك من ساعتها ما بطّلت قراية .. مجلاّت رايحة ومجلاّت جاية .. وبَقتْ تعرف حاجات ، ولا اللي متخرّجة من الجامعة !!..

وكان الدكتور محمد ينظر إلى أم كاريمان ويستمع إليها باستخفاف ، كما كان ممتعضًا لملبسها الذي لم يكن مناسبًا لسنّها .. وكان الأستاذ أمين متزعجًا من حديث زوجته .. أما كاريمان ، فكانت تختلس النظرات مع الدكتور أحمد ، وكأنّها تحاول أن تُلْفِتَ نظره إليها ، وهو ينظر إليها بين الحين والآخر ، وكأنه يقول : ياترى !!.. هل تصلح زوجة لي أم لا ؟!..

وأخيرًا وجّهت أم محمد الحديث إلى والد كاريمان قائلة : صلّوا على النبي يا جماعة .. طبعًا إنتم عارفين ابني الدكتور محمد ، وهوّ دلوقت ما شاء الله ، أستاذ مساعد في الجامعة ، ومالوش إلاّ شغله وبس .. ومن صغره وهوّ بيصلّي ويعرف ربّنا كويّس .. وبصراحة بقى ، احنا جايين النهاردة عشان نطلب منكم إيد الآنسة كاريمان للدكتور محمد .. إيه رأيكم بقى ؟؟..

عندئذ كادت كاريمان تطير من الفرحة ، وظهرت على وجهها ابتسامة الخجل ، ولم تستطع أن تخفي سعادتَها .. أما أمّها التي كانت تتمنى ذلك منذ زمن بعيد ، فحاولت أن تتظاهر بالهدوء ، وقالت : الحقيقة مش عارفين نقول لكم إيه . إنتم فاجئتونا ..

فبادر أبو كاريمان بقوله : ولا فاجئتونا ولا حاجة .. أنا شخصيًا كنت متوقّع إنكم جايين عشان تطلبوا إيد كاريمان .. وبصراحة ، أنا كنت من زمان باتمنى إن الدكتور محمد يطلب إيد بنتي ، واحنا مش حنلاقي لبنتنا أحسن من الدكتور محمد ..

ونظرت إليه زوجته نظرة غيظ ، وكتمت غيظها ، وتظاهرت بابتسامة صفراء ، ثم قالت لزوجها : مش تستنى لما نشوف رأي كاريمان الأوّل .. واللاّ إيه يا ست أم محمد ؟.. قالت أم محمد : طبعًا طبعًا .

فقال أبو كاريمان : إحنا فيها .. إيه رأيك يا كاريمان ؟..

فنظرت كاريمان إلى الدكتور محمد نظرة خجل ، ثم نظرت إلى الأرض ثم قالت لأبيها : اللي تشوفه حضرتك يابابا ..

فقال أبوها : اللي يشوفه حضرتي ؟!.. يعني موافقة .. على خيرة الله .

فقالت أم محمد : يبقى نقرا الفاتحة ، وبعدين نتكلّم في التفاصيل .

فقال أبو كاريمان : نقرا الفاتحة .. (ورفع الجميع أيديهم وقرأوا الفاتحة) .

وقالت أم كاريمان لابنتها : قومي ياكاريمان وهاتي حاجة حلوة نشربْها ، فقامت كاريمان على الفور والفرحة تكاد تطير بِها !!.. وبعد لحظات عادت كاريمان بالشربات ، وقدّمت الصينية أوّلاً للدكتور محمد وهي تبتسم له.. ولكن أباها بادرها

بقوله : الحاجّة أوّلاً ياكاريمان (وأشار إلى والدة الدكتور محمد) ، قالت كاريمان : متأسّفة ، وقدّمت الشربات لوالدة الدكتور محمد وقالت لها : متأسّفة يا تانت .

فقالت أم محمد : لا يا بنتي ، مفيش حاجة .. أنا وابني واحد .

فقال أبو كاريمان : بس الأصول أصول يا حاجّة .. ولازم كاريمان تعرف من دلوقت ، إن واجب حضرتك قبل واجب الدكتور محمد ، وإن مقدارك عندنا كبير . (وكان لهذه الكلمات أثرها الطيّب في نفس أم محمد) فقالت : ربّنا يعزّ مقداركم ، ويتمّم بخير .. ونظرتْ إلى ابنها وكأنّها تقول له : شايف وسامع ؟.. ناس ولاد أصول .

أما والدة كاريمان ، فكانت نظراتُها وتعبيرات وجهها تختلف عن نظرات وتعبيرات زوجها ، ولكنها كانت مضطرة للتغاضي والتظاهر بالموافقة ، لكي يتم كل شيء على خير ، فهذا الزواج يُعْتَبَرُ صفقة رابحة بالنسبة لابنتها التي تعرف أن لها ميولاً نحو الدكتور محمد منذ فترة طويلة ، كما أنّها تدرك تمامًا ، أن رجلاً في مكانة الدكتور محمد ، ليس من السهل لفتاة مثل ابنتها أن تفوز بالزواج منه ، بسبب الفارق الكبير في المستوى التعليمي بينهما ، وبينما كانت أم كاريمان مستغرقة في التفكير، بادرتْها والدة الدكتور محمد بقولها : إيه رأيكم لو نقدّم الشّبكة يوم الخميس الجاي ، ان شاء الله ؟..

فقالت أم كاريمان : على طول كده ؟!..

فقال الأستاذ أمين : على أيّ حال دي حاجات ممكن ترتّبوها مع بعض ، حضرتك وأم كاريمان ، ولو إن أنا أفضّل إن تقديم الشّبكة يكون مع كَتْبِ الكتاب في يوم واحد .

فقال الدكتور محمد : وأنا أوافق حضرتك على هذا الرأي .

فقالت أم محمد : إيه رأي الست أم العروسة ؟. فأجابت أم كاريمان : مفيش مانع .

وقالت أم محمد لأم العروسة : إيه رأيك لو ننزل بكرة إن شاء الله مع بعض ، أنا وانت وكاريمان والدكتور محمد عشان تختاروا الشّبكة اللي تعجبكم ؟.. وإذا كان الأستاذ

امين يحب ييجي معانا أهلاً وسهلاً .. فيقول الأستاذ أمين : لأ.. معلش ، شكرًا .. أنا ماليش في الحاجات دي .. والبركة فيكم .

وفي مساء اليوم التالي ، وصل الدكتور محمد بسيارته الجديدة ذات اللون الأحمر ، وكانت كاريمان تقف في الشرفة ، وهي في شوق ولهفة لقدومه .. وملأتها الفرحة عندما شاهدته يخرج من السيارة ، ويراها في الشرفة ويشير إليها بأن تنزل مع أمّها .. فدخلت وأخبرت أمّها بوصوله ، ولما لاحظت أمّها فرحة ابنتها التي ترتسم على وجهها بوضوح ، قالت لها : يا بنت مش كده ، اتقلي شويّة ، واعملي حسابك ، لازم تختاري شبكة عليها العين وتليق بمقامنا.

قالت كاريمان : مش المهم الشبكة يا ماما ، المهم صاحب الشبكة .

فتقول الأم : سيبك من الكلام الخايب ده ، ما تعمليش زيّ أبوكي في كلامه ، واسمعي الكلام اللي أنا باقوله .

فتقول كاريمان : حاضر يا ماما ، بس ياللاّ بقى ، دول مستنيين تحت ..

تقول الأم : اسمعي يا بنت انتِ .. ماتسربعنيش .. ووقفت أمام المرآة لتسوّي بعض شعرها ، وتتأكّد من استكمال مكياجها .. واضطرت كاريمان أن تجذبَها من ذراعها ، وخرجتا معًا ونزلتا حيث تقف السيارة .. ولما رآهما الدكتور أحمد امتعض بعض الشيء ولم يعجبه منظرهما بالملابس الكاشفة لجزء كبير من الصدر والظهر فضلاً عن قِصَرِهَا ، وكان امتعاضه من مظهر الأم أكثر .

ولاحظت والدته ما يستاء منه الدكتور محمد ، فحاولت تحويل انتباهه ، فقالت للعروس وأمها: مساء الخير ياجماعة .. وخرجَتْ من المقعد الأمامي المجاور لمقعد ابنها وقالت لكاريمان : تعالي انتِ هنا ياكاريمان مكاني ، وانا حاقعد مع مامتك وراكم ..

فقال الدكتور محمد ، ولم يعجبه ذلك : لأ يا ماما ، خلّيكِ انتِ جنبي ، وخلّي كاريمان تقعد مع والدتْها .. وامتعضت والدة كاريمان ونظرت إليه بغيظ .. بينما قالت والدته : لأ ، كاريمان تقعد جنبك ، وأنا أقعد مع والدتْها .. ثم قالت لكاريمان : ياللاّ يا

كاريمان اركبي . وركبت كاريمان بجوار الدكتور محمد ،بينما ركبت والدته في الخلف بجوار أم كاريمان ، ثم تناديه : ياللاّ يا دكتورمحمد .. ويبدأ هو قيادة السيارة وهو غير راض عن مظهركاريمان ومظهر أمّها ، وكأنه غير مطمئن لهذا الزواج بسبب المظهر الغير محتشم لكل منهما ، ولكنه يرى أنه أمام أمر واقع ، وضعته فيه أمّه ، فهو لا يريد أن يُغْضِبَهَا وهو يعرف أنّها تتوق إلى إتمام هذا الزواج بأسرع ما يمكن .. وتنظر إليه كاريمان نظرة ذات معانٍ ، وتتظاهر بالخجل ، وهي تبتسم ابتسامة الأنثى الماكرة ، وكأنّها تقول له : أنا هنا .. بينما هو يفكّر ، وربما يعتقد أنه تسرّع في قبول هذا الموضوع ، ولا يدري كيف يتصرّف ..

وتقف السيارة أمام محل الصائغ ، ويخرجون من السيارة ويدخلون المحل ، والدكتور محمد مازال شاردًا ، ويسأل نفسه : هل يمكن له أن يتراجع عن هذا الزواج الذي لا يطمئن له ؟.. ولكن ماذا يكون موقفه مع أمّه التي ربما تُصْدَمُ لو فكّر في التراجع ، وربما يسبب لها إحراجًا كبيرًا قد يؤثر في نفسيتها ، وهو الحريص على راحتها وعدم إغضابِها .. ولهذا سلّم الأمر لله .

وتبدأ النساء الثلاث في فحص الحُليّ والمجوهرات التي بالمحل ، وتتحدّث أم محمد مع صاحب المحل ، فيُحْضِرُ لها بعض القطع من العقود والأساور والخواتم ، وتناولها لكاريمان قائلة : شوفي بقى ياكاريمان اللي يعجبك وقولي عليه .. فتنظر كاريمان إلى الدكتور محمد الذي كان مشغولاً عنهم بالنظر إلى ما في " الفاترينة " من المجوهرات ، ولكنه في الحقيقة كان مشغولاً بمشروع هذا الزواج الذي لا يرتاح إليه كثيرًا .. فإذا بكاريمان تقول وهي تنظر إلى الدكتور محمد : اللي يختاره الدكتور محمد .
فتقول أمّها : هوّ الدكتور محمد اللي حيلبسها واللاّ انتِ ؟!..وتنظر إليها نظرة ذات معنىً ، وكأنّها تقول لها : يابنت اتحرّكي ، وماتضيّعيش الفرصة من إيدك .. اختاري

اللي انتِ عاوزاه وبزيادة شويّة ، فتقول كاريمان وهي تنظر إلي الدكتور محمد : لأ ، الدكتور محمد يختار اللي على ذوقه .

وسمع الدكتور محمد العبارة الأخيرة التي قالتها كاريمان ، فقال وهو يتجه إلى كرسيّ ليجلس عليه وكأن الأمر لا يعنيه : لأ ، اتفضّلي انتِ اختاري اللي انتِ عاوزاه .. فبدأت أمّها تتدخّل في اختيار بعض المشغولات الذهبية غالية الثمن ، بينما الدهشة تبدو على وجه أم محمد .. ولما تمّت عملية الاختيار التي قامت أم كاريمان بمعظمها .. قام الصائغ بوزن القطع ثم قال : جملة الحساب ثمانية آلاف وستمائة وسبعون جنيهًا .. وهنا قام الدكتور محمد وهو يشعر بأن الأمر مبالغٌ فيه ، ونظر إلى والدته نظرة عتاب ، وكأنه يقول لها : هل يعجبك هذا الاستغلال والجشع ؟!..ثم نظر إلي الصائغ وقال له : أرجو أن تختصر العملية إلى مبلغ ستة آلاف جنيه فقط .. فأحسّت كاريمان بالحَرَجِ ، ونظرت إلى أمّها وكأنّها تقول لها : شفتي يا ست ؟!.. آدي انتِ أحرجتينا ، وكذلك كانت أم محمد تشعر بالحرج ، ولكنها ترى أن ابنها على حق ، وآثرَتْ الصّمت ، وتركت الأمر لله ، يُدَبِّرُهُ كما يريد .. بينما قالت أم كاريمان : وهوّ المبلغ ده كتير على كاريمان ؟!.. وعلى أيّ حال ، كل واحد بيجيب قيمته !!..

فقال الدكتور محمد في حسم : أنا مش حادفع أكثر من ستة آلاف جنيه ، واتصرّفوا في حدود هذا المبلغ ، وبلا أيّ زيادة .

قال ذلك وكان في داخله يتمنى أن يرفضوا ، ويلغوا موضوع الخطوبة كله ، لأنه لم يكن مستريحًا من تصرّفات أم كاريمان ومظهرها ، وكذلك مظهر ابنتها ، وكانت في داخله رغبة قويّة في الانسحاب من هذا الارتباط ، ولكنه يخشى من إحراج والدته .. وكانت أمّه في تلك اللحظات تشارك ابنها في اعتراضه على ثمن الشبكة المبالغ فيه ، ولكن الإحراج منعها من أن تعلّق على كلام ابنها ، أو ملاحظة أم كاريمان ، وفضّلَتْ الصّمت .

وعلى عكس ما يتمنى الدكتور أحمد ، اضطرت أم كاريمان وابنتها إلى إرجاع بعض الحُليّ حتى وصل المبلغ إلى ستة آلاف إلاّ عشر جنيهات .. ودفع الدكتور أحمد المبلغ وتسلّم الفاتورة ، وهو مكتئب لأن ما كان يتمناه لم يتحقق .. وخرجوا من المحل ، فقالت أم محمد : مبروك يا كاريمان .. مبروك يا أم كاريمان .. ربّنا يتمّم بخير .. وردّت أم كاريمان بشيء من الفتور ، إذ لم يعجبها موقف الدكتور محمد في تحديد ثمن الشبكة بستة آلاف جنيه فقط ، وقالت : يارب .
وقالت أم محمد لابنها : مبروك يا محمد .. فأجاب بفتور : شكرًا ياماما .

وركبوا جميعًا السيارة ، وكانت كاريمان في غاية السعادة ، بينما كانت أمّها مقطبة الجبين.. ولم تحاول حتى التظاهر بالبهجة في هذه المناسبة .. أما والدة الدكتور محمد فكانت في دهشة وحيرة من أمر أم كاريمان .. وحاولت أن تتجاذب معها الحديث الودّي حتى تصرفها عن تجهّمها ، لكي لا يلاحظ ابنها فيغيّر رأيه ، خاصّةً وهي تعلم جيدًا أنه لا يقبل أمرًا إلاّ إذا اقتنع تمامًا بصحّته .. وهي لاتريده أن يغيّر رأيه .

ووصل الرَّكْبُ إلى منزل كاريمان ، ونزلت كاريمان مع أمّها ، ولم ينزل الدكتور محمد ، ولا والدته .. وقالت كاريمان : إيه ، مش حتنزلوا معانا واللاّ إيه ؟!..
فقال الدكتور محمد : معلش .. وقت تاني ، عشان عندي شويّة شغل عاوز أخلّصه في البيت .. فوجّهت كاريمان كلامها إلى والدته طيّب وانتِ يا تانت ، ماتيجي تقعدي معانا شويّة .
قالت : معلش يا كاريمان .. أصلي تعبانه شويّة .. بعدين حابقى اتصل بيكي ، سلّمي على بابا ، ثم قالت لابنها : اعطيهم يا محمد الشبكة عشان يشوفها الأستاذ أمين .
فقال : العلبة كانت مع كاريمان .

فقالت كاريمان : أنا سيبتها على الكرسي ، فتناولها الدكتور محمد وأعطاها لكاريمان ، فنظرت إليه كاريمان بحنان ممتزج بشيء من " الدّلع " ، وقالت : مش حتتصل بيّ ؟..

فقال : ان شاء الله ، ثم قال : السلام عليكم .. قالها وكأنه يريد أن يغادرهما بأقصى سرعة .. وكانت أم كاريمان واقفة خارج السيارة والتجهّم يكسو وجهها العابس .. وانطلق بالسيارة بسرعة وهو ينفخ ، وكأنه يزيح عن نفسه كابوسًا رهيبًا كان جاثمًا على صدره !.. وكانت أمّه قد تركت الكرسيّ الخلفي وجلست إلى جواره ، وأثناء الطريق لاحظت اقتضابه فقالت له :

مالك يامحمد ، انت مش طبيعي ليه ؟!..إيه اللي مضايقك يابني .!..

فتنهّد تنهيدة كبيرة وكأنه ينفض عن نفسه حِمْلاً ثقيلاً ثم قال : بصراحة أنا مش مستريّح للموضوع ده وحاسس إن احنا اتسرّعنا ، وكان يجب إن احنا نستنى شويّة .. أنا مش عاجبني تصرّفات أمّها ، وأخشى أن تكون كاريمان متأثّرة بأخلاق أمّها !!..

فقالت الأم : ما تبقاش متشائم بالشكل ده ..البنت لطيفة ، ووشّها بشوش ، ودايمًا مبتسمة .. أما إن كان على أمّها ، انت مش حاتعيش معاها ، وعلى أيّ حال ما ظهرش منها حاجة تخوّف ، أو تخلّيك تقلق بالشكل ده .

فقال : إزّاي يا ماما .. انتِ ما لاحظتيش طريقتها عند الصايغ ، وكأنّها عاوزة تاخد اللي في المحل كله ؟!!..

فقالت أمّه : ماانت كمان حسمت الأمر لما صمّمت إنك ما تدفعش أكتر من ست آلاف جنيه .

فقال : طبعًا ، وكان لازم أعمل كده ، ولازم يعرفوا من دلوقت ، إن مفيش حاجة تتعمل إلاّ بعد موافقتي .

فقالت الأم : ربّنا يابني يحميك لشبابك .. أنا دلوقت مطمئنة إنك حاتكون راجل في بيتك ، والكلمة كلمتك .. وعلى أيّ حال ، الزوجة يابني على ما يعوّدها زوجها .

ووصلا إلى البيت ، ودخلا الشقة ، وراح ينظر في أنحاء الشقة ، ثم قال : أنا مش عارف يا أمّي انتِ مستعجلة على زواجي ليه !! بصراحة أنا متهيّألي إني زيّ السمك ، لو خرجت من البيت ده ، حاتخنق وأموت .

فقالت : بعد الشرّ عنّك ياحبيبي .. دي سنّة الحياة يابني .

فقال : طيّب رأيك إيه يا ست الحبايب ، إن كان لابد من الزواج ، يبقى لازم نعيش هنا معاكي ، أنا ماقدرش أبعد عنّك وأسيبك تعيشي هنا لوحدك .

فقالت الأم : ما تبقاش عاطفي أكتر من اللازم .. يابني ، كل زوجة دلوقت بتعتبر إن بيتها هوّ مملكتها ، وما تحبّش حدّ يشاركها في بيتها ، وخصوصًا حماتها .. وانا يابني يهمني راحتك وسعادتك ، سواءً كنت معايا أو بعيد عنّي .

فقال ابنها : شوفي ياماما ، المسألة دي مسألة مبدأ .. أنا لا يمكن أوافق على إنك تعيشي لوحدك وانتِ في السّن ده .. ماقدرش أنسى إنّك ضحّيتي كتير عشاني ، وحرمتِ نفسك من مُتَعْ كتيرة في الحياة ، وتفرّغتِ ليّ من بعد وفاة بابا ، وكنتِ في عزّ شبابك ، وكان يمكنك إنك تتجوّزي وتعيشي حياتك .. ولكن فضّلتِ إنك تضحّي وتفضلي جنبي عشان تطمئني على مستقبلي .. وانا فاكر كويّس لما كان جدّي وخالي بيلحّوا عليكِ عشان تتجوّزي ، وكانوا بيقولولك انتِ لسّه صغيّرة ، وفي عزّ شبابك ، والزواج سُترة ، وكنتِ بتقولي لهم : أنا مش عاوزة جواز ، أنا حاتفرّغ لابني وحاعتبره هوّ ابني وجوزي وحبيبي وكل ما ليّ في الدنيا .. واطمئنوا ، أنا مش محتاجة حاجة منكم ولا من غيركم ، الحمد لله ، معاش المرحوم جوزي يكفّيني أنا وابني .. وبعد التضحية دي كلها عاوزاني آجي في الآخر أتجوّز وأبعد عنّك وأسيبك تعيشي لوحدك وانتِ في السّن ده ؟!.. اسمعي ياماما .. لازم تعرفي إنه من رابع المستحيلات إني أوافق على الكلام ده ، حتى لو كانت العروسة حوريّة من الجنّة .. وأرجوكِ ما تحاوليش تقنعيني بغير كده .. ويكون في علْمك .. أنا حاقابل الأستاذ أمين وأفهّمه إن

حياتي معاكي بعد الزواج ، ده موضوع غير قابل للمناقشة على الإطلاق !!..وان ما وافقوش ، يبقى كل واحد يروح لحاله .. والحمد لله ، احنا لسّه على البر .

فقالت الأم : يابني مفيش داعي للتشدّد ، وخلّينا واقعيين .

فقال : عندك حق ، خلّينا واقعيين ، أنا حاتصل بالأستاذ أمين دلوقت حالاً ، واحدّد معاه موعد عشان أتفاهم معاه في الموضوع ده .. وأمسك فعلاً بالتليفون ، وحاولت امّه أن تثنيه عن عزمه دون جدوى ، وطلب الأستاذ أمين الذي قال له : أهلاً يا دكتور محمد ، كده ياراجل تيجوا لغاية البيت ، وتمشوا من غير ما نشوفكم ؟!..

فردّ الدكتور محمد : معلش يا عمّي ، أصل كان عندي شويّة شغل لازم أخلّصه .

قال الأستاذ أمين : مبروك يا دكتور ، الشبكة جميلة ، وربّنا يابني يتمّم لكم بخير .

قال الدكتور محمد : شكرًا يا عمّي ، على فكرة ، أنا كنت عاوز اقعد مع حضرتك أتكلّم معاك في موضوع مهم .. ياترى ، ممكن بكرة الساعة الخامسة مساء ؟..

فقال الأستاذ أمين : أنا تحت أمرك يا دكتور في أيّ وقت يناسبك ، وأنا في انتظارك .

فقال الدكتور محمد : شكرًا يا عمّي ، السلام عليكم .. ووضع سمّاعة التليفون .

فقالت أمّه : يابني بلاش الموضوع ده اعمل معروف ، ما تعقّدش الأمور .

فقال لها : أرجوكِ انتِ سيبيني أتصرّف صح .. لو كان عندك أولاد غيري كان يبقى فيه كلام تاني ، لكن دا انتِ ماعندكيش إلاّ أنا ، وأنا ماعنديش إلاّ انتِ .. ومش من العدل بعد العمر ده كله ، والتضحيات اللي قدّمتيها عشاني إني أسيبك تعيشي لوحدك حتى لو أدّى الأمر إني أعيش طول عمري من غير جواز ..ويكون في عِلْمِك يا ست الحبايب ، أنتِ ست البيت ، وحتفضلي دايمًا ست البيت .

فقالت : ربّنا يابني يرضى عليك ويجبر بخاطرك .

وفي اليوم التالي ذهب الدكتور محمد إلى الأستاذ أمين حسب الموعد المتفق عليه ، حيث رحّب به ، وطلب منه الدكتور محمد أن يتحدّث معه على انفراد ، فطلب

الرجل من زوجته وابنته اللتين كانتا في استقبال الدكتور محمد أن يتركاهما قليلاً ليتحدّثا معًا ، فقامتا ، وكانت أم كاريمان ممتعضة لذلك إذ أنّها كانت تفضّل ألاّ يكون هناك أيّ تفاهم بين زوجها والدكتور أحمد في غير وجودها ، فهي تعلم أن زوجها رجل طيّب وسهل ، ويمكن أن يوافق على أيّ شيء ولو كان على غير هواها .. وعندما أصبح الرجلان وحدهما في الصالون قال الدكتور محمد : أنا حبّيت اتكلّم مع حضرتك لأني مقتنع بأن حضرتك رجل متديّن وتعرف ربّنا كويّس ، وحاتقدّر موقفي تمامًا .

فقال الأستاذ أمين : خير يابني ، قول اللي عندك كله ، وبكل صراحة .

فقال الدكتور محمد : طبعًا ، فالصراحة مطلوبة في كل شيء .. حضرتك عارف إن أنا وحيد ماما، ومن بعد وفاة والدي ، وماما وهبت حياتها كلها من أجلي ، وضحّت بالكثير عشاني لغاية ما اتخرّجت ، ووقفت جنبي ، تسهر على راحتي لغاية ما حصلت على الدكتوراه .. كان ممكن إنّها تتجوّز ، زيّ كتير غيرها ما عملوا ، وماهمّهمش مستقبل أولادهم قدّ ما همّهم إنّهم يعيشوا حياتهم ويتمتّعوا بيها .. لكن ماما فضّلت إنّها تضحّي وتكرّس حياتها كلها عشان ترعاني .

قال الأستاذ أمين : عارف عارف يابني ، والدتك من أعظم الأمّهات .. وياما أمّهات اتخلّوا عن أولادهم في الأوقات الصّعبة ، وما فكّروش إلاّ في الاستمتاع بالحياة ، وماتت في قلوبهم مشاعر الأمومة ، ونسيُوا إن الأمومة مش ولادة وبس ، الأمومة مسئولية وتربية وتضحية وإيثار من أجل الأولاد ، وإن أعظم سعادة يمكن للآباء والأمهات إنّهم يحسّوها ويشعروا بيها ، لما ربّنا سبحانه وتعالى يوفقهم في تربية أولادهم ويشوفوهم بعد ما يقفوا على رجليهم ويبقى لهم مستقبل عظيم في حياتهم ، ساعتها يهون عليهم كل اللي عانوه من تضحيات واللي شافوه من تعب !!.. ووالدتك يا دكتور من نوع الأمهات العظيمة اللي تستحق التكريم !!..

فقال الدكتور محمد : عظيم ، وده يطمّني إن حضرتك حاتقدّر كلامي ، وعشان التضحية اللي قامت بيها والدتي عشاني ، أنا شايف إني ماقدرش أتجوّز وأبعد عنها وأسيبها تعيش لوحدها وهيّ في السّن ده .. فقال الأستاذ أمين : طبعًا طبعًا يابني .
فَسُرَّ الدكتور محمد وقال :أفهم من كده إن حضرتك موافق إن أنا وكاريمان نعيش مع ماما ؟!..

فقال الرجل : طبعًا موافق ، واللي مالوش خير في اللي ربّوه وسهروا على راحته وضحّوا عشانه لحدّ ما يحقق مستقبله ، يبقى مالوش خير في حدّ تاني ، حتى لو كانت زوجته .. يا دكتور محمد ، أنا إعجابي بك زاد دلوقت أكتر ، لأني تأكّدت إنك إنسان عندك وفاء !!.. والإنسان من غير وفاء ، ما يبقاش إنسان !!..

فقال الدكتور محمد : طيّب ممكن أعرف رأي كاريمان في الموضوع ده ؟

فقال أبو كاريمان : آه ، طبعًا ممكن .. عن إذنك يابني لحظة .

فقال الدكتور محمد : اتفضّل يا عمّي . (ونادى الرجل على ابنته) ياكاريمان ، تعالي .

فجاءت تحمل صينية عليها كوبان من عصير الليمون ، وجاءت وراءها أمّها التي كان يدفعها حب الاستطلاع والقلق إلى معرفة ما دار بين زوجها والدكتور محمد من أحاديث ، ووضعت كاريمان الصينية أمام الدكتور محمد وقفت أمام والدها وقالت : نعم يابابا ؟ فقال والدها : اقعدي يا كاريمان ، فجلست وقد أخذ القلق يستبد بها وتتمنى أن تعرف ما في الأمر ، ورفعت رأسها إلى السماء وكأنّها تتمنى ألاّ يكون هناك أيّ عائق يعوق خطوبتها ، وجلست أمّها أيضًا وهي تتطلّع إلى معرفة ما في الأمر .

وقال لها أبوها : أنتِ عارفة إن الدكتور محمد هو وحيد والدته .. وطبعًا لما ربّنا يتمّم بخير وتتجوّزوا .. مش معقول يبعد عن والدته ويسيبها تعيش لوحدها وهيّ في السّن ده .. عشان كده الدكتور محمد بيسأل إن كنتِ موافقة على إنكم تعيشوا مع الست والدته بعد الزواج .. أنا طبعًا وافقت ، بس الدكتور محمد طلب إنه يسمع رأيك .

فاندفعت أم كاريمان وقالت : إزّاي ده ؟!.. أنا بنتي لازم تعيش في بيت لوحدها .. دي لسّه صغيّرة ، ولازم تتمتع بحياتها بحرّيتها في بيتها .. فنظر إليها الدكتور محمد نظرة ازدراء ، ولاحظت كاريمان ذلك وخافت أن يغضب خطيبها .. وبادر الأستاذ أمين بقوله لزوجته : لو سَمَحْتِ ، إحنا بنكلّم كاريمان ، وهيّ دلوقت صاحبة الشأن ، ودي حياتها هيّ ، مش حياتك ولا حياتي ، ثم قال لابنته : إيه يا كاريمان .. قلتِ إيه يابنتي ؟

ونظرت كاريمان إلى أمّها التي كانت نظراتُها تنطق بالرفض ، ثم نظرت إلى أبيها ، الرجل الطيّب الذي لا تعجبه تصرّفات زوجته ، ولا يوافق إلاّ على الصحيح ، ثم نظرت إلى الدكتور محمد الذي كان ينظر إلى أسفل ويفكّر ، ولا يعرف كيف ستكون إجابتها ، وقد بدا عليه عدم الارتياح لكلمات الأم .. فإذا بكاريمان تقول لأبيها :

أنا موافقة يابابا، مادام ده يرضي الدكتور محمد .. وحاعتبر تانت زيّ ماما تمام .

هنا بدت علامات الغضب والاستنكار على وجه والدتِها التي خرجت من الصالون حيث كانوا يجلسون ، وامتلأ وجه أبيها بالسعادة والرضى .. أما الدكتور محمد فقد سرّه أن يسمع ذلك من كاريمان ، وبدت على وجهه ابتسامة صادقة سعدت كاريمان برؤيتها ، وقال لها : وأنا أوعدك بإنك مش حاتندمي على موافقتك دي أبدًا ، وأشكرك على تفهّمك للموقف ، ثم مدّ يده إلى كوب ليمون وقدّمه لكاريمان ، ثم استدرك الموقف وقدّم الكوب للأستاذ أمين قائلاً : لامؤاخذة يا عمّي ، اتفضّل ... بينما ابتسمت كاريمان ، وأخذت الكوب الثاني وقدّمته للدكتور محمد ، فأخذه منها وهو ينظر إليها ، وكأنه قد بدأ يُعْجَبُ بِها وبحسن تفكيرها . وبعد أن شرب الليمون ، استأذن للانصراف ، فنظرت إليه كاريمان ولسان حالها يقول : ماتخلّيك معانا شويّة .. وودّعه عند الباب الرجل وابنته .

وبعد انصراف الدكتور محمد قال الرجل لابنته : برافو عليكِ يا كاريمان .. موافقتك دي عين العقل ، ورفعتِ راسي قدّام خطيبك ، ربّنا يتمّم لكم بخير يا بنتي .. وإذا بأمّها تأتي وتقول متهكّمة : عين العقل ؟.. دي هيّ دي قلّة العقل .. فيه واحدة عاقلة توافق على إنّها تعيش مع حماتها في الزمن ده ؟.. ابقي قابليني انتِ وابوكِ .. على رأي المَثَلْ .. بكره نقعد جنب الحيطة ونسمع الزّيطة ..
فقال لها زوجها : يا وليّة قولي كلمة طيّبة ، تشجّع البنت (ثم يوجّه الكلام لابنته) يابنتي ، مالكيش دعوة بكلام أمك ، واعرفي إن الدكتور محمد ده عريس لقطة .. تتمناه أيّ بنت ، ولو راح منّك مش حاتعرفي تعوّضيه ، وأنا باقولّك أهو ..

وذهب الدكتور محمد إلى والدته التي استقبلته وكلها شوق لمعرفة نتيجة المقابلة ، وكانت في غاية القلق .. ولما رأت الابتسامة على وجه ابنها استبشرت خيرًا ، وسألته في لهفة : هيه ..خير ، عملت إيه يابني ؟؟..
فقال : كل خير ياماما ، وافقوا ، الحمد لله .. تعرفي ياماما .. أنا بدأت أقتنع بإن كاريمان دي عاقلة .. فقالت : مش قلت لك ؟!.. على خيرة الله يابني .

واتفق الدكتور محمد مع الأستاذ أمين ، بناءً على رغبة والدته في التعجيل بالزواج .. واتفقوا جميعًا على أن يكون الاحتفال بتقديم الشبكة وعَقْدِ القران والزفاف في ليلة واحدة .. وفعلاً أقيم الحفل في إحدى صالات أندية القوات المسلحة ، وحضره الكثيرون من زملاء الدكتور محمد وأصدقائه وأقاربه ، وأقارب وأصدقاء وجيران أسرة العروس ، وكان حفلاً جميلاً اشترك في إحيائه بعض المطربين والمطربات ، ولم تكن فيه راقصات بناء على رغبة الدكتور محمد ، والتُقِطَتْ الصور للذكرى ، وانهالت باقات الورود وبرقيات التهاني ، وكانت السعادة بادية على وجوه الجميع ، العروسين ، ووالد العروس ، ووالدة العريس .. أما أم كاريمان فكانت تتسامر مع بعض ضيوف

الحفل ، ولكن إذا نظرت إلى أم محمد تجهّمت وبدت على وجهها الكآبة والغيظ ، والغيرة منها ، لأن تفكيرها القاصر والمحدود جعلها تعتقد أن أم محمد قد انتصرت عليها في مسألة إقامة الزوجين معها .. وأنّها هي التي ضغطت على ابنها ليطلب ذلك .

وأثناء الحفل ، عندما حاولت المطربة أن تجعل العروسين يشتركان في الرقص ، سارعت كاريمان بالوقوف للرقص وتكاد السعادة ترقص في قسمات وجهها ، أما الدكتور محمد فإن وقاره واتزانه منعه من أن يستجيب للمطربة بالرقص ، واكتفى بتشابك الأيدي مع الراقصين من بعض المدعوين في الدائرة التي كوّنوها حول العروسين .. واستمر الحفل حتى ساعة متأخرة من الليل .. وبدأت مراسم الزفاف الذي تتقدّمه المطربة وضاربو الدّفوف ونافخو البوق ، وحاملو المشاعل ، حتى خرج العروسان من باب النادي ليركبا السيارة المزيّنة بالورود وشرائط الزينة ، وتقدّم الأقارب والأصدقاء لتوديع العروسين قبل ركوبهما السيارة .. ولما جاءت أم العريس احتضنت ابنها بحنان بالغ ، وفي عينيها دموع الفرح والسعادة ، وفي صدرها إحساس بشكر الله الذي أنعم عليها ، وحقق لها أمنيتها بزواج ابنها في حياتها .. ولما رأى ابنها الدموع في عينيها قال لها : إيه يا ماما ده ؟!. إنتِ بتبكي ؟!. يبقى نروّح معاكي بقى ، وبلاش نروح الفندق ، وبلاش شهر عسل .. فضحكت أمّه وقالت : لأ يابني ، دي دموع الفرح ، روح يابني انت وعروستك ، ربّنا يسعدكم ، واتجهت إلى كاريمان وقالت لها : خدي بالك منّه يا كاريمان .. وانت يا محمد ، خد بالك منها ، وان شاء الله لما تسافروا بكره اسكندرية تبقوا تطمّنوني على وصولكم بالسلامة ، وبعدين ما تنسوش تتصلوا بيّ ولو مرّة كل أسبوع .

فقالت كاريمان : كل أسبوع إيه ياماما ؟ قولي كل يوم .. وقبّلتها حماتُها ، وقالت لها : ربّنا يسعدكم يا بنتي . (وكانت أم كاريمان تنظر إلى أم محمد نظرة غيظ وغيرة) وجاءت لتقبّل ابنتها وقالت لها : خدي بالك من نفسك ، وابقي اتصلي بيّ كل يوم ..

قالت كاريمان : حاضر يا ماما .. ثم ركبا السيارة مع توديع الحاضرين وأصوات الزغاريد ..

وانطلقت السيارة بهما إلى الفندق الذي سيقضيان فيه ليلة زفافهما ، ثم يسافران في الصباح إلى الإسكندرية لقضاء شهر العسل .. وفي اليوم التالي وصل العروسان إلى الإسكندرية حيث أقاما في أحد الفنادق المطلة على البحر .. وفي جلسة لهما في كازينو على شاطئ البحر ، قالت كاريمان : إنت مبسوط يا دكتور محمد ؟..

فقال لها : مابلاش حكاية دكتور دي .. لازم نرفع التكلّف بينّا ، إحنا بقينا زوجين .

فقالت : طيّب يبقى مش حاقول يامحمد ، حاقول يا حمادة .. إيه رأيك ؟..

قال : ماشي ياست وانا أقولّك يا كرم ، إيه رأيك ؟.فقالت : اللي يعجبك يا حبيبي .

فقال : اسمعي يا كرم .. قالت : نعم يا حبيبي ؟

قال : أنا عاوز واحنا في بداية حياتنا ، نتفاهم فيما بينّا على أسلوب حياتنا ، ونلتزم باللي نتفق عليه .. قالت : وأنا موافقة .

فقال : أيّ قارب في النهر وراكب فيه اتنين ، وماسكين مجدافين ، إذا كانوا عاوزين القارب يفضل مستمر في السير للأمام ، يبقى لابد إن حركة المجدافين تكون متناسقة ومتشابهة ومتوازنة .. أما إذا اختلفت حركة المجدافين ، يبقى القارب سيتعثّر ومش حايقدر يواصل التقدّم للأمام .. والقارب هوّ بالضبط الحياة الزوجية ، واللي بيقود المجدافين هما الزوج والزوجة .. إذا ساد بينهم التفاهم والمحبة ، والمناقشة الموضوعية ، استمرّت الحياة الزوجية في طريق السعادة .. عشان كدة أنا عاوز نتفق على مبادئ محددة نمشي عليها ولا نختلف أبدًا .. ممكن نختلف في وجهات النظر حول الأساليب ، لكن المبادئ تكون ثابتة لا نخرج عنها .. فاهماني ؟؟..

قالت : قول يا حبيبي كل اللي انت عاوزه ، وانا حانفّذه بالحرف الواحد ، أنا كل اللي يهمّني رضاك ، وإنك تكون سعيد معايا..

فقال : طبعًا ده كلام جميل ، ولكن لازم نحدد المبادئ .. وأنا حاتكلّم عن الأشياء اللي تسرّني والأشياء اللي تضايقني .. وانتِ كمان تقولي إيه الحاجة اللي تعجبك والحاجة اللي ما تعجبكيش .

فقالت : أنا كل حاجة فيك تعجبني ، ومفيش حاجة فيك ما بتعجبنيش .

قال : أنا عاوز تكوني واقعية ، إحنا دلوقت بنخطط لأسلوب حياتنا عشان مانختلفش في يوم من الأيام .. وعلى أيّ حال ، أنا حابدأ بنفسي ، وحاقولّك على اللي أنا عاوزه منّك .. أوّلاً .. الصّدق المطلق في جميع الحالات ، وعدم إخفاء أيّ أسرار ، لأن الكذب زيّ ما بيقولوا "" مالوش رِجْلينْ " ولابد يوم ينكشف ويسبب مشاكل إحنا في غنى عنها .. ثانيًا .. المحافظة على أسرار الحياة الزوجية من أهم أسباب نجاحها ، لأن أسرار الزوجين إذا خرجت عنهما لم تَعُدْ سرًا .. وممكن تدّي فرصة للآخرين إنّهم يتدخّلوا في حياة الزوجين فيفسدوا بينهم ، حتى لو كان هدفهم الإصلاح .. ولاحظي إن ماما حاتعيش معانا ، ومامتك حاتزورنا كتير .. وعشان ننجح في حياتنا يبقى لا ماما ولا حماتي يجب إنّهم يعرفوا أيّ شيء عن أيّ خلاف يحصل بينّا .. ثالثاً .. لازم تعرفي إني غيور ، وباعتقد إن كل زوج لازم يغير على زوجته ، وإلاّ ما يبقاش بني آدم عنده كرامة ، عشان كده لازم نتجنّب أسباب الغيرة (فابتسمت كاريمان) يعني مثلاً الملابس لازم تكون حشمة .. وبصراحة أنا مش عاجبني الملابس اللي عندك ، وياريت توافقيني على تغييرها .

فقالت : اللي انت عاوزني أغيّره اغيّره (وقد سرّها قوله لأنّها أحسّت أنه يحبّها ويغار عليها) . فقال : بارك الله فيكِ .. رابعًا .. رغم أني حاصل على الدكتوراه ، يمكن تقولي عليّ رجعي بعض الشيء في اللي حاقوله .. أنا لا أثق في الأطباء ولا في الدواء ، في الزمن ده ، واللي بنقراه وبنسمعه عن التشخيصات الخاطئة لبعض الأطباء ، والأدوية المغشوشة واللي انتهت مدّة صلاحيتها ومازالت تُباع في الصيدليات تجعلني أفقد ثقتي في الأطباء والأدوية .. ولهذا فقد تعوّدتُ على أن أُعالج نفسي طبيعيًا ، بمعنى

أن أبتعد بقدر الإمكان عن أسباب الأمراض ، وأؤمن بأن الوقاية خير من العلاج .. كما أؤمن أيضًا بأن أخطر سبب يمكن أن يصيب الإنسان بالأمراض الصعبة هو الانفعال ، والفكر والنوم في حالة الغضب .. ولهذا فأنا أرى أن من أهم واجبات الزوجة المخلصة لزوجها ، ألاّ تتركه ينام وهو غاضب ، سواء منها أو من أيّ شيء آخر .. أنا عارف إن دي مهمّة قد تكون صعبة على الزوجة ، وخصوصًا إن كانت هي كمان منفعلة أو غاضبة .. لكن إن كانت بتفكّر كويّس لازم تحط في اعتبارها إن نوم الزوج وهوّ غاضب قد يؤدّي إلى إصابته بانهيار عصبي .. فإذا استطاعت أن تضبط أعصابَها وتمتص غضب الزوج ، وتحاول أن تُسرّي عنه حتى تُبْعِدَ عنه الغضب قبل أن ينام ، تكون قد نجحت في أمرين .. الأوّل هو إبعاد خطر إصابته بأيّ مرض ، والثاني هو كسْبُها لاحترام زوجها وتقديره لها .. ولهذا أنا أطلب منكِ أن تجتهدي في امتصاص غضبي إن غضِبْتُ ، وألاّ تتركيني أنام وأنا غاضب أو منفعل ، خامسًا .. أنا أؤمن بأن بيت الزوجية هو مِلْكٌ للزوجين معًا ، بمعنى أنه لا يجب على أيّ واحد من الزوجين أن يترك بيت الزوجية عند حدوث أيّ خلاف ، بل يمكن للزوجين الاستمرار في بيت الزوجية حتى أثناء الخلاف ، إلى أن تنتهي أسبابه .. وأنا عن نفسي أعدُكِ ألاّ أطلب منكِ مغادرة البيت مهما حدث بيننا من خلاف .. وفي مقابل هذا .. إذا حدث " لا قدّر الله " أن خرجتِ من البيت على أثر حدوث خلاف بيننا ، وكان خروجكِ بإرادتكِ ودون موافقتي ، فاعلمي أنني لن أسعى أبدًا لإرجاعكِ إلى بيتك ، حتى لو أدّى الأمر أن أعيش طول العمر بدون سيدات ، ثم قال : ودلوقت أحب أعرف رأيك في المبادئ دي ، وأحب أعرف أيضًا أفكارك فيما يعجبك ومالا يعجبك !!..

وابتسمت كاريمان ابتسامة ليست كاملة الصدق ، وأفصحت عيناها عن بعض التحفظات على كل ما ذكره زوجها من مبادئ ومفاهيم ، ولكنها بمكر المرأة المعروف ودهائها الموروث ، حاولت أن تُظْهِرَ قبولها لكل ما يريده زوجها لكي لا تعكّر صفو الجلسة الرومانسية على شاطئ البحر .. وأخيرًا أمسكتْ بيد زوجها وقالت له : كل

اللي انت قلته ياحبيبي أنا موافقة عليه ، وحابذل كل جهدي عشان أخليك سعيد ، واطمئن .. مش حاخلّيك تنام مرّة وانت زعلان منّي .. بس أنا ليّ طلب واحد .. أنا كنت متعوّدة على الخروج في بعض الأيام ، وكنت باروح النادي مع بعض صديقاتي .

فقال زوجها : شوفي ياست ، أنا ماعنديش مانع إنك تروحي النادي ، بس معايا مش لوحدك .

فقالت : طيّب لما تكون انت مشغول وأنا قاعدة لوحدي ، ممكن أروح النادي (ثم استدركت) مع ماما طبعًا .. فقال : إذا كان مع ماما أو بابا مفيش مانع .

قالت : حاجة تانية كمان ، حكاية الملابس دي ، أنا متعوّدة على الملابس الخفيفة .

فقال : في البيت البسي زيّ ما انتِ عاوزه .. لكن خارج البيت لازم تكون الملابس حشمة .

ولما وجدته يتحدث في هذا الموضوع بأسلوب حازم ، رأت أن توافقه فقالت : أمرك ياحبيبي .

فابتسم وقال : أنا دلوقت ارتحت ، وأرجو إن كان لكِ ملاحظات أو طلبات إنك تذكريها دلوقت عشان نتفاهم فيها .

فقالت : أبدًا ، أنا ماليش طلبات ولا ملاحظات ، واللي يريّحك يريّحني .. فأمْسَكَ بيدها وضغط عليها سعيدًا بردّها المريح وقال لها : أوعدك بأني حاعمل كل ما في استطاعتي علشان أسعدك ، وأحافظ على حياتنا الزوجية .

فقالت له بنظرة حانية : مش نروّح بقى ؟..

فقام وقال لها : أمرك يا حبيبتي .. وذهبا معًا إلى الفندق .

وكان الدكتور محمد يتصل بوالدته صباح كل يوم من أيام شهر العسل ، ليسأل عنها ويطمئن عليها .. وكذلك كانت كاريمان تتصل بوالدتها ووالدها ، وتخبرهما عن سعادتِها مع الدكتور محمد ، وقضيا معًا أيام شهر العسل في سعادة وهناء . وبعد انتهاء

هذا الشهر عادا إلى بيتهما حيث استقبلتهما والدته بكل الفرح والابتهاج وسألت والدته كاريمان إن كانت قد استمتعت بهذه الرحلة ودعت لها بدوام السعادة .

وفي اليوم التالي زار العروسان والديْ العروسة ، وجلس الدكتور محمد مع الأستاذ أمين بينما أخذت أم كاريمان ابنتها إلى خارج الصالون لتتحدث معها على انفراد ، ولتسألها عن بعض أسرار حياتها .. وهنا تذكّرتْ توجيهات زوجها فيما يتعلّق بأسرار الزوجين ، فكانت تجيبها باختصار ودون تفصيلات ، وظلّت الأم تقدّم لابنتها ما تعتقد أنّها نصائح بأن يكون لها شخصية وكلمة في البيت ، وأن يكون لها حرّية الخروج من البيت وقتما تشاء ، وارتداء ما تريد من الملابس ، وكانت كاريمان مترددة في قبول ما تنصحها به أمّها ، لأنه يتعارض مع مبادئ زوجها .

وعاشت كاريمان مع زوجها حياة سعيدة هانئة ، وأنجبا خلالها ولدين أكبرهما " خالد " الذي يبلغ من العمر عشر سنوات ، والثاني " عمرو " والذي يبلغ من العمر ثمان سنوات .. وبدأت آثار الزمان ترتسم على وجه الدكتور محمد ، حيث بدأ بعض الشعر الأبيض يكسو أجزاء من رأسه ، رغم أنه لم يتجاوز الخامسة والأربعين من العمر .. أما كاريمان التي لم تكن قد جاوزت السابعة والعشرين ، فقد ازدادت جمالاً وبهاءً ، وتطوّر قوامها نضجًا وفتنة وأصبحت ذات أنوثة طاغية ومُلْفِتَة للأنظار ، مما كان يدفع زوجها إلى عدم رغبته في كثرة خروجها ، خاصةً وأن عمله بدأ يأخذ الكثير من وقته ، وأصبح في حاجة إلى الراحة في البيت ، مما كان يتناقض مع رغبة زوجته في الخروج مع ولديْها وأمّها .. وأحيانًا كانت تترك الولدين مع جدّتهما وتخرج هي بحجة زيارة أمّها .. وبدأت تلجأ أحيانًا إلى الكذب لتبرير خروجها ، فمرّة بحجة زيارة صديقة لها مريضة، ومرّة أخرى بحجة زيارة والديها اللذين انتقلا إلى مسكن جديد يبعد عن المسكن القديم.. وهي في الحقيقة تخرج للقاء بعض صديقاتها في النادي ..

فقد بدأت تشعر بفراغ قاتل مع انشغال زوجها معظم الوقت في حجرة المكتب حيث يُعدُّ المحاضرات ويقرأ الكتب والمراجع .. وقد سئمتْ الجلوس مع حماتها المُسنَّة التي تختلف معها في نظرتها للحياة .. فحماتُها تقدّس الحياة الزوجية وتربية الصغار ، وكانت تبذل قصارى جهدها في رعاية حفيديها خالد وعمرو ، ومتابعة تعليمهما وتوجيههما .. وكثيرًا ما كانا يرفضان الخروج مع أمّهما ويفضّلان البقاء مع جدّتهما في البيت حيث تحكي لهما الحكايات ، وتجيب على أسئلتهما .. ولذلك كان تعلّق الولدين بجدّتهما أقوى من تعلّقهما بوالدتهما التي كان اهتمامها في الوقوف أمام المرآة معظم الوقت ، وعمل المكياج واختيار الملابس المناسبة لخروجها .. وكان ارتباط الولدين الشديد بجدّتهما ، يتيح لكاريمان فرصة الخروج وحدها لتلتقي بصديقاتها في النادي .

وذات يوم كانت تجلس مع بعض صديقاتها في النادي وهن يتحدثن ويثرثرن وتعلو ضحكاتُهن ، بينما كانت كاريمان تجلس شاردة الفكر في الفراغ الذي تعيش فيه .. وكان يجلس على منضدة قريبة شاب وسيم يبدو أنه رسّام لأن أمامه بعض اللوحات الورقية .. وقد رأى الشابُ كاريمان وهي شاردة ، وكان منظرها يوحي بلوحة فنية رائعة ، فأمسك الشاب بكرّاسة رسم كبيرة كانت أمامه وأخرج القلم الفحم ، وحملق في كاريمان الشاردة ، وكان ضوء شمس الأصيل التي أوشكت على الرحيل ، قد أكسبَ شعرها لونًا يميل إلى اللون الأصفر الممتزج بالأحمر ، كما أضاء جزءًا من وجهها الجميل ، مع وجود بعض الظلال الخفيفة على الجزء الآخر من الوجه ، مما شجّع الشاب الرسّام على انتهاز الفرصة ، ورسم لوحة لكاريمان كانت في غاية الروعة والإتقان !!..

وفجأة التفتت إحدى الصديقات إلى ذلك الرسّام الذي كان يختطف النظرات المتكرّرة نحو كاريمان ويرسم لوحته ، فغمزت هذه الصديقة إلى صديقاتها لينظروا إلى

الرسام وإلى كاريمان .. ثم قامت إحداهن وذهبت إلى حيث يجلس الرسّام ونظرت إلى الصورة التي رسمها ، فإذا هي كاريمان بعينها ، وقد أضفى عليها بعض اللمسات الفنية التي جعلت منها لوحة راقية ذات معنىً ، فصاحت الصديقة قائلة : أوه !!.. الله .. رائعة !!.. ثم نادت على صديقاتها وقالت : تعالوا شوفوا ، فأقبلن جميعهن بسرعة لرؤية اللوحة ، إلاّ كاريمان التي كانت مازالت تجلس في شرودها .. وسرعان ما أفاقت من شرودها على صوت ضحكات صديقاتها ، وهن واقفات بجوار الرسّام الشاب ، فنظرت إليهن مندهشة .. فأشرن إليها لتذهب إليهن ، فقامت وذهبت ، وكانت دهشتها أكبر عندما شاهدت اللوحة التي تصوّرها الرسّام لها في أروع صورة ، وأحسّت بالانبهار وفي نفس الوقت بالخجل .. وبادرها الرسّام بقوله : لا مؤاخذة يا آنسة .. أنا اضطرّيت أرسم الصورة دي غصب عنّي .. تسمحي لي أعرض الصورة دي في المعرض الجاي ؟!.. فلم تُجبْ كاريمان ... وصاحت صديقاتُها واحدة بعد الأخرى : وماله يا أستاذ .. بس فين المعرض ده ؟.. فأعطاهن عنوان المعرض ، ثم ناول كاريمان بطاقة بعنوان المعرض وتاريخه ، وقال لها : أكون سعيد لو تكرّمتِ وشرّفتيني بزيارة المعرض يوم الافتتاح ، فأخذت البطاقة ولم تستطع الإجابة ، ولكن صديقة لها قالت : طبعًا حاتحضر ، واللاّ إيه يا كاريمان ؟..

فقال الرسّام : كاريمان ؟!.. اسم جميل ، لوجه جميل .. فقالت : إحداهن : الله !!.. ده غزَلْ بقى واللاّ إيه ؟!..فشعرت كاريمان بالخجل وعادت إلى حيث كانت تجلس من قبل بينما الرسّام يتابعها بنظراته التائهة ، وكأنه اكتشف ضالّته المنشودة .. أما الصديقات فكن يتغامزن ، ويتهامسن ، ثم تعلو ضحكاتُهن ، وأسرعن يجرين إلى مكان كاريمان ، وقالت إحداهن لزميلاتها : يظهر إن " الهلب " شبك ، فضحكن ، بينما أحسّت كاريمان بالخجل ، وتظاهرت بأنها لا تعرف قصدهن ، وقامت واستأذنت منهن وانصرفت .

وعندما عادت إلى البيت أسرع الولدان يحييان أمّهما ويقولان : إنتِ كنتِ فين يا ماما ؟.. وكانت شاردة ولم تسمع سؤال ولديها ، واستمرّت في سيرها ، وولداها يسيران وراءها ، وسألها خالد مرّة أخرى : كنتِ فين يا ماما ؟..

فقالت : كنت عند ماما .

فقال خالد متعجّبًا : الله !!.. دي تيته اتصلت وسألت عليكِ ، وكمان جدّو أمين اتصل بعد كده وسأل عليكِ ... فارتبكت كاريمان ، ثم قالت : لأ ، مانا رحت الأوّل مالقيتهاش ، وبعدين رحت عند تانت سلوى عشان كانت عيّانة شويّة ، فاندهش عمرو ، ابنها الصغير وقال لأخيه خالد : مش تانت سلوى هيّ اللي جت النهارده وسألت على ماما ، وقعدت شويّة مع تيته ؟!.. وماكانتش عيّانة ولا حاجة !!..

وعندما سمعت كاريمان تعليق ابنها عمرو ، زاد ارتباكها .. وكانت حماتُها جالسة في الصالة ، ولما سمعت الحوار الذي دار بين الولدين وأمّهما ، وأحسّت بالمأزق الذي أوقعت كاريمان نفسها فيه أمام ولديها ، أرادت أن تنقذها من الحرج فقالت الجدّة للولدين : تعالَ يا خالد إنت وعمرو وسيبوا ماما دلوقت عشان ترتاح من المشوار .. فسأل خالد جدّته : هيّ تانت سلوى لما كانت قاعدة معاكِ كانت عيّانة ؟!.. فنظرت الجدّة إلى ناحية كاريمان التي كانت في غاية الارتباك ، ثم قالت لخالد : أيوه يا حبيبي ، وكانت جايّه من عند الدكتور ، ويظهر إن ماما راحت لها بعد ما مشْيِتْ من هنا .

ودخلت كاريمان حجرتَها وألقت بحقيبة يدها على السرير وهي تشعر بالحيرة ولا تدري ماذا تفعل بعد أن انكشف كذبُها أمام حماتها !!.. وفجأة نظرت إلى حقيبة يدها التي ألقتها على السرير، ثم التقطتها بسرعة وكأنّها تذكّرت شيئًا هامًا .. ثم أخرجَتْ الكارت الذي أعطاه لها الرسّام الشاب ، وقرأته ورأت اسمه " مجدي ابراهيم " ، ورأت أن تاريخ افتتاح المعرض هو يوم الخميس القادم في الساعة السادسة مساء .. وراحت تتذكّر الرسّام وهو ينظر إليها في إعجاب .. وتذكّرتْ كلماته الرقيقة وهو يقول لها

" أكون سعيد لو تكرّمت وشرّفتيني بزيارة المعرض يوم الافتتاح " .. وتذكّرت أيضًا صديقتها التي أجابت نيابةً عنها بقولها : " طبعًا حاتحضر .. مش كده يا كاريمان ؟ " ، وتذكّرتْ أيضًا تعليقه بقوله: " كاريمان ؟ اسم جميل لوجه جميل !! " .. وابتسمت عندما تذكّرت ذلك .. وراحت تضرب بالكارت على يدها وهي تفكّر .. وكأنّها تتساءل : هل تذهب إلى المعرض يوم الافتتاح ، وتلبّي دعوة ذلك الشاب الوسيم الذي انبهر بجمالها ؟؟.. كانت تستعيد تذكّر كلماته الرقيقة ونظراته الحائرة .. وتشعر بأن كلماته ونظراته قد أيقظت شيئًا كان كامنًا في داخلها .. ووجدت نفسها تذهب إلى المرآة لتتفحّص جمالها الفاتن ، وقوامها الممشوق وأنوثتها الطاغية ، ثم تعبث في شعرها وتستدير يمينًا ويسارًا.. وبينما هي كذلك، وقعت عينها على صورة زوجها المعلّقة على الحائط والتي تُظْهِرُ الشعر الأبيض في أجزاء من رأسه ، وتجد نفسها تتجهّم وكأنّها أحسّت بأن الدكتور محمد لم يكن الشخص المناسب لها ، فهو يكبرها بحوالي ثمانية عشر عامًا ، وعمله المتواصل يشغل معظم وقته ، ولا يهتم بِها كما تحب.. وكأنه لا يلاحظ جمالها وفتنتها .. ولا يُلْقِي على مسامعها كلمات الغَزَلِ التي تتناسب مع جمالها .. وفجأةً تخيّلتْ أن الصورة للرسّام الشاب "مجدي" فانفرجت أساريرها ، وغَطّتْ وجهها ابتسامة مشرقة .. ولكن سرعان ما اختفت صورة مجدي وأفاقت على الحقيقة ، وأن الصورة لزوجها الدكتور محمد ، فاختفت الابتسامة من وجهها الذي كساه التجهّم من جديد ، ثم ألقت بجسدها على السرير وكأنّها تعيش في حُلْمٍ جديد لا تدري كيف ستسير فيه ، ولا كيف ستكون نهايته!!..

وبعد قليل وصل الدكتور محمد ، وبمجرّد دخوله الشقة جرى إليه الولدان يرحّبان به ، وراح يقبّلهما ويحتضنهما ، وسلّم على والدته وقبّل يدها ثم قال لها : النهارده كان يوم شاق من أوّله لآخره ، ثم نظر حوله وقال لأمّه : أمّال فين كاريمان ؟..

فقالت أمّه : في حجرتِها .. ويبدو إنّها مرهقة شويّة لأنّها كانت عند مامتها .

فقال متسائلاً : مرهقة ؟!.. إزّاي ؟!.. وذهب إلى كاريمان وطرق الباب ودخل فوجدها راقدة على السرير بملابس الخروج ، فقال لها : مالك يا كاريمان ؟ .. فأسرعتْ كاريمان بوضع الكارت الذي كان في يدها ، تحت الوسادة ثم اعتدلتْ وقالت : لأ .. مفيش حاجة .. بس مرهقة شويّة من المشوار ، وعندي شويّة صداع .
فقال : سلامتك يا كَرَمْ .. قومي اقعدي معانا ، واشربي كوبَّاية ليمون .. يمكن سبب الصداع إنك جعانة .. إنتِ اتغدّيتي ؟ .. قالت : لأ .
فقال : طيّب قومي ياللاّ خلّي زينب "يقصد الشّغالة" تجهّز العشا .. ياللاّ قومي وغيّري هدومك ، فقالت وهي تتظاهر بالتعب والإرهاق : لأ معلش ، كلوا انتم وسيبوني ارتاح شويّة .. وبدا على زوجها القلق ، وجلس بجوارها على السرير وسألها : إيه يا حبيبتي .. حاسّة بإيه ؟!.. فقالت : شويّة إرهاق .. ولما أنام شويّة يمكن أروق .
فقال : تحبّي أجيب لك الدكتور ؟!..
قالت : لأ لأ.. الحكاية بسيطة مش محتاجة دكتور ولا حاجة .
فقال : يعني مش حاتتعشّي معانا ؟ .. قالت : لأ .. معلش ، اتعشّوا انتم .
فقال : طيّب قومي غيّري هدومك ونامي شويّة ، وإن احتجتِ حاجة نادي علينا .. أنا حاقعد مع ماما والأولاد شويّة .. أسيبك أنا بقى عشان ترتاحي .. ثم خرج .
وسأل والدته : مالها كاريمان ياماما ؟
فقالت أمّه وهي تحاول التخفيف عنه : مفيش حاجة يابني ، دي بس مرهقة من المشوار ودلوقت تروق ، ماتشغلش بالك ..وكانت كاريمان تقف خلف الباب لتسمع ما تقوله حماتها ، وحمدت الله أنّها لم تحكِ له ما دار بين الولدين وأمّهما .. وغيّرت ملابسها ورقدت على السرير ثم أخرجت الكارت مرّة أخرى وظلت تنظر إليه وتسرح بخيالها .

وجاء موعد افتتاح المعرض ، وكان الرسّام الشاب " مجدي ابراهيم " يستقبل روّاد المعرض ، وعيناه تتجهان يمينًا ويسارًا وإلى المدخل لعله يرى كاريمان ، وكان في غاية الشوق لرؤيتها .. ومرّت الدقائق عليه كأنها شهور وهو يتطلّع إلى رؤيتها .

وكانت هي حائرة تجوب الحجرة ذهابًا وإيابًا ، وتفكّر وكأنّها تحاول أن تصل إلى قرار ، أتذهب إلى المعرض أم لا ؟!.. وتنظر إلى صورة زوجها ثم إلى الصورة العائلية التي تجمع بينها وبين زوجها وولديها ، فتهدأ وتميل إلى عدم الذهاب إلى المعرض وتجلس على السرير .. ثم تشغل خيالها صورة " مجدي " وهو يرجوها أن تحضر افتتاح المعرض ، فتشعر بأنّها في حاجة إلى الذهاب إلى المعرض ، ولا تدري السبب وكأن شيئًا ما بداخلها يدفعها دفعًا إلى الذهاب .. وأخيرًا تقرّر الذهاب والاستجابة لتلبية دعوة مجدي ، فتنهض بسرعة وتفتح دولاب الملابس وتبحث عن أجمل فستان ، وترتديه ثم تخرج إلى الصالة وتقول لحماتها إنّها ستذهب إلى أمّها وستعود بعد ساعة تقريبًا.. وتخرج وتستقل تاكسيًا وتصل إلى المعرض ، وتتقدّم بالخُطَى لتصعد درجات السلّم القليلة عند مدخل المعرض ، ويبدو عليها التردّد فتتراجع وتَهبط درجات السلّم وتسرع عائدة وتجري وكأنّها خائفة من المجهول الذي يطاردها .. وتنظر وراءها وهي تسرع بالخُطَى ثم تتوقف فجأةً وكأن قوّة خفية قد أوقفتها وتجعلها تستدير في اتجاه المعرض ، ثم تندفع مسرعة وتصعد درجات السلّم ثم تدخل بخطوات بطيئة متثاقلة ويبدو عليها الارتباك الشديد ، وكأنّها تصارع قوّتين مغناطيسيتين ، إحداهما تشدّها إلى الخلف والأخرى أشدّ قوّة وتجذبُها إلى داخل المعرض .

وترى في الداخل جمهورًا غفيرًا من روّاد المعرض وقد وقف كل منهم يشاهد اللوحات المعروضة .. وفي ركن من أركان المعرض كان يتجمّع عدد كبير أمام اللوحة التي رسمها مجدي لكاريمان وهي شاردة .. وكان مجدي يشرح للروّاد هذه اللوحة ، وبين الحين والآخر كان ينظر هنا وهناك بحثًا عن كاريمان .. ولما طال الوقت ولم تصل كان قد فقد الأمل في وصولها .. ولكنه فجأةً لمحها من بعيد .. وعندما رأته ينظر إليها

أحسّت برعدة ثم تجمّدت خطواتُها وكأن قدميها التصقتا بالأرض ، ووقفت حائرة لا تدري ماذا تفعل ، فهي لاتستطيع أن تعود إلى الخلف ، ولا أن تتقدّم إلى الأمام .. أما مجدي فقد ترك الروّاد ، وحتى دون أن يستأذن منهم .. وأسرع خطاه إلى مكان كاريمان ، وسلّم عليها ورحّب بها وأمسك بيدها وقال لها :

أنا شاكر جدًا إنك لبّيتي دعوتي .. أنا كنت قلقان خالص وخايف إنك ماتجيش ، وكان مازال ممسكًا بيدها .. وحاولت أن تسحب يدها ولم تستطع فقد كان ضاغطًا عليها وهو لا يدري ، ثم انتبه وقال لها : أنا آسف .. المفاجأة خلّتني مش عارف أنا باقول إيه أو باعمل إيه !!.. ثم ترك يدها وقال لها : اتفضّلي معايا ، وشوفي صورتك عليها إقبال قدّ إيه !!..

فقالت : أنا آسفة ، مش حاقدر أقف وسط الناس ، لأني مش عاوزة حدّ يعرفني ، ثم قالت : أنا مش عارفة إزّاي جيت !!..

فقال : لأن قلبك الرقيق وإحساسك المرهف رفض إنه يكسر قلب واحد زيّ حالاتي انشغل بيكي من أوّل ما شفتك في النادي ، وحسّيت إنك الإنسانة اللي بدوّر عليها ، واللي حاتكون إلهامي في كل أعمالي بعد كده .. ماتآخذنيش إن كنت باتكلّم معاك بالشكل ده ، بالرغم من إننا ماتقابلناش إلاّ مرّة واحدة ، ولكن يبدو إن القَدَرْ بَعَتِكْ لِيّ عشان ينوّر حياتي !!..

فقالت : أنا مضطرة أمشي دلوقت ، ونظرت إلى يدها اليسرى التي ترتدي فيها " دبلة الزواج " وبسرعة أخفت يدها حتى لا يراها مجدي ويعرف أنّها متزوجة .

وقال لها : مش معقول بالسرعة دي ؟!.. طيّب مش حاتتفرّجي على لوحات المعرض ؟

فقالت : معلش ، متأسفة .. يمكن مرّة ثانية .

فقال : أفهم من كده إنك ممكن تكرّري الزيارة ؟!..

قالت في حيرة : مش عارفة .. على حسب الظروف .

فقال : على أيّ حال أنا مش حاضغط عليكِ .. ولكن أرجوكِ تتصلي بيّ ، وأكون سعيد لو وافقتي على تحديد موعد نتقابل فيه ، ثم أعطاها " كارتًا " به رقم تليفونه .. فأخذته واستأذنت منه واستدارت وانصرفت مسرعة ، بينما وقف مجدي ينظر إليها وكأنّها أخذت روحه معها ، وكان يتساءل بينه وبين نفسه : هل ستعود ثانية ؟!..

وذهبت كاريمان إلى أمّها حيث قضت بضعة دقائق ، ثم اتصلت بحماتها وسألتها عن الولدين ، وأخبرتها بأنها قادمة إلى البيت .. وكانت بذلك تثبت لحماتها أنّها ذهبت إلى أمّها كما ذكرت لها ، حتى لا تساورها الشكوك ، خاصةً وبعد أن انكشف كذبُها في المرّة السابقة أمام ولديها .

وعادت إلى البيت وهي فرحة وتشعر بالسعادة والنشوة ، وكأن عالمًا جديدًا من السعادة قد فتح بابه أمامها على مصراعيه لتغترف منه ما تشتهيه من الحب ، وتعوّض به ما فاتَها من حرمان عاطفي .. ونَسيَتْ في خضمّ هذه الأفكار أنّها متزوجة وأن لديها ولديْن ، وأن ما تفكّر فيه ربما يؤدّي إلى انهيار حياتها الزوجية ويعرّض مستقبل ولديها إلى الخطر .. نَسيَتْ كل ذلك ولم يَعُدْ يشغل بالها إلاّ ذلك الطارق الجديد الذي طرق باب قلبها .. وراحت تفكّر في كيفية الاستجابة لهذا الطارق الجديد !!.. واستبدّت بها طباع المرأة الغادرة التي تنسى كل شيء وتضحّي بكل شيء ، حتى بأولادها ومستقبلهم إذا صادفتها عاطفة جديدة وسيطرت على قلبها وفكرها !!.. ولا يهمّها تحطيم بيتها أو تدمير حياة زوجها ولا معاناة أولادها ولا تعرّض مستقبلهم للخطر !!..

وعندما اجتمعت الأسرة على مائدة العشاء ، لاحظ الدكتور محمد أن تغييرًا قد طرأ على كاريمان ، فقد كان من عادتِها من قبل ، بعد أن تضع " الشغّالة " أطباق الطعام على المنضدة ، كانت تتولّى هي تقديم أنواع الطعام واللحوم لأفراد الأسرة ،

ولكن هذه المرّة جلست معهم وهي شاردة الفكر بشكل مُلفِت للنظر .. فنظر إليها زوجها وكذلك حماتُها وولداها في دهشة ، منتظرين أن تقدّم لهم الطعام كما اعتادت من قبل ، ولكنها مازالت في شرودها !!..

فقال لها زوجها : إيه ياكاريمان .. إنتِ مش معانا واللاّ إيه ؟!... وكأنّها لم تسمعه ، فقال بصوت أعلى مناديًا :كاريمان .. فأفاقت من شرودها ، وقالت : نعم .. إيه .. فيه إيه ؟!.. فقال زوجها متهكّمًا : فيه إيه ؟!!.. إنتِ مش عارفة فيه إيه ؟!!.. إنتِ مش ملاحظة إن الأكل على "الترابيزة " من مدّة وانتِ سرحانة ؟!..

فقالت وهي مندهشة : طيّب ماتاكلوا .. إيه اللي مانعكم ؟!..

فقال لها : انت ناسية إنك انت اللي بتقدّمي الأكل ؟!..

فقالت : معلش ماتآخذونيش ، أصل أنا دماغي مصدّعة شويّة ، على أيّ حال الأكل قدّامكم وكل واحد يمدّ إيده وياخد اللي هوّ عاوزه .. مش لازم كل مرّة أنا اللي أقدّم الأكل ، فقال الزوج في غضب : دي حاجة جديدة .. مالك ياكاريمان .. فيه إيه ؟!..

فقالت : حايكون فيه إيه يعني ؟ باقول لكم دماغي مصدّعة شويّة ، فيها إيه دي ؟!..

وعن إذنكم أنا مليش نفس ، ثم قامت وذهبت إلى حجرتها .. وسكت الزوج برهة ثم شعر بالضيق وقام ، وحاولت أمّه أن تقنعه بتناول العشاء ولكنه رفض وذهب إلى حجرة المكتب ، وجلس إلى مكتبه شارد الفكر يحاول أن يجد تفسيرًا لما يراه من تغيّر في سلوك زوجته ، ولكن دون جدوى .. وحاول أن يُبْعِدَ عن رأسه الوساوس والشكوك ، وذلك بأن يندمج في عمله .. وأخرج بعض الأوراق وأمسك بالقلم وحاول أن يكتب فلم يستطع ، فألقى بالقلم في غضب على المكتب ونهض ، وظل يمشي داخل الحجرة والفكر يكاد يُطيحُ برأسه ، ويضرب بقبضة يده اليمنى على كف يده اليسرى حائرًا في أسباب التغيّر المفاجئ الذي طرأ على زوجته .

أما والدته فقد احتفظت بهدوئها وأطعمت حفيديها .. ثم طرقت باب حجرة كاريمان واستأذنت في الدخول فأذنت لها كاريمان .. ودخلت حماتُها وعلى وجهها ابتسامة ودودة ، وجلست بجوارها على السرير وقالت لها في حنان :

إيه مالك يا كاريمان يابنتي ؟!.. أنا ملاحظة إنك متغيّرة حبّتين ، فيه إيه ؟.. إيه اللي مضايقك ؟.. قولي لي يابنتي ، أنا زيّ أمّك برضه !!..

فقالت كاريمان في ضجر : مفيش حاجة .

قالت حماتُها في تساؤل : أنا مضايقاكِ في حاجة ؟..

فقالت كاريمان معترضة : لأ ياماما لأ .. أرجوكِ ماتفهمنيش غلط .. أنا عمري ماشفت منّك حاجة تضايقني .

قالت حماتُها : طيّب أمّال إيه اللي مغيّرك بالشكل ده ؟!.. محمد مزعّلك في حاجة ؟..

فقالت : أبدًا ، هوّ احنا بنقعد مع بعض إلاّ في المناسبات !!.. هوّ فاضي لي .. نُصّ اليوم بيقضيه في الكلية ، والنصّ الثاني بيقضيه في حجرة المكتب .. ومابقيناش نشوف بعض إلاّ يادوب ساعة الأكل !!..

فقالت حماتُها : يعني هوّ ده اللي مزعّلك ؟.. إذا كان كده أنا لازم ألفت نظره وأكلّمه ولازم تخرجوا سوا مع الأولاد زيّ الأوّل ، وانتِ برضه تقدري تبقي تاخدي خالد وعمرو وتروحوا النادي تروّحوا عن نفسكم شويّة .

فقالت كاريمان : المسألة مش مسألة خروج ، أنا بصراحة حاسّة بضيق وكأني مخنوقة .

فقالت حماتُها : يابنتي قولي لي على اللي مضايقك .. اتكلّمي وفضفضي عشان تريّحي نفسك ، واعتبريني أمّك أو صديقتك ، يمكن أقدر أساعدك .. يابنتي الحياة مابتدومش على حال ، وكل إنسان ساعات يمرّ بأزمة ، أو يشعر بالضيق أو الملل من استمرار الحياة على وتيرة واحدة ، ولابد من التغيير .. ويمكن لو سافرتم سوا إنتِ ومحمد والولدين في رحلة كام يوم ، يمكن تغيير الجو ده يفيدكم .. إيه رأيك ؟.. أنا حاقوم أتكلّم مع محمد وأقول له ياخد إجازة أسبوع وتسافروا سوا .

فقاطعتها كاريمان وأمسكت بيدها وقالت : لأ ياماما ، مفيش داعي .. ماتشغليش نفسك ، ومفيش داعي الدكتور محمد يعطّل شغله ، أنا حابقى كويّسة .. وبعد إذنك أنا حانام دلوقت عشان أقوم بدري .

فقالت حماتُها : طيّب يابنتي على راحتك .. تصبحي على خير .. وتركتها وانصرفت .

وبدلاً من أن تنام كاريمان ، أخرجت الكارت الذي أعطاه لها مجدي ، وظلت تحملق فيه وتسرح بخيالها .. بينما ذهبت حماتُها إلى ابنها في حجرة المكتب فوجدته مستلقيًا على " كنبة " حجرة المكتب ولكنه مستيقظ ويبدو عليه القلق ، فقالت له :

أنا باحسبك مشغول بالقراءة أو الكتابة .. فقام واعتدل وقال : تعالي ياماما ، فجلست بجانبه وقالت له : قوم يابني .. روح لمراتك وشوف إيه اللي مضايقها ، واتفاهموا سوا .. وياريت يابني تسمع نصيحتي ، وتفوق شويّة لمراتك وولادك .. مش معقول الشغل ياخد كل وقتك وفين وفين لما بتقعدوا مع بعض .. ولازم تاخد بالك إن كاريمان في عزّ شبابها ، وبتشوف أصحابَها اللي بيخرجوا مع أزواجهم وبيروحوا النادي ويتفسّحوا وبيسافروا هنا وهنا .. يابني اسمع كلامي .. حاول تغيّر أسلوب حياتك ، وتنظم وقتك ، وزيّ ما بتدّي لشغلك حقّه بيتك برضه له حق عليك ، واللي بيحصل النهارده ممكن يكون بداية لخطر يهدّد حياتكم الزوجية .. وشوف يابني ، صحيح إنت معاك دكتوراه ، يعني متعلّم تعليم كبير ، لكن أنا أكبر منّك وخبراتي في الحياة أكتر ، وحطّها حلقة في ودنك .. سواء الراجل أو الست ، إذا اتْحَرَمْ واحد منهم من شيء في بيته ، حايدوّر عليه خارج بيته .. حكّم عقلك يابني ، والْحَقْ قبل الأوان مايفوت وترجع تندم ، وماتنساش إنك لازم تضحّي وتتنازل شويّة عشان خاطر ولادك ، ولازم تعرف إن الأولاد مش ممكن يعيشوا حياة طبيعية إلاّ مع الأب والأم .. وكل البيوت بيحصل فيها هزّات ، لكن الإنسان العاقل لازم يضبط أعصابه ويحكّم عقله ويخلّي الأزمة تعدّي .. ويعرف فين الخلل ويحاول يعالجه عشان المركب تمشي ، والأولاد يتربّوا في جوّ صحّي وسليم ، قوم يابني واخزي الشيطان ، وربّنا يوفقك !!..

وكان الدكتور محمد ينصت إلى كلام والدته ونصائحها بكل اهتمام ، ويبدو أنه اقتنع بكلامها فقال مستسلمًا : حاضر ياماما ، وقام واتجه إلى باب الحجرة ثم التفت إلى والدته وقال لها : شكرًا ياماما .. تصبحي على خير .

فقالت : وانت من أهله .. وخرج محمد من حجرة المكتب بينما رفعت الأم يديها إلى السماء تسأل الله له التوفيق وتقول : يارب سلّم .

وذهب الدكتور محمد إلى حجرة النوم ، وكانت كاريمان مازالت مستيقظة وقد جفاها النوم بسبب الأفكار والأحلام التي تُحلّقُ في سمائها ، وانشغالها بهذا الطارق الجديد الذي طرق قلبها وتمكّن منه ، ولا تستطيع منه فكاكًا .. وكان يُخَيَّلُ إليها أنّها تشعر بسعادة من نوع جديد وكأنّها لم تشعر بمثلها من قبل .. كانت تحسّ بأنّها وُلدَتْ من جديد ، وأن أمامها الآن فرصة ذهبية يجب ألاّ تضيّعها .. ولما أحسّت بدخول زوجها الحجرة تظاهرتْ بأنّها مستغرقة في النوم .. وجلس بجانبها وحاول أن يوقظها ليتبادل معها الحديث لعله يستطيع أن يُصْلِحَ ما بينهما من نفور ، ونادى عليها أكثر من مرّة ولكنها لم تردّ وكانت ترتسم على وجهها علامات النفور وعدم القابلية لتبادل الحديث معه ، وكأنّها لا تريد حتى أن تراه .. وكان هو يصارع نفسه .. ووجد نفسه أمام معادلة صعبة وطريقين متناقضين .. أوّلهما أن يحافظ على كرامته كرجل وكزوج يرى أنه لم يقصّر في حق زوجته أو أولاده ، ولم يُهِنْها يومًا أو يجرحها .. وهو يوفّر لبيته كل عوامل السعادة والاستقرار ، ولم يبخل على بيته أو زوجته أو أولاده بشيء .. والطريق الثاني أن يستسلم أمام تمرّد زوجته وأن يحاول إرضاءها ، ويرى في ذلك مساسًا بكرامته وإخلالاً بمبادئه .. وهنا أخذته العزّة ورأى ألاّ يستسلم .. ثم تذكّر أولاده عندما نظر إلى الصورة المعلّقة على الحائط وتجمع بينه وبين زوجته وولديه ، وسرعان ما عاد لمحاولة إيقاظ زوجته التي استمرّت في تظاهرها بالاستغراق في النوم .. فقرّر أن يتركها ونام هو الآخر .. ولكنها فتحت عينيها ، وكان الفكر والأرق وأحلام الحب الجديد قد حرموها نعمة النوم .. وبعد فترة نظرت إلى زوجها وبعد أن تأكّدت

من أنه راح في سبات عميق ، قامت بهدوء وبخطوات بطيئة وخرجت من الحجرة وهي تنظر خلفها لتتأكّد من أن زوجها مازال نائمًا .. ولما وصلت إلى الصالة تلفتت يمينًا ويسارًا لتتأكّد من عدم وجود أحد ، وذهبت إلى التليفون وهي تجول بنظراتها في أنحاء الصالة .. ثم تُخْرِجُ الكارت من صدرها وترفع سماعة التليفون وتطلب رقم تليفون مجدي الذي كان هو الآخر ساهرًا يفكّر فيها ويتمنى أن تطلبه وتكلّمه .. وفجأةً سمع جرس التليفون فأسرع ورفع السماعة وقال بكل شوق : كاريمان .. كاريمان .. أنا عارف إن انتِ كاريمان .. أنا كنت متأكّد إنّك حاتطلبيني.. كاريمان .. ردّي عليّ أرجوكِ .. أما كاريمان فلم تستطع أن تردّ ، ووضعت السماعة ووقفت حائرة ، هل تردّ عليه وتريحه وتستجيب لمشاعرها .. وحاولت أن تطرد هذه الهواجس التي تُهدّد حياتها الزوجية بالانهيار .. وحاولت أن تعود إلى حجرتها .. وبعد أن اقتربت من باب الحجرة نظرت إلى الخلف حيث التليفون .. وفجأةً وجدت نفسها تعود مسرعة إلى التليفون وتطلب الرقم مرّة أخرى ، فيردّ مجدي بسرعة ويقول :كاريمان، ارحميني ، ردّي عليّ ، أنا عارف إن انت كاريمان ، فجاءتها الشجاعة وقالت : أيوه أنا كاريمان .
فقال مجدي: أرجوكِ ، ماتقفليش السّكة .. ممكن نتقابل .. أنا عندي كلام كتير عاوز أقولهولك .. فقالت : ماقدرش .. ماقدرش .

فقال : أرجوكِ .. ضروري نتقابل .. أنا حانتظرك في المعرض بكره الساعة خامسة مساء .. ماحدّش حايكون في المعرض لأن بكره إجازة .. أرجوكِ تيجي .. وبعد كده أنتِ صاحبة القرار إن كنتِ تقابليني تاني أو لأ .

وبكل هدوء وضعت السماعة دون أن تجيب برأيها .. ولكنها كانت كأنّها تهيم وتسرح بفكرها في دنيا جديدة لها لون جديد لم تر مثله بين الألوان ، وطعم لذيذ المذاق لم تتذوّقه من قبل .. وذهبت إلى حجرتها لتنام .. وكيف لها أن تنام ؟!..

وفي الصباح سطعت الشمس وأنارت حجرة النوم بأشعتها المتسللة من خلال زجاج النافذة .. وفجأةً استيقظ الدكتور محمد ، فلما وجد نور الصباح نظر في الساعة فوجدها الثامنة والنصف ، فقال : يا خبر أبيض !!.. الساعة ثمانية ونصّ ، وانا عندي محاضرة الساعة تسعة ؟!.. فأسرع بالذهاب إلى الحمّام حيث غسل وجهه بسرعة ومشّط شعره ، ثم عاد مسرعًا إلى حجرته حيث ارتدى بدلته ، وأسرع إلى حجرة المكتب وجمع بعض الأوراق ووضعها في حقيبته وخرج بسرعة من الشقة دون أن يرى أحدًا من أهل البيت .. وركب سيارته وانطلق بسرعة حتى يصل إلى الكلية ، وكان في غاية الضجر ، فإنّها المرّة الأولى التي يتأخر فيها عن عمله ، وهو معروف بالتزامه بمواعيد محاضراته !!..

والتقت أم محمد بكاريمان التي كانت تجلس في الشُّرفة ، وسألتها حماتُها :
هل ذهب خالد وعمرو إلى المدرسة ؟.. قالت : أيوه .
فسألت حماتُها : وفطروا واللاّ لأ ؟..
فأجابت كاريمان وكأنّها تحاول أن تداري خجلها : لأ .. ماحقوش لأن عربية المدرسة جَتْ قبل مايفطروا فنزلوا على طول .
فقالت حماتُها:كده برضه ياكاريمان ؟!..الأولاد يروحوا المدرسة من غير مايفطروا ؟!.. يهونوا عليكِ برضه ؟!..
فقالت كاريمان : مش مشكلة .. مش من يوم ، وعلى أيّ حال بياخدوا ساندوتشات من بوفيه المدرسة .. فجلست حماتُها بجوارها وقالت : إزّيك دلوقت ياكاريمان ؟
فقالت : الحمد لله .. أحسن .
فقالت حماتُها : ما تزعليش يابنتي من محمد .. أنا عارفة إنه مزوّدها شويّة في اهتمامه بعمله ، لكن غصب عنّه .. لازم تعذريه ، وتقفي جنبه .

فقالت كاريمان بسخرية : أقف جنبه ؟!. أعمل له إيه ؟!. ده راجل معاه دكتوراه .. وأنا حايالله ، ثانوية عامة لا راحت ولا جت !!..

فقالت حماتُها : يابنتي المسألة مش مسألة شهادات .. دي مسألة واجبات ، وكل واحد عليه دور بيؤدّيه ، ورسالة بيقوم بيها وإذا كان محمد رسالته في الجامعة ، فأنت رسالتك هنا ، في البيت ، مع أولادك تربّيهم وتدّيهم حبك وحنانك ، وتقدري برعايتكِ لهم توصّليهم للمستقبل وتخلّيهم يملو عين الشمس .. وساعتها تبصّي لهم وانتِ حاسّة بالفخر بأنهم أولادك ، وتقولي : أنا اللي ربّيت دول ، أنا اللي عملتهم .. أنا اللي وصّلتهم للمستقبل ده !!..

فنظرت كاريمان وكأنها لا يعجبها الحديث وقالت : آه .. وساعتها أبصّ لهم وانا حاسّة بالحسرة على العمر اللي ضاع هدرّ ، وعلى شبابي اللي مالحقتش أتمتّع بيه !!..

فقالت حماتُها في دهشة : إيه ياكاريمان الكلام اللي بتقوليه ده ؟!.. يابنتي الإنسان بعد ما يخلّف بتبقى سعادته في سعادة أولاده .

فبادرتْها كاريمان بشيء من الانفعال قائلة : يعني الواحدة تفضل طول عمرها خدّامة في البيت لغاية ما يضيع شبابُها وعمرها ، وتصبح عجوزة وكركوبة ، وتستنى لما يبقى حدّ من ولادها يسأل عنها ؟!. وساعتها كل واحد من الأولاد يبقى مشغول ببيته ومراته ، وينسى أمّه اللي ضيّعت شبابْها عشانه ؟!.. لا ياست .. كل واحدة من حقّها تعيش حياتْها زيّ ما هيّ عاوزة .. والإنسان بيعيش حياته مرّة واحدة ، مش مرّتين !!..

فقالت حماتُها : أنا مش مصدّقة وداني .. معقول كاريمان اللي بتقول الكلام ده ؟!.. ده كلام شيطان يابنتي .. ماتخلّيش الشيطان يسيطر على أفكارك !!..

فقالت كاريمان منفعلة : شيطان إيه وبتاع إيه ؟!.. هوّ اللي يتكلّم عن حقّه في الحياة يبقى كلام شيطان ؟!.. فشعرت حماتُها بالأسى ، وسكتت ونظرت إلى الأرض وهي لا تدري ماذا تقول بعد أن سمعت ما لم تتوقّع أن تسمعه من كاريمان .. وحينئذ شعرت كاريمان بالخجل ، فاستدارت إلى حماتها وقالت : لا مؤاخذة ياماما .. أنا آسفة .. أنا

ماقصدش .. أنا بس انفعلت شويّة .. يظهر إن أعصابي لسّة تعبانة شويّة .. أرجوك ماتزعليش منّي .

فقالت حماتُها : لا يابنتي ، أنا مش زعلانة منّك ولا حاجة ، أنا بس خايفة من المجهول ، وحاسّة إن حياتكم في خطر .

فقالت كاريمان : لا ياماما ، مفيش خطر ولا حاجة .. ما تشغليش بالك .

فقالت حماتُها : إيه رأيك ، لما ييجي الأولاد تتغدّوا سوا ، وتروحوا تزوروا مامتك وباباك ؟.. أهو يبقى شيء من التغيير .

فقالت كاريمان بدهاء : والله فكرة .. ثم استأنفت بمكر : بس الأولاد بيرجعوا من المدرسة متأخرين .. طيّب إيه رأي حضرتك ياماما لو أروح أنا لوحدي لماما الساعة أربعة أو خامسة أقعد معاها شويّة وارجع ؟. فقالت حماتُها في استسلام : وماله يابنتي .

فقالت كاريمان بدهاء أيضًا : بس أنا ماقلتش للدكتور محمد !!..

فقالت حماتُها : مش مشكلة .. أنا حاقول له إن مامتك اتصلت بيكي وكانت عاوزاك تروحي لها وانا وافقت إنّك تروحي لها .. فأقبلت على حماتها تقبّلها وتقول : تعيشي لِيَ ياماما ياحبيبتي .. يا أحسن حماة في الدنيا ..

انفرجت أسارير حماتها وظنت أن زيارة كاريمان لأمّها ربما تساعدها على إبعاد الاكتئاب الذي تعانيه ، ولكنها في نفس الوقت لم تكن مطمئنة تمامًا ، ومع ذلك تمنّت أن يكون ذلك في صالح الأسرة التي بدأ بنيانُها يهتزّ ، وتأمل أن تحميها من الانهيار .

وعندما بلغت الساعة الرابعة والنصف ، ارتدت كاريمان واحدًا من أجمل فساتينها ووقفت أمام المرآة تَهتمّ بتزيين وجهها وترتيب شعرها .. ثم خرجت إلى الصالة حيث ودّعت حماتَها التي ارتسمت على وجهها علامات الدهشة وهي تنظر إلى كاريمان وهي تخرج وكأنّها ذاهبة إلى حفل زفاف .. وسرحت حماتُها قليلاً ثم قالت في قلق وخوف : استر يارب !!..

ومن أقرب كابينة تليفون في الطريق اتصلت كاريمان بوالدتها وقالت لها إنها ستأتي إليها ولكن بعد أن تزور إحدي صديقاتها .. وإذا سأل عنها أحد من بيتها فلتخبره بأنها موجوده ولكن في الحمّام أو نائمة .. ووافقتها أمّها دون أن تسأل عن اسم صديقتها أو رقم تليفونها .. وانطلقت كاريمان وهي تشعر بسعادة وكأنها عصفور صغير كان حبيس القفص منذ سنوات ، وفُتح له باب القفص فخرج وطار في الجوّ حيث يستمتع بحريته التي حُرِم منها طويلاً ، وكأنه يقول : لن أعود إلى هذا القفص ثانية حتى ولو كان من ذهب !!..

وذهبت كاريمان إلى المعرض ، ولكنها وقفت بعيدًا عنه بحوالي عشرين مترًا ، وكانت تنظر إلى باب المعرض الزجاجي وكأنها تريد أن تتأكد من أن أحدًا لا يتردد عليه اليوم ، وإذا بها تري مجدي وقد خرج من الباب الزجاجي وهو يتلفّت في كل الاتجاهات لعله يرى كاريمان .. ولكنها شعرت بدقات قلبها تسرع وكأنها في فزع وتخشى شيئًا مجهولاً لا تعرفه ولا تطمئن إليه ، فسارعت كاريمان وانزوت وراء سيارة متوقفة أمام منزل .. وكانت تختلس النظرات إلى مجدي وتنظر في ساعتها التي اقتربت عقاربُها من الخامسة .. وتملّكتها الحيرة .. وكانت تصارع نفسها .. أتذهب إلى مجدي وتطفئ نارالشوق المتدفّق ، وتستجيب لهذا الهاتف الذي يضغط عليها وتشبع حاجتها إلى هذا الحب ، وتودّع أيام الحرمان العاطفي الذي عانته سنوات طويلة .. أم تقاوم هذه المشاعر الجديدة التي قلبت حياتها رأسًا على عقب ؟!..

وقفت حائرة لا تدري ماذا تفعل .. ونجح عقلها في لحظة عندما تذكّرت ولديها وقد عادا من المدرسة فلم يجدا أمّهما ، فخطتْ بخطوات مسرعة إلى العودة .. وما هي إلاّ لحظات حتى نظرت إلى الخلف ، هناك حيث يقف مجدي أمام باب المعرض وينظر في ساعته ، ويتمنى أن يرى كاريمان إلاّ وبدأ يعاوده الحنين ، وبدأت تستعر نار الحب الجديد في قلبها .. وأخيرًا نظرت إلى " الدبلة " التي في إصبعها ثم خلعتها ووضعتها في

حقيبة يدها ، ووجدت نفسها تعود في اتجاه المعرض في خطوات تسرع فيها حينًا وتبطئ فيها حينًا آخر ، وكأن شيئًا ما يدفعها إلى الأمام لتواصل الخُطَى نحو مجدي .. وشيئًا آخر يقاومها لتعود إلى الخلف .. إلى بيتها وولديها .. واستطاع شيطان الهوى أن ينتصر عليها .. فاندفعت تجري إلى المعرض حتى رآها مجدي ، فأسرع هو الآخر إليها .. ووقفت أمامه صامتة لا تتكلّم ، وكذلك هو .. ومدّ يده إليها ليسلّم عليها ، ومدّت يدها .. وما أن لمست يدها يده إلاّ وشعرت كأن تيارًا كهربيًا قد سرى في يدها ، بل في كل جسدها ، فسحبت يدها بسرعة .. ولكن مجدي طمأنها وقال لها : ماتخافيش يا كاريمان .. وأخذها من يدها وسار متجهًا إلى باب المعرض ، وسارت معه بلا إرادة وبلا وعي ، وكأنها حيوان أليف يجرّه صاحبه !!.. وفتح مجدي باب المعرض ودخلا معًا حتى وصلا إلى الحجرة التي يرسم فيها لوحاته ، ورفع ستارة صغيرة عن إحدى لوحاته فإذا بها صورة أخرى رسمها بالألوان الزيتية لكاريمان .. وهي أيضًا شاردة .. وكانت في غاية الروعة والجمال .. وقد بَهرت اللوحة كاريمان ونظرت إلى مجدي وهي لا تستطيع أن تتكلّم .. واقترب منها مجدي ، وقد عجز لسانه أيضًا عن النطق .. وسادت فترة صمت بينهما ، ولم يستطع أحدهما أن يتكلّم ، بينما كانت العيون تتحدث بلغتها .. تلك اللغة التي تنطق بها العيون وتستطيع القلوب أن تترجم معانيها، لغة ليس لها صوت ، ولكن لها حسٌّ أقوى من الصوت ، وتعبير أعذب من الكلام .. وكلما نظر أحدهما في عيني الآخر كأنه كان يرى فيها ما يناديه لكي يقترب أكثر وأكثر .. وهكذا اقترب كل منهما من الآخر ، وبدأت الشفاه ترتجف ولم يَعُدْ هناك مناص ، فالتقت الشفاه وراحت تغترف ما يشبع نَهمهما ، ويُطْفئُ ظمأهما .. ولم يستطع أحدهما أن يمنع نفسه .. وهكذا تعانق العاشقان يرويان عطشهما بالقبلات والأحضان الدافئة ، وقد رحل الخوف إلى غير رجعة ، وطار الحياء حيث اختفى .. وأخيرًا قال مجدي لكاريمان : أنا بحبك ، وحاسس إني مش حاقدر أعيش من غيرك .. من ساعة ما شفتك وأنا تايه ، مابشوفش النوم .. وأنا حاسس إنك بتحبّيني .. وإننا

مش حانفترق عن بعض .. إنتِ الإنسانة اللي كنت بادوّر عليها .. والحمد لله ، لقيتك في الوقت المناسب ، وبدأ يقترب منها مرّة أخرى ولكنها لم تنتظر حتى يصل إليها ، بل ارتمت في أحضانه وهي تبكي .. وانهمرت دموعها غزيرة وكأنها تلوم الزمان الذي حرمها من هذا الحب ، وتندب حظها الذي أوقعها مع رجل لا يعرف العواطف ولا يهتمّ إلاّ بعمله .. ويشتدّ بكاؤها لأنها لا تدري ماذا تفعل في هذه الظروف الجديدة خاصّة وهي متزوجة ولها ولدان ، ومجدي لا يعرف ذلك !!..

ويندهش مجدي لهذا البكاء ، ويسألها : بتبكي ليه ؟!..

فتقول : مفيش حاجة .. وبعد أن قضيا وقتًا سعيدًا كان يشعر كل منهما بأنه في أشدّ الحاجة إلى الآخر قال لها : إيه رأيك ياكاريمان .. تتجوّزيني ؟؟..

وكان لهذا السؤال مفاجأة مفزعة لها جعلها تفيق من أحلامها التي استسلمت لها فقالت : بتقول إيه ؟!..

فكرّر سؤاله قائلاً : تتجوّزيني ؟!..

فقامت وقالت : أنا لازم أمشي دلوقت حالاً .

فقال مجدي : أنا ماسمعتش ردّك !!..

فقالت : مش عارفة أقولّك إيه دلوقت .. بعدين .. بعدين ، وهمّت بالخروج .

فقال لها : طيّب حانتقابل إمتى تاني ؟..

قالت : مش عارفة .. حسب الظروف .

قال : طيّب إدّيني ميعاد .

فقالت : حابقى اتصل بيك ..

وخرجت مسرعة ، وذهبت إلى والدتِها .. وجلست شاردة ، وكأنّها تريد أن تزيح عن رأسها كابوسًا يكاد يُشِلُّ تفكيرها .. ورأتْها أمّها فانتابَها القلق ، وسألتها : مالك يا كاريمان ؟!..

فأجابت : مش عارفة ياماما ، أنا في دوّامة ، في مشكلة كبيرة ومش عارفة لها حل !!..

فقالت أمّها : إزّاي يابنتي ؟!.. كل مشكلة ولها حل .

فقالت كاريمان : لأ ياماما ، إلاّ المشكلة اللي أنا فيها دلوقت ، صعبة ياماما صعبة !!..

قالت أمّها : طيّب قولي لي عليها يمكن أقدر أدلّك على حل .

فقالت كاريمان : مش عارفة أقولّك إزّاي !! لكن دلوقت مش حاقدر أقولّك حاجة .. يمكن بعدين .. ثم سألت أمُّها : فيه حدّ اتصل من البيت ؟

فقالت الأم : لأ .. إيه ياكاريمان الحكاية وَغْوِشْتِيني ؟!..

فقالت كاريمان : الحمد لله .. ثم قالت لأمّها : ماتقلقيش يا ماما .. عن إذنك بقى أروّح أنا زمان الأولاد رجعوا من المدرسة .. وأمسكت بالتليفون وطلبت رقم بيتها .. وقالت : خالد ؟.. إتغدّيت ياحبيبي انت وعمرو ؟

قال خالد : أيوه ياماما .. تيته جهّزت لنا الغدا ، واتغدّت معانا .. إنتِ مش جايه ياماما ؟ فقالت : أيوه ياحبيبي ، أنا جايه حالاً .. ووضعت السماعة ، ثم قبّلت أمّها وانصرفت عائدة إلى بيتها .

وفي بيتها استقبلتها حماتُها مستفسرة : هيه .. لعلك انبسطتِ ياكاريمان !!..

فقالت كاريمان : الحمد لله ، عندك حق ياماما .. برضه الخروج بيفيد ، بيعمل تغيير.

فقالت حماتُها : خلاص يابنتي ، مادام الخروج بيريّحك .. اخرجي ولو مرّتين كل أسبوع .

فقالت كاريمان بمكر: بس أنا مش عاوزة أضايقك ، وأحمّلك مسئولية العيال .

فقالت حماتُها : مايهمّكيش.. العيال دول أحفادي .. وانتِ عارفة المَثَلْ اللي بيقول : " أغلى الوِلْدْ ، فأكملت كاريمان : " وِلْد الوِلْد " .. وضحكت الاثنتان .. وخرج

خالد وعمرو ، وأقبلا على أمّهما فَرِحَيْن ، وقال خالد : انتِ جيتي ياماما ؟!.. وحشتينا .. وانحنت كاريمان عليهما وقبّلتهما ، وعندئذ دق جرس الباب ، فأسرع خالد وفتح الباب فإذا بالدكتور محمد يدخل ويحتضن الولدين ويقبّلهما ، ثم يسلّم على والدته ويقبّل يدها .. ثم ينظر إلى كاريمان ويقول لها : عامله إيه النهارده ياكاريمان ؟..

وكانت كاريمان قد اقتضبت عندما شاهدته يدخل من الباب ، وكأنها لم تَعُدْ تطيق رؤيته ، أو كأنه أصبح رجلاً غريبًا عنها ، فأجابت على سؤاله باختصار : الحمد لله .

وحاول أن يسترضيها فقال لها : إن شاء الله بعد أسبوع واحد حاناخد إجازة عشرة أيام ونسافر الغردقة .. ففرح خالد وعمرو ، وصاحا معًا : هيه !!.. أما كاريمان فلم تتأثر وكأن هذا الخبر لم يسرّها ، فقال لها زوجها : إيه ياكاريمان .. تعجبك الغردقة ؟.. واللاّ تحبّي نروح مكان تاني ؟..

فقالت غير مكترثة وكأن الأمر لا يهمها : الغردقة واللاّ غيرها ، كلها واحد .. وحتى مش مهم الرحلة من الأساس ، لأن الأولاد حيتعطّلوا عن المدرسة .

فقال لها زوجها : إنتِ ناسية إنّهم حاياخدوا إجازة نصف السنة بعد أسبوع ؟.. عشان كده أنا رتّبت إن الرحلة تبقى في إجازة نصف السنة ، وأهي فرصة كويّسة لنا كلنا نغيّر جوّ .

فقالت كاريمان : مش لازم عشرة أيام .. كفاية ثلاثة أو أربعة أيام .

فاندهشت حماتُها وقالت : أما أمرك غريب ياكاريمان !!.. حدّ يابنتي يبقى قدّامه فرصة يقعد عشرة أيام في الغردقة ، ويقول كفاية ثلاثة أو أربعة ؟!..

فيقول خالد : لا ياماما ، لازم نقعد في الغردقة المدّة كلها .. وينظر خالد إلى أخيه عمرو ويقول له : إيه رأيك ياعمرو ؟

فيقول عمرو ببراءة : أيوه نقعد الإجازة كلها .

فتقول كاريمان مستسلمة :خلاص ، اللي تشوفوه ، عن إذنكم .. وانصرفت إلى حجرة الأولاد ، بينما يقف زوجها حائرًا ، ويقول لأمّه : شايفة يا ماما البرود ؟!..

مفيش أيّ دليل على اهتمامها ولا أيّ ردّ فعل على موضوع السفر .. أنا مش فاهم هيّ عاوزة إيه بالضبط ؟!..

فقالت أمّه : اصبر يا محمد شويّة .. إحنا بنحاول نصلّح الأمور مش عاوزين نعقّدها .. وان شاء الله لما تسافروا وتغيّروا جوّ ، حايكون خير .. روح انت بقى غيّر هدومك .. " فمصمص " شفتيه متعجبًا ثم انصرف إلى حجرته وغيّر ملابسه ... بينما دخلت والدته حجرة الأولاد فوجدت كاريمان جالسة على سرير خالد ، وقد وضعت ساقًا فوق ساق ، في صمت وكأنّها تفضّل أن تخلو بنفسها .. وكان الولدان مشغولَيْنِ بتنظيم كتبهما وأدوات المدرسة ، فقالت أم محمد :

الله !!.. إنت هنا ، وانا باحسبك مع جوزك .. وجلست بجوارها ، ثم قالت لها :

إيه رأيك في رحلة الغردقة ؟..

فقالت في غير اكتراث وهي تَهزّ ساقها بلا وعي: ماتْهمّنيش ، الغردقة واللاّ هنا ، كله زيّ بعضه ، مابقاش فيه فرق .

فقالت حماتُها وهي تحاول رفع معنوياتِها : لا .. بكره لما ترجعي من الرحلة ، حاتشوفي فيه فرق واللاّ لأ .

فقالت كاريمان : ياريت تروحوا انتم وتسيبوني أنا عند ماما لغاية ما ترجعوا !!..

فدُهشَتْ حماتُها وقالت : ياخبر!!.. إيه اللي بتقوليه ده ياكاريمان ؟!.. إذا كان محمد واخد الإجازة دي وعامل الرحلة مخصوص عشانك !!..

فقالت كاريمان : لأ بجدّ .. أنا أفضّل إن أقعد مع ماما وتسافروا انتم عشان الأولاد ينبسطوا .. وانت كمان ياماما .. بقى لك كتير لا بتسافري ولا بتخرجي .

فقالت حماتُها : هيّ أيّ رحلة من غيرك يبقى لها طعم يابنتي ؟!..

فقالت كاريمان : أشكرك ياماما .

ويأتي الدكتور محمد ويقول لهم : ياللاّ ياجماعة أنا جايب فيلم فيديو حايعجبكم قوي ، تعالوا ، فيفرح الولدان ويجريان وراء أبيهما .

وتقول أم محمد : ياللاّ ياكاريمان نتفرّج معاهم .. وتأخذها من يدها ، وتقوم معها كاريمان وهي متثاقلة وبلا رغبة .. ويجلس الجميع أمام التليفزيون ، ويضع الدكتور محمد شريط الفيديو ويقول لهم : الفيلم ده هايل ، عن الخيال العلمي .. فتنظر كاريمان بالتفاتة صغيرة إلى زوجها وهي تضع يدها على خدّها وتتعجّب من اختياره لنوعية الفيلم .. فهي لا تَهوى هذه النوعية من الأفلام .. ويبدأ الفيلم ، ويقوم الدكتور محمد بشرح بعض المشاهد لولديه ، فيزداد ضيق كاريمان ، فتتظاهر بأن النوم يغالبها ، ثم تقول : عن إذنكم يا جماعة ، النوم كابس عليّ ومش قادرة أقعد أكتر من كده .. وتنصرف إلى حجرتها وتغلق بابَها ، ثم تأتي بحركات بيديها ووجهها تعبيرًا عن امتعاضها وضيقها، وكأنها لا تطيق جوّ البيت .. ثم ترتمي على السرير ، وتُخرِجُ الكارت من بين صدرها ، وتنظر إلى اسم مجدي ابراهيم وتبتسم ثم تتخيّل ما حدث بينهما من قبلات وعناق ، وتغمض عينيها لتعيش في هذا الخيال ، حتى تستغرق في سبات عميق ، حيث تُطْلِقُ العنان لأحلام نومها ، ولكنها هذه الليلة ترى حُلْمًا كئيبًا وكأنه كابوس رهيب ، إذ ترى نفسها تكاد تغرق في وسط نَهر حيث يبتلعها الماء ثم يلفظها النهر فتظهر على سطح الماء مرّة أخرى ، وهي تصرخ وتطلب النجدة ، فترى زوجها وولديها على ضفة النهر ، ويقذفون إليها بطوق نجاة مربوط بحبل فتمسك به ، وترى مجدي وقد وقف على الضفة الأخرى من النهر وقد ألقى إليها بطوق آخر للنجاة وبه حبل ، فتمسك به بذراعها الآخر ، ولكن الحبل يلتف حول عنقها ويكاد يخنقها ، ويجذب زوجها وولداها الحبل لإنقاذها ، وكذلك يجذب مجدي حبله لينقذها ، ولكن حبله يكاد يُطْبِقُ على رقبتها .. وهي حائرة بين الحبلين ، بأيّهما تمسك لتنقذ نفسها من الغرق .. وتنظر إلى زوجها وولديها تارة ، ثم تنظر إلى مجدي تارة أخرى .. وكل طرف يجتهد في جَذْبِ الحبل بقوّة لِيُخرِجَهَا إلى ضفته .. ولكنها في النهاية تضعف مقاومتها ، وينفلت الطوقان من يديها .. ثم تغوص في الماء ويبتلعها النهر ، وترى نفسها وهي تَهوى بسرعة إلى قاع النهر ، وتحاول بكل قوّتها أن تصعد ولكنها لا

تستطيع ، وتفقد قدرتها على المقاومة ثم تتوقف ذراعاها ورجلاها عن الحركة ، وينتهي بها الهبوط إلى قاع النهر .. وفجأةً تستيقظ من النوم وهي تصرخ .. وتفيق لتجد زوجها وولديها وحماتها حولها وقد جاءوا جميعًا ليروْا ماذا أزعجها .. وتحتضنها حماتُها وتربت على ظهرها مخففة عنها .. ويقول زوجها : لابد أنها رأت حُلْمًا مزعجًا أخافها .. ويأتي بكوب ماء ويقدّمه لها فتشرب بعضه ، وتطلب أن يتركوها لتنام فيتركوها .

وفي الصباح يستيقظ الدكتور محمد ووالدته والولدان ، وتطلب أم محمد منهم أن يتركوا كاريمان نائمة لتأخذ راحتها حتى تستيقظ بنفسها ، ربما لم تستطع النوم جيّدًا بسبب الكوابيس المزعجة التي رأتْها الليلة الأخيرة ، ويذهب الدكتور محمد إلى كليته ، ويأتي أوتوبيس المدرسة فيترل إليه خالد وعمرو .. وتبقى أم محمد وحدها .. فتذهب إلى حجرة كاريمان لتطمئن عليها ، وتحاول برفق أن توقظها ، فتستيقظ كاريمان وقد بدا عليها التعب والإرهاق ، وتقول لها حماتُها :صباح الخير يابنتي عاملة إيه دلوقت ؟..

فتقول كاريمان وهي تحاول النهوض : الحمد لله ، أحسن .. شفت حُلْم مزعج !!..

فتقول حماتُها : اللهم اجعله خير .. قومي يابنتي اغسلي وشّك ، وأنا حاخلّي زينب تحضّر لك الفطار .. إنتِ ماأكلتيش امبارح .

فتقول كاريمان : لا ياماما .. مش عاوزة آكل .. مليش نفس .. ثم تسأل : الولاد صحيوا ؟

فتقول حماتُها : أوه ، من بدري !!.. وفطروا وراحوا المدرسة .

فتندهش كاريمان وتقول : ليه ، الساعة كام دلوقت ؟!..

فتقول حماتُها :الساعة دلوقت عشرة ، إحنا مارضيناش نصحّيكي عشان تاخدي راحتك في النوم .

وتتذكّر كاريمان الحُلْمَ فتضع يديها على جبينها وتقول : ياه ، ده كان حلم مزعج بشكل !! وتسرح بذاكرتها ثم تقول لحماتها : ممكن ياماما أروح أقعد مع ماما شويّة ؟ فتجيب حماتُها : وماله يابنتي .. إن كان ده يريّحك روحي .. بس تحاولي ترجعي قبل ميعاد رجوع الأولاد من المدرسة .

فتقول كاريمان : طبعًا طبعًا ، وتترك السرير مسرعة وتتوجّه إلى دولاب الملابس وتبحث فيه وهي حائرة ، أيّ فستان تختار هذه المرّة !!.. وحماتُها تنظر إليها في حيرة ، وتحاول أن تستنتج شيئًا من هذه التصرفات الغريبة ، ثم تخرج إلى الصالة .. وتُخرِجُ كاريمان فستانًا صارخًا في ألوانه وتفصيله، وتضعه على السرير .. وتذهب إلى الحمّام الذي لم تقضِ فيه إلاّ دقائق معدودة .. وتعود لترتدي الفستان الذي اختارته بعناية ، ثم تقف أمام المرآة وتستدير يمينًا ويسارًا لتتأكّد من حُسْنِ مظهرها وتبالغ في وضع الماكياج وتصفيف شعرها .. وتخرج إلى الصالة حيث تجلس حماتُها التي تتصفح إحدى المجلات .. وعندما ترى كاريمان تندهش لمبالغتها في المظهر والماكياج ، ولكنها لا تعلّق على ذلك ، وتقول : مش تفطري الأوّل ؟!..

فتقول كاريمان : لا ياماما مش مهم ، يمكن أفطر عند ماما ، وتتقدّم من حماتِها وتقبّلها ثم تقول لها مبتسمة : باي باي .. بينما تشتدّ حيرة حماتها التي بدأ القلق يستبدّ بها .. وتخرج كاريمان مسرعة وتسرع إلى الشارع وقد بدت السعادة ترتسم على وجهها ، وكأنّها خارجة من سجن رهيب !!.. وتستقل تاكسيًا إلى بيت أبيها ، وتلتقي بأمّها ، ولا تجلس وتقول لها : أنا قلت لحماتي إن أنا رايحة عند ماما وحاقعد معاها شويّة .. بس أنا بصراحة عاوزة أروح النادي عشان أغيّر جوّ .. حاسّة إني مخنوقة .. وفي النادي حاقابل بعض صديقاتي أسلّى نفسي معاهم شويّة .. وهنا يخرج والدها الذي كان يسمع الحوار الذي دار بين كاريمان وأمّها ، فيسأل ابنته :

وهل جوزك عنده علم بإنك رايحة النادي ، ولوحدك ؟!..

فترتبك كاريمان ، إذ فوجئت بسؤال والدها ، ولم تعرف كيف تجيب !!.. وهنا تتدخل أمّها وتقول : جرى إيه ياراجل إنت ؟!.. ما تسيبها تروح زيّ ماهي عاوزة .. إنت عاوزها تفضل محبوسة في السجن اللي انت حطّتها فيه ؟!..

فيقول الرجل لزوجته مستنكرًا : كده ؟!.. إنتِ بتسمّي بيت الزوجية بالسجن ؟!..

فتقول الأم : آه سجن .. مش كفاية السجن اللي أمّها عايشة فيه ؟!..

فيقول الرجل : بقى انتِ كمان عايشة في سجن ؟!.. عال عال .. ماتلبسي وتتزوّقي إنتِ كمان وتروحي معاها النادي !!..على أيّ حال السجن اللي انتِ عايشة فيه مالوش أسوار ، وممكن تحرّري نفسك منّه في أيّ وقت .

فقالت زوجته مندهشة : إنت بتقول إيه ؟!..

فقال في حزم : اللي انتِ سمعتيه بالضبط .. واسمعي ، يكون في علمك ، أنا سيبتك كتير في أفكارك الهايفة على اعتبار إنّها مش حاتودّي ولا تجيب .. لكن لما يوصل الأمر إلى إنّك تضلّلي بنتك بنصايحك الغلط ، يبقى لأ ، وألف لأ .. ومن هنا ورايح ، مش حاسمح لك تتدخّلي في حياة بنتك الزوجية ، وكفاياكِ بقى ، سمّمتِ أفكارها .. واستبدّت بزوجته الدهشة ، وجلست على الكرسيّ وهي لا تصدّق ما سمعته من زوجها ، وكمّمت الدهشة فمها فلم تستطع أن تردّ .. ثم استدار الرجل إلى ابنته وقال لها : يا بنتي اللي انتِ بتعمليه ده غلط .. مايصحّش تروحي النادي لوحدك ، وبدون علم جوزك .. يابنتي ، أنا ملاحظ إنك اليومين دول مش طبيعية .. إن كان فيه عندك مشكلة ، ممكن تشركيني معاكِ .. واعتبريني صديق ، بس أكبر منّك وعنده خبرة في الحياة وممكن أفيدك ، ومهما كانت المشاكل معقّدة ، لابدّ لها حل .

فتقول كاريمان وهي تحاول أن تخفي الحقيقة : لا يا بابا مفيش مشاكل ولاحاجة .. بس أنا كنت محتاجة أغيّر شويّة هوا .. فقال والدها : كان ممكن تتفقي مع جوزك إنكم تاخدوا الأولاد وتروحوا النادي كلكم .

فقالت كاريمان : أصل الأولاد دلوقت في المدرسة ، والدكتور محمد في الكلية ، ولما بيرجع بيقعد في حجرة المكتب معظم الوقت ..
فيقول والدها : برضه ده مش مبرّر ، وعلى أيّ حال أنا قلت لك رأيي وانتِ حرّة .. بس اسمعي نصيحتي .. حافظي على بيتك وجوزك وولادك ، واعرفي إن دول همّ مملكتك اللي فيها حياتك وسعادتك وكرامتك ، والحياة بعيد عنهم مافيهاش لا سعادة ولا كرامة ولا راحة بال .. أنا مش حاعيش لك على طول .. إوعي الشيطان يدخل بينك وبينهم ، وتأكّدي يابنتي إن الشيطان لو سيطر على فكر إنسان حايخسر في النهاية كل حاجة .. ارجعي يابنتي لبيتك ومملكتك واخزي الشيطان !!..
فتقول كاريمان وهي تخفي ارتباكها : حاضر يابابا .. ثم تستأذن في الانصراف .. وتميل على أمّها وتطلب منها ألاّ تخبر أحدًا بذهابِها إلى النادي ، وتخرج .

ومن إحدى كبائن التليفونات في الطريق تتصل بالرسّام مجدي ، وتخبره بأنها تريده في أمر هام، وتتفق معه على اللقاء في مرسمه .. ويتم اللقاء ، ويعبّر كل منهما عن أشواقه بالقبلات والأحضان الدافئة ، وكأنّهما لم يلتقيا منذ سنوات .. ويجلسان .. وتمرّ لحظات من الصمت القلق ، وينظر إليها مجدي حائرًا يريد أن يعرف سبب قلقها الواضح على قسمات وجهها وحركات يديها ، ونظراتِها التي توجّهها في كل الاتجاهات ، وكأنّها تريد أن تبوح بشيء وتخشى النتيجة !!..
ويقول لها مجدي : فيه إيه ياكاريمان ؟!.. حصل حاجة تسبب لك القلق ده كله ؟!..

وتحاول أن تستجمع شجاعتها لتصارحه بقولها : إنت مش فاتحتني في موضوع الزواج ؟..
فيقول: أيوه ، وانا مازلت منتظر ردك ، وعاوزك تعرفي إنّك بقيتي بالنسبة ليّ أهمّ شيء في حياتي .. فقالت : يعني إنت مصمّم ؟..

فقال : طبعًا مصمّم .. إنتِ شغلتيني .. فيه إيه ؟!..

فقالت : في الحقيقة فيه مشكلة ، ومش عارفة أكلّمك فيها إزّاي .

فقال ليطمئنها : مفيش أيّ مشكلة ممكن تفرّق بينّا .. مادام بنحب بعض ومتفقين .. هل فيه عقبات بالنسبة للأسرة ؟.. إذا كان فيه أيّ عقبات نقدر نتغلّب عليها ، بس قولي إيه المشكلة ؟ قولي ، اتكلّمي !!..

فقالت وقد استبدّ بها القلق والخوف : أنا خايفة !!..

فقال لها : خايفة من إيه ؟!.. أنا من ناحيتي ، مفيش أيّ مشكلة حاتأثر عليّ .. هوّ فيه سؤال واحد .. إنتِ بتحبّيني واللاّ لأ ؟

فقالت : بحبك حب ، لا شافه حدّ قبلي ، ولا حايشوفه حدّ بعدي .

فقال : وموافقة تتجوّزيني ؟.. فأومأت برأسها بالموافقة .. فقال : خلاص ، يبقى مفيش حاجة تقدر تقف في طريقنا .

فقالت وقد استجمعت شجاعتها : المشكلة يا مجدي إن انا .. أنا .. ولم تستطع أن تُكْمِلَ .

فقال : إنتِ إيه ؟ ماتتكلّمي .

فقالت : أنا .. أنا .. متجوّزة .. وهنا ذُهِلَ مجدي .. ونظر إليها نظرة استنكار ، ثم قال لها : متجوّزة ؟!.. إزّاي ؟!.. مش ممكن !!..مستحيل !!.. ونهض واقفًا ، ومشي بضعة خطوات وهو في حالة ذهول ويضرب كفًا بكف .. بينما تنظر إليه كاريمان في قلق وخجل في انتظار ردّ الفعل من مجدي بعد أن صارحته بالحقيقة .. واستدار إليها وقال مؤنبًا : ولما انتِ متجوزة ، ليه ماقلتليش من الأوّل ؟!.. ليه سيبتيني أحبك ، ليه كنتِ بتقابليني ، وانتِ على ذمّة راجل تاني ؟!..

فقالت وهي تحاول أن تبرّئ نفسها : أقسم لك إن اللي حصل ده كان غصب عنّي .. أنا حبّيتك من كل قلبي .. وعمري ماحبّيت ولا عرفت الحب قبل ما أشوفك .. أنا حكاية الجواز دي ماكانتش بإيدي .. ولا كان لِيّ فيها رأي .. والدي راجل متزمّت ..

هوّ اللي فرض عليّ الجواز على غير إرادتي من راجل أكبر منّي بثلاثين سنة .. وكنت باحسب إن مع الأيام الأمر حايبقى طبيعي .. لكن فوجئت إن الجواز بالنسبة ليّ كان انتقال من بيت لبيت .. ومن سجن لسجن ، ومن سجّان لسجّان .. ومن تزمّت بابا إلى تزمّت الزوج ، اللي كل أسلوبه أوامر وشَخْط ونَطْر، واستبداد ، وماعندوش استعداد يسمع وجهة نظري ولا يدخل في أيّ مناقشة .. وأوّل ما يرجع البيت يطلب إعداد الغدا .. وبعد الغدا يدخل حجرة مكتبه ويقفل عليه .. وإذا حاولت أدخل عنده ، يشخط ويقول لي : إنتِ بتعطّليني عن شغلي .. أنا مش فاضي لك .. ولاحظت إنّه بخيل جدًا ، مفيش مرّة يخلّيني أخرج معاه .. ولا يفكّر مرّة يشتري لي فستان جديد أو أيّ هدية لعيد ميلاد أو عيد زواج .. ويقول : دي عادات قديمة ومضيعة للوقت وللمال .. تصوّر ، حتى التليفزيون ، هوّ اللي بيحدّد البرامج اللي نشوفها والبرامج الممنوعة .. والتليفون ، بيقفل عليه بالقفل .. ولو حبّيت أكلّم ماما لازم أستأذن منّه ، ومرّة يوافق ومرّة يرفض .. وفي مرّة باقول له إنت ليه بتعمل كدة ؟ قال لي : أنا كدة ، وحياتي كدة وأسلوبي كدة .. وان ماكانش عاجبك الباب يفوّت جمل .. ولما اشتكيت لماما وبابا قالولي : نصيبك كده ، ولازم تستحملي وتعوّدي نفسك على نظام جوزك .. ولازم تعيشي وترضي جوزك .. وطَلَبْتْ منّه الطلاق أكثر من مرّة وقلت له : ده مايرضيش ربّنا ، يانعيش بالمعروف ، يانفارق بالمعروف ، وقلت له : أنا زهقت ومش حاقدر أستمرّ معاك .. فقال لي : نجوم السما أقرب لك .. ولازم تعرفي إنّك هنا لخدمتي ، وأنا سيد البيت ، والكلمة كلمتي .. ولما أحب أطلّقك أبقى أطلّقك بشروطي أنا .. قلت له ، أنا موافقة على كل شروطك ، بس طلّقني ، فرفض وقال لي : لما أحب أطلّقك يبقى بناء على رغبتي أنا ، مش بناء على طلبك انتِ .. آخر ما زهقت ، خرجت عن وعيي وقلت له : أنت ظالم .. راح قايم وجاب الكرباج من حجرة المكتب وقال لي : أنتِ بتعلّي صوتك عليّ ، وانْهال عليّ ضرب بالكرباج

وأنا أصرخ وأستعطفه وأتوسّل إليه .. وحكاية الكرباج دي اتكرّرت كتير لدرجة إني حاولت مرّة إني أنتحر ، عشان أخلص من العذاب اللي أنا عايشة فيه !!..

وبينما كانت كاريمان تروي لمجدي هذه الأكاذيب ، كان هو ينصت أحيانًا ويتعجّب أحيانًا لقسوة ذلك الزوج المتوحّش !!..

وبعد أن انتهت من سَرْدِ أكاذيبها انفجرت في بكاء مصطنع ، وذرفت دموع التماسيح الكاذبة ، وتشنّجت ثم تظاهرت كأنّها قد أُغْمَى عليها .. وكان مجدي يستمع إليها ، ويبدو أنه قد تأثر من الأكاذيب التي كانت ترويها ، والافتراءات المختلفة التي اخترعتها حتى تستدرّ عطفه . ولما وجدها قد أُغْشِيَ عليها ، أسرع إليها ، وأتى بزجاجة عطر وقرّبها من أنفها .. وكان يضع العطر في يديه ثم يمرّر يده على وجهها وأنفها ، وينادي عليها .. وبعد قليل تظاهرت بأنّها قد بدأت تفيق ووجدت يده علي خدّها ، فأمسكت بيده وظلت تقبّلها ، ثم ارتمت في أحضانه وهي تقول له : اعمل معروف يا مجدي ، ساعدني .. أنا مليش غيرك دلوقت .. قوللّي إزّاي أخرج من السجن اللي أنا عايشة فيه .. آديني قلت لك على المشكلة اللي في حياتي .. وحاسيبك تاخد القرار اللي تشوفه مناسب .. أما أنا ماعنديش استعداد أرجع البيت ده تاني .. ولو حدّ أجبرني ، يبقى مفيش قدّامي إلاّ الانتحار !!.. ويبدو أن هذه الأكاذيب قد انطلت على مجدي وصدّقها ، واعتقد أنّها مظلومة .. وبدأ يفكّر .. كيف يستطيع أن يساعدها ؟!..فحاول أن يهدّئ من بكائها وقال لها : إذا كان الوضع بِهذا الشكل ، لابد أن تواجهي والدك ووالدتك وتعلني تصميمك على الطلاق.. ويمكنكِ رَفْعُ قضية طلاق .

وبمجرّد أن سمعت ذلك من مجدي اطمأنت إلى أنه متعاطف معها ، وانفرجت أساريرها وقالت : عندك حق يا حبيبي ، وطوّقت رقبته بذراعيها وحاولت أن تقبّله ،

ولكنه أبعد ذراعيها وابتعد عنها قليلاً وقال لها : لاحظي إنّك متجوّزة .. ومش من حقنا القبلة ولا حتى اللقاء .

فقالت له مداعبة وبنظرة كلها مكر ودهاء : مانا خلاص حارفع قضية طلاق زيّ ماانت طلبت .

فقال: أنا ماطلبتش كده .. أنا باقول إذا كانت الحياة بينكم مستحيلة ، يمكنك رفع قضية طلاق. فقالت : خلاص .. هوّ ده الحل ، وأنا مش راجعة البيت ، وحاروح على بيت بابا ، وأقول لهم إن أنا مصمّمة على الطلاق وإلاّ حانتحر .. ومن بكره حاروح للمحامي عشان يرفع لي القضية ، وبعد المحكمة ما تحكم بالطلاق ، يبقى اتحلّت المشكلة ، وابقى لك لوحدك يا حبيبي .. ولكن مجدي لم يردّ عليها ، إذ كان مستغرقًا في تفكير عميق ، ولا يدري ماذا يفعل إزاء هذه المشكلة ، وهذا الوضع الذي فوجئ به .. وحاولت كاريمان مرّة أخرى أن ترتمي في أحضانه ، ولكنه أبعدها في رفق وقال لها : أرجوكِ .. سيبيني لوحدي شويّة .

فقالت : معلش ياحبيبي ، أنا عاذراك .. المفاجأة كانت كبيرة .. لكن أعمل إيه، كان لازم أصارحك .. وحاولت قبل كده ، بس ماكنتش بالاقي الشجاعة الكافية .. لكن دلوقت أنا ارتحت بعد ما صارحتك .. طيّب ياحبيبي ، أنا حاسيبك دلوقت وحاروح على بيت بابا .. وحابقى أكلّمك من هناك .. باي !..

وانصرفت وهي فرحة سعيدة لأنها ألقت عن كاهلها ذلك العبء الكبير الذي كانت تحمله .. وأزاحت ذلك الكابوس عن صدرها .. أما مجدي فقد ظل مكانه شاردًا ، ثم جلس على كرسيّ ووضع رأسه على يده ، وراح يفكّر .. هل كل ما ذكرته كاريمان عن زوجها وعن حياتها الزوجية صحيح أم كذب .. وهل يوجد زوج بهذه القسوة والتزمّت والاستبداد ؟!.. وكيف يجرؤ هذا الرجل على ضرب زوجته بالكرباج ؟!.. هذه الإنسانة الرقيقة ، الجميلة ، تُضْربُ بالكرباج ؟!.. ومرّت عليه

الدقائق ثقيلة كأنّها شهور .. وهو لا يدري ما يجب أن يفعله .. هل يتركها ويبتعد عنها أم يقف بجانبها حتى تحصل على الطلاق ، ثم يتزوجها ؟!.. إن فِكْرَهُ ممزّق، لا يستطيع أن يصل إلى القرار الصحيح .

وعادت كاريمان إلى أمّها وقالت لها : ماما ، أنا اتخذت قرار خطير ، ومش حاتراجع فيه أبدًا مهما حصل .. أنا مش راجعة البيت تاني .. فذُهلَتْ أمّها لهذه المفاجأة .. وصحيح أنّها كانت تشجّعها وتوافقها على التمرّد ، ولكن لم يخطر ببالها أن يصل الأمر إلى هذه الدرجة .. فلما سألتها عن السبب قالت لها : أقولّك بصراحة ؟.. أنا زهقت من الدكتور محمد وكرهت حياتي معاه ، وماحدّش حايقدر يجبرني على الرجوع للبيت ده تاني !!.. فقالت أمّها : طيّب وولادك ؟!..
فقالت : مالهم ولادي ؟!.. أهم مع أبوهم .
وجلست الأم في حيرة من أمرها ثم قالت لابنتها : كاريمان ، صارحيني أكتر .. فيه في دماغك راجل تاني ؟.. أنا أمك .. ماتخبّيش عليّ .
فقالت كاريمان : بصراحة أيوه .. شاب جنتل مان .. رقيق وحسّاس وحنيّن .. وفنّان ياماما ، فنّان .. وأحبّني من أوّل نظرة ، وأنا كمان حبّيته .
فقالت أمّها : وحانقول إيه لأبوك ؟!..
قالت كاريمان بكل جرأة : بابا مالوش دعوة .. دي حياتي وأنا حرّة فيها .. وعاوزاكِ تفهّميه .. إن حاول يغصبني على الرجوع للبيت أنا حانتحر .. وده آخر قرار ليَ .. وعلى أيّ حال ، أنا رايحة بكره للمحامي وحارفع قضية طلاق .

وبعد لحظات دق جرس التليفون ، ورفعت الأم السماعة فإذا بحماة كاريمان تسأل عنها فتقول الأم : أيوه موجودة ، وتنادي على كاريمان لتردّ على التليفون ، فتتردّد قليلاً ثم تستجمع شجاعتها وتأخذ سماعة التليفون وتقول : أيوه ياماما ؟..

فتقول حماتُها : إيه ياكاريمان ؟.. إنتِ اتأخّرتِ ليه يابنتي ؟!..إنتِ قلتِ إنّك حاترجعي قبل الولاد ما ييجوا من المدرسة !!.. وأهم رجعوا من بدري .. وكمان الدكتور محمد رجع وقلقان عليكِ .. حاتيجي إمتى ؟..

وردّت كاريمان بكل حزم : أنا مش راجعة البيت ده تاني .

فقالت حماتُها وقد ذُهِلَتْ من ردّها : إيه .. بتقولي إيه ؟!..

فقالت كاريمان مؤكّدة : أيوه ياماما ، أنا آسفة .. أنا مش راجعة تاني ، وعن إذنك ، أنا تعبانة شويّة .. ثم وضعت السماعة بكل صرامة ، وجلست وكأنّها قد أنجزت إنجازًا كبيرًا .. بينما جلست أمّها تنظر إليها والدهشة تكاد تعقد لسانها .. واقتربت من كاريمان ، وقبل أن تبدأ الحديث فاجأتْها ابنتها بقولها : لو سمحتِ ياماما ، أرجوكِ أنا مش عاوزة مناقشة في الموضوع ده .. أنا اتخذت قراري ومستحيل إني أتراجع فيه .

أما حماتُها فقد جلست بعد المكالمة التليفونية ، وشعرت بإحباط شلّ تفكيرها .. وظلّت لدقائق والدهشة ترتسم على وجهها ولا تكاد تنطق ، وخرج الدكتور محمد من حجرة المكتب فوجد أمّه في حالة من الصمت الرهيب ، وقد بدا عليها الفزع !!..

فسألها ابنها : مالك ياماما ؟.. فيه إيه ؟!.. فلم تردّ .

فقال : إنتِ كلّمتِ كاريمان ؟.. فأومأت برأسها ولم تستطع أن تنطق ..فاقترب منها وأحسّ بأن شيئًا غير عاديّ قد حدث وسألها : إيه اللي حصل ، هل كاريمان بخير ؟.. فأومأت برأسها . ثم سألها : طيّب ماقالتش راجعة إمتى ؟.. وهنا نظرت إليه أمّه وتماسكت ، وقالت له بصوت خافت : كاريمان مش راجعة البيت .. فصمت الدكتور محمد قليلاً وأخفى حزنه ولم يعلّق إلاّ بقوله :

أنا كنت متوقّع النهاية دي !!.. ثم قام واتّجه إلى حجرة المكتب ، وجلس على كرسيّ المكتب ووضع رأسه على يديه مستغرقًا في التفكير ، واحتمالات الأحداث القادمة .. ونظر إلى الصورة الموضوعة على المكتب ، والتي تجمع بينه وبين زوجته وولديه ،

والابتسامة على وجوههم جميعًا ثم قال : أُفَوِّضُ الأمر كله لله ، ولاحول ولا قوّة إلاّ بالله ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

وخرج الطفل خالد على جدّته وسألها : تيته .. فين ماما ؟..

فقالت له : عند مامتها ياحبيبي .

فقال خالد : وحاتيجي إمتى ؟..فقالت وهي تختلق الإجابات : أصلها تعبانة شويّة وحاتبات هناك النهارده.. وإن شاء الله تيجي بكره .

فقال : طيّب ممكن أكلّمها في التليفون ؟

فقالت له : مش لازم دلوقت ، لأني طلبتها من شويّة وكانت نايمة .

وفي الصباح ذهب الولدان إلى المدرسة ، واستعدّ الدكتور محمد للخروج ، فاستوقفته أمّه عند الباب وقالت له : يامحمد ، أنا عاوزاك تفكّر بعقلك ، وتشوف حل للمشكلة ، ولازم نراعي مصلحة الأولاد ..

فقال ابنها : وإيه المطلوب منّي ؟..

فقالت أمّه : تدوس على نفسك شويّة ، وتروح لكاريمان وتتكلّم معاها ومع أبوها ، وتشوفوا إيه اللي مزعّلها .

فقال ابنها : أنا آسف ياماما .. ماقدرش .. أنا فهّمتها من البداية إنّها إذا خرجت من البيت بإرادتها ، يبقى مش ممكن أروح لها مهما كانت الظروف .

فقالت أمّه : يابني الأولاد لهم عليكم حق ، ولازم تضحّي عشانهم !!..

فقال : آسف ياماما .. دي مسألة مبدأ .. عن إذنك ياماما .. ثم انصرف .

وجلست الأم تفكّر في كيفية حل هذه المشكلة .. وعندما عاد الولدان من المدرسة وتناولا غداءهما ، نادتهما جدّتهما وقالت لخالد : تعالى ياخالد وهات عمرو معاك ، فأتى خالد ومعه عمرو وقالت لهما : اقعدوا جنبي .. أنا عاوزة أتكلّم معاكم شويّة .. فجلس الولدان ، وتساءل خالد وقال : خير ياتيته ..فيه حاجة خاصة بماما ؟..

فقالت : أيوه يابني .

فقال خالد : مالها ماما .. جرى لها حاجة ؟!.. وشعر الولدان بالفزع .. ولكن جدّتهما طمأنتهما وقالت :لا ياحبيبي ماما بخير .. بس أنا عاوزة أعتبركم رجّالة ، وتشتركوا معايا .. فيه مشكلة حصلت وعاوزين نحلّها سوا .. ماما بصراحة زعلانة وبتقول إنّها مش راجعة البيت تاني .فقال خالد : إزّاي يا تيته ؟!.. وقال عمرو : مش معقول يا تيته !!...

فقالت : هوّ ده اللي حصل .. وأنا بافكّر إني أروح لها وانتم معايا ، ونحاول نصالحها ونرجّعها تاني .. وعاوزاكم تأثّروا عليها .. تقولولها مثلاً : إحنا محتاجينك ياماما .. مانقدرش نعيش من غيرك ياماما .. ماتسيبيناش ياماما .. وتفضلوا تلحّوا عليها لغاية ما ترقّ لكم ، وترجع معاكم .. إيه رأيكم بقى ؟.. تقدروا تعملوا كده ؟..فقال خالد : طبعًا نقدر .. ومش حانسيبها إلاّ لما ترجع معانا .. وقال عمرو : وأنا كمان موافق .. وإمتى حانروح ياتيته ؟

فقالت : دلوقت حالاً .. ياللاّ قوموا البسوا .. وأنا حاكتب ورقة لبابا عشان يعرف إن إحنا خرجنا سوا .. وذهب الولدان ليرتديا ملابس الخروج ، وجلست جدّتهما تكتب ورقة لابنها وتركتها بجوار التليفون .. وجاء الولدان وانصرفا مع جدّتهما حيث ذهبوا جميعًا إلى منزل الأستاذ أمين ، والد كاريمان .. وفتحت لهما والدتُها .. ودخلوا .. وسألت أم محمد عن كاريمان ، فارتبكت أمّها وقالت : دي خرجت في مشوار صغيّر وزمانها جايّه .. اتفضّلوا .. وسأل خالد جدّته لأمّه : هيّ ماما زعلانة ليه ياتيته ؟

فقالت : ماعرفش يابني .. على أيّ حال ، زمانها جايه ، وابقوا اسألوها .. وجلست أم محمد مع الولدين .. وكانت تنظر في الساعة بين الحين والآخر .

ثم سألت أمَّ كاريمان : هيّ ماقالتش رايحة فين ، أو حاتيجي إمتى ؟..

فقالت أمها : لأ ماقالتش ، وعلى أيّ حال ، الغايب حجّته معاه .. وإذا بجرس الباب يدق ، فقامت أم كاريمان ، وقالت : لازم هيّ .. وفتحت الباب ، وكانت فعلاً

كاريمان ، التي تجهّمت عندما رأت حماتها ..أما حماتُها فقد دُهِشَتْ كثيرًا من مظهر كاريمان وملابسها الضيّقة التي تُظْهِرُ مفاتن جسدها ، والأجزاء المكشوفة من صدرها وظهرها وذراعيها ، وكذلك الماكياج الزائد في وجهها .. واستطاعت حماتُها أن تخفي دهشتها .. وبمجرّد أن رأى الولدان أمّهما أسرعا إليها يحتضنانها ويقبّلانها .. أما هي فكانت فاترة في مشاعرها حتى مع أولادها ، وسلّمت على حماتِها بفتور .. وجلست وجلس ولداها إلى جوارها ، وهي لا تلتفت إلى أيّ منهما .. وراحت تنظر إلى السقف تارة ، وإلى الجدران تارة أخرى دون اكتراث لوجود حماتها أو ولديها .. وحاولت حماتُها أن تكسر هذا الجمود ، فقالت لكاريمان : إيه يابنتي .. إيه اللي مزعّلك ؟.. أنا زعّلتك في حاجة ، أو محمد زعّلك في حاجة ؟.. فلم تردّ .. فاستأنفت حماتُها : حتى لو بالفرض فيه حدّ زعّلك ، اتكلّمي وقولي ، وكل البيوت يابنتي بيحصل فيها خلافات ، ومفيش بيت بيخلو من مشكلة .. لكن كل مشكلة ولها حل .. وبرضه مطلوب من الزوجين التضحية عشان الأولاد .. وأنا مش شايفة محمد مقصّر معاك في حاجة .. يبقى إيه المشكلة ؟!.... قولي يابنتي .. اتكلّمي ، واخزي الشيطان .. ياللاّ قومي عشان تروّحي مع ولادك .

فقالت كاريمان وهي مازالت توزّع نظراتها بين السقف والجدران : آسفة ياماما ، أنا مش راجعة البيت ده تاني .. وده قراري النهائي .. فأمسك خالد بذراعها وقال مستعطفًا : لاياماما ، لازم ترجعي معانا .. فتضايقت وتجهّمت ووقفت ولم تردّ على ابنها الذي كان يبكي ، وكذلك أخوه الصغير عمرو الذي أمسك بيدها الأخرى ويقول : لازم تيجي معانا ياماما .. وكان الولدان يذرفان من الدموع ويبكيان بكاء يذيب الصخور ، ولكنها لم تكترث لهذا البكاء أو تلك الدموع المنهمرة على وجنتي كل من ولديها الصغيرين .

ويقول خالد في توسّل : إحنا محتاجينك ياماما ، ويقول عمرو: ماتسيبيناش يا ماما !!.. وهي واقفة كالتمثال الذي لا حياة فيه ولا مشاعر ولا إحساس .. وكأن أمومتها قد

تبدّدت ومشاعرها قد تبلّدت ، وكأن قلبها قد تحوّل إلى حجر من الصخر .. ولم تؤثر فيها دموع ولديها ، ولم يحرّك مشاعرها بكاؤهما ، ولا توسّلاتهما .

وكان والدها نائمًا ، واستيقظ على صوت بكاء الولدين ، فنهض ووقف بعض الوقت خلف باب حجرته ، واستمع إلى توسّلات الولدين .. ثم خرج إلى الصالة وقال لابنته : وبعدين ياكاريمان .. يا ترى لغاية إمتى حاتفضلي راكبة دماغك ومستمرّة في عنادك ؟!.. مش مؤثّر فيك بكاء ولادك ودموعهم اللي على وشّهم ؟!.. إزّاي يهون عليكِ ولادك ؟!..وهمّ محتاجينك ؟!..

فقالت كاريمان : وانا حافضل لغاية إمتى أعيش خدّامة ؟!.. الإنسان بيعيش حياته مرّة واحدة ، مش مرّتين !!..

فقال أبوها : وهيّ الأم اللي بتؤدّي رسالتها وتربّي أولادها يبقى اسمها خدّامة ؟!.. إنتِ جبْتِ منين المفاهيم الغلط دي ؟!.. إنتِ ماسمعتيش إن القطّة لما بتشعر بأيّ خطر يهدّد حياة ولادها بتاخدهم في أسنانْها وتقفز بيهم أسطح البيوت عشان تبعدهم عن الخطر .. يعني الحيوان ما بيتخلاّش عن صغاره ..وانتِ إزّاي يطاوعك قلبك إنّك تسيبي ولادك وهمّ في السنّ الصغيّر ده ومحتاجينك ؟!..

وكانت كاريمان تتأفف وتشعر بالضجر من كلمات أبيها .. وظلّت على وقفتها ثم قالت لأبيها : لو سمحت يابابا .. دي حياتي وأنا أدرى بمصلحتي .

فقال لها : متهيّأ لك .. اللي انتِ بتعمليه ده مش في مصلحتك ، ولا في مصلحة أولادك ، فقالت وقد اشتدّ بها الغيظ والضيق : أرجوكم ، سيبوني أعيش حياتي زيّ ما أنا عايزة .. ماتحاولوش تغصبوا عليّ وإلاّ حانتحر .

فقال أبوها ساخرًا : هوّ انتِ لسّه ماانتحرتيش ؟!.. إنتِ انتحرتِ فعلاً من ساعة ما سيبتي بيتك واتخلّيتي عن ولادك .. يعني إنت دلوقت في العدم ، مالكيش وجود .. وعلى أيّ حال ، أنا مش حاتدخّل بعد كده .. وأنا غير راضي بالمرّة عن اللي إنتِ بتعمليه .. ولابد حاييجي يوم تحسّي فيه بالندم وتشعري بغلطتك .. بس الله أعلم ،

حايكون فات الأوان واللاّ لسّه ، واعرفي كويّس إن ولادك مش ممكن حاينسوا تخلّيكي عنهم ، ولا غدرك بأبوهم .. ولما يكبروا ، يمكن ما يعرفوكيش .. وإن حدّ منهم سأل عنّك في المستقبل ، يبقى كتّر خيره ، وما حدّش ساعتها يقدر يلومهم !!..
فقالت كاريمان : مش مهم .. أنا مش محتاجاهم في حاجة .. وهمّ يعني حايعملولي إيه ؟ واللي قبلهم عملوا إيه لأهاليهم ؟!. أنا عاوزة أعيش حياتي زيّ الناس اللي عايشة !!..
فقال أبوها : حياتك بعيد عن ولادك ، مصيرك حاتعرفي إنّها مش حياة ، إنما حاتبقى بالضبط موت بالحياة .. وواضح إن الشيطان مسيطر على تفكيرك وعلى بصيرتك ، ومش قادرة تميّزي بين الغلط والصح .. والعيب على أمّك ، اللي ماعرفتش تربّيك وتوجّهك التوجيه الصحيح .. وكانت دايمًا بتشجّعك على التمرّد .. وآدي النتيجة .. بتهدمي في بيتك وبتغدري بجوزك وبتتخلّي عن ولادك في لحظات طيش .. وإن ما كنتيش حاتفوقي في الوقت المناسب ، حاتخسري في النهاية ، وحاتدفعي الثمن غالي .. وأغلى مما تتصوّري !!.. أما أنا .. ما بقاليش عيشة معاكم هنا .. ومن الصبح إن شاء الله حاخد شنطة هدومي وأسافر وأعيش في البلد .. ولما تبقى ترجعي لعقلك ، وترجعي لبيتك وجوزك وولادك ابقوا بلّغوني .. ثم وجّه حديثه لأم محمد وقال :
لامؤاخذة يا ست أم محمد ، ماقدرش أقول أكتر من اللي أنا قلته .. وعلى أيّ حال ، زيّ ما بيقول المثل " اللي بيشيل قربة مقطوعة ، بتخرّ على دماغه " واللي ما بيشوفش صح النهارده ، ضروري حايشوف بكره !!..
فقامت أم محمد وقالت لكاريمان : يعني مفيش فايدة ياكاريمان ؟!..
فقالت كاريمان : أنا آسفة ياماما .. ده قراري النهائي .
فقالت أم محمد للولدين : ياللاّ ياولاد .. زمان بابا رجع البيت وقلقان عليكم .. فتعلّق الولدان بأمّهما وظلاّ يبكيان ويلحّان عليها ويتوسّلان إليها أن تعود معهما .. وهي لا تتحرّك ولا تردّ عليهما .. وتقدّمت جدّتهما وأخذت بيد كل منهما وقالت : ياللاّ ياولاد .. وهما مازالا يبكيان ويناشدان أمّهما العودة معهما .. وكانت عبارات الولدين

تمزّق القلوب المتحجّرة التي يقولان فيها : ارجعي معانا ياماما .. ماتسيبيناش ياماما .. إحنا محتاجينك ياماما .. ولم تكترث أمّهما لهذه التوسّلات .. ولما وصلت أم محمد إلى باب الشقة ، التفتت إلى كاريمان وقالت لها : ماكنتش متصوّرة إن قلبك يبقى بالقسوة دي ، وإنك تتجرّدي من مشاعر الأمومة للدرجة دي ، أقولّك إيه ؟! الله يسامحك !!..
فقالت كاريمان وهي مازالت تنظر إلى الجدران : على فكرة ، أنا رفعت قضية طلاق .. فنظرت إليها حماتها نظرة ازدراء واحتقار ، ولم تردّ عليها .. وأخذت الولدين وانصرفت والولدان مازالا يبكيان ..

وعادت أم محمد إلى البيت ويكاد قلبها يقطر دمًا ، ووجدت ابنها مرتديًا الروب ، واستقبلهم وقال لأمّه معاتبًا : إنت برضه رُحْت لها ياماما ؟!..
فقالت : أعمل إيه يابني ؟!..الولاد لازم يعيشوا بين أبوهم وأمّهم !!..
فقال : يعني وهيّ معاهم كانت بتعمل لهم إيه ؟!.. ما حضرتك عارفة .. يمكن وهمَّ بعيد عنها يتربّوا أفضل !!.. وأخذ الدكتور محمد ولديه ، واحتضن كلاً منهما وقبّلهما بينما جلست أم محمد وقد أُسْقط في يدها ، وشعرت بالحزن والأسى لما حدث !!..

وفي اليوم التالي استيقظت أم كاريمان من النوم ، فلم تجد زوجها بجانبها على السرير ، فنهضت ، وتوجّهت إلى دولاب الملابس ، فرأت أن ملابس زوجها قد اختفت ، فتأكّدت من أن زوجها قد نفّذ كلامه وسافر إلى البلد ، فذهبت إلى كاريمان التي كانت نائمة ، وأيقظتها وأخبرتها بأن أباها قد غادر البيت وسافر .
فقالت كاريمان وهي تتثاءب : تلاقيه حايقعد في البلد يومين وحايرجع تاني .
فقالت أمّها : لا يا كاريمان ، إنت مش عارفة أبوك لما بتطلع في دماغه حاجة بينفّذها .. ومش ممكن حايرجع إلاّ إذا رجعت إنت لبيتك .. وهنا استدارت كاريمان لأمّها وقالت بغضب : ما تحاوليش إنت كمان .. أنا مش راجعة يعني مش راجعة .. ثم نهضت وذهبت إلى الحمّام .. ولما عادت إلى حجرتها بدأت تُعدُّ نفسها للخروج ..

ولما خرجت إلى الصالة ورأتها أمّها سألتها إلى أين ستذهب في هذا الوقت المبكّر، فقالت : أنا رايحة أعمل بعض الإجراءات الخاصة بقضية الطلاق . فقالت أمّها بعد أن بدأت تفيق لخطورة الأمر: مابلاش يابنتي حكاية الطلاق دي ، وحاولي تحكّمي عقلك وتفكّري كويّس .. عشان خاطر ولادك .

فقالت كاريمان بامتعاض: وبعدين بقى؟! إحنا حانفضل اللي نقوله نعيده ؟! ماخلاص ، انتهينا .. واللاّانتِ عاوزة تعملي زيّ بابا ؟!..

فقالت أمّها : يابنتي ولادك محتاجين لك .. ودول لسّه صغيّرين .

فقالت : البركة في أبوهم ، اللي طالع لي القلعة بالدكتوراه بتاعته .. وكأن مفيش حدّ متعلّم إلاّ هوّ .. يربّيهم هوّ بقى .. أما نشوف حايبقى يربّيهم إزّاي !!..

فقالت أمّها : ولما يكبروا مش حاينسوا إنّك اتخلّيتي عنهم .

فقالت ساخرة : لأ اطّمني .. لما يكبروا برضه حايعرفوني ، أنا برضه أمّهم .

فقالت أمّها : هيّ الأم اللي تولد وترمي ولادها ؟!.. الأم يابنتي ، هيّ اللي تِولْدْ وتربّي وتضحّي عشان ولادها مهما تعبت أو قاست .

فقالت كاريمان ساخرة : الله الله .. ده انتِ بقيتِ مصلحة اجتماعية أهو !!..

فقالت أمّها وهي تشعر بالأسى: إنتِ بتتّريقي عليّ ياكاريمان .. أنا بس صعبان عليّ الولاد ، وقطّعوا قلبي وهمّ بيبكوا ، ودموعهم نازلة على خدودهم ، وانتِ ولا حاسّة بحاجة ، وكأنّهم مش ولادك !!..

فقالت كاريمان : أنا مش باتّْرْيَقْ ولا حاجة .. بس كل واحدة لازم تعيش حياتها بالطريقة اللي تريّحها .. ثم ذهبت إلى التليفون وطلبت مجدي وأخبرته بأنّها تريد مقابلته للأهمية ، واتفقت معه على موعد للقاء في مرسمه .

وخرجت والتقت بمجدي الذي قابلها ببعض الفتور .. ولاحظت هي ذلك ، وخشيت أن يكون قد تغيّر بعد أن عرف موضوع زواجها .. وأرادت أن تستدرّ

عطفه ، فبكت وقالت له : تصوّر يا مجدي .. الراجل المتوحّش المفتري ، جاي عند ماما ، ولما مارضيتش أروّح معاه .. اتهجّم عليَ ، وفضلْ يضرب فيَ ، بالأقلام واللكمات .. وراح ماسك الشمسية بتاعة بابا ، ونزل على جسمي ضرب .. ولما جتْ ماما تحوش عنّي راح خابطها في صدرها ، راحت واقعة على الأرض ، وقال لي أنا حاعرف أورّيك يا .. وشتمني بكلام فظيع ماقدرش أقوله ..

واندهش مجدي ولم يكد يصدّق ما سمعه ، وقال متعجّبًا : معقول اللي بيحصل ده ؟!.. فيه أزواج بالقسوة والفظاعة دي ؟!..

فقالت كاريمان لتزيد من تأثره: تصوّر ، ماما فضْلتْ تستعطفه وتقول له: حرام عليك . حاتموّتها .. ياأخي إن ما كنتش عاوزها سيبها .. فقال : دي نجوم السما أقرب لها . ومش حاطلّقها وبكره حاتيجي وتركع تحت رجلي ، وراح ضاربني برجله وخرج !!..

فقال مجدي متأففًا : أعوذ بالله !!.. ده مش بني آدم .. ده متوحّش .. يبقى لازم ترفعي قضية طلاق وتخلصي منّه ، وتريّحي نفسك من العذاب ده ..

فقالت : ماأنا رُحْتْ امبارح للمحامي وبدأت إجراءات الطلاق .. والمحامي قال لي إن الحكم حايكون لصالحي وبأسرع وقت ، مش كده برضه ياحبيبي ؟.. فلم يردّ مجدي ، وسرح بفكره كأنه يحاول أن يستوعب ما سمعه من روايات كاريمان عن زوجها . وكأن به قليلاً من الشك في صدقها ، وفي نفس الوقت قد تكون صادقة !!..

فقالت له كاريمان : إنت سرحان في إيه ياحبيبي ؟..كلها أيام أو شهر بالكتير وتحكم المحكمة بالطلاق ، ونتجوّز ياحبيبي ونتمتّع بحياتنا .. ولم يردّ مجدي كأنه لم يسمعها لأنه كان يفكّر فيما ترويه ، وهل يكون صحيحا ؟!!

فقالت له : مش حانخرج سوا النهارده ؟.. ماتيجي نقعد في الكازينو اللي على النيل . أسمعك وتسمعني ، وندردش مع بعض في مستقبلنا ، والأيام الحلوة اللي جايّه .

فقال : معلش يا كاريمان .. مش حاقدر النهارده .. عشان تعبان شويّة .. وعندي لوحة مهمّة عاوز أخلّصها .

فقالت : طيّب ياحبيبي .. أسيبك أنا دلوقت لشغلك ، وأجيلك بكره .. وقبّلته واحتضنته ، ولكنه لم يشاركها حرارة القبلة ولا دفء الأحضان .. وأخذت حقيبة يدها وقالت له : باي ياحبيبي .. إلى اللقاء بكره .. وانصرفت دون أن يردّ عليها .. وجلس على كرسيّ قريب منه ، وراح يغوص في أعماق محيط عميق من الفكر يحاول الخروج منه بلا جدوى !!..

أما كاريمان فقد بدأ القلق يساورها بسبب الفتور الذي لاحظته أكثر من مرّة على مجدي كلما اقتربت منه .. ولهذا فقد ذهبت إلى المحامي مساء نفس اليوم ، وألحّت عليه أن يبذل أقصى ما يستطيع لإنهاء قضية الطلاق بأسرع ما يمكن .. وأخبرته بأنّها ستعطيه كل ما يطلبه من أجر ، فوعدها ببذل كل ما في طاقته ، وأبلغها بأن الجلسة الأولى قد تحدّد لها موعد السبت القادم ، وأنه أرسل لزوجها إعلانًا ، وربما يكون قد وصله بالأمس ، أو يصله غدًا على أكثر تقدير .. فانفرجت أساريرها ، وأعطت المحامي مبلغًا من قيمة الأتعاب ، وانصرفت .

وفي صباح اليوم التالي وصل مُحْضرٌ إلى بيت الدكتور محمد ، وسلّم والدته إعلانًا من المحكمة ، وطلب منها أن توقّع بالاستلام .. وبعد انصراف المحضر ، قرأت أم محمد الإعلان الذي يوضّح موعد الجلسة لقضية الطلاق التي رفعتها كاريمان .. فتتجه أم محمد إلى أقرب مقعد لترتمي عليه وقد شعرت بالحزن والأسى .. وراحت تفكّر بعمق ، وقالت : الله يكون في عونك يابني !!.. وأمسكت بالتليفون وطلبت كاريمان لعلها تستطيع إقناعها بالعدول عن طلب الطلاق ، وعندما ردّت أم كاريمان ، أشارت لها كاريمان بأنه لو كان المتحدث من بيت زوجها فلتقل إنّها غير موجودة .. وفعلا قالت أمّها بأنّها خرجت ولا تعلم متى ستعود .. ووضعت أم محمد السماعة ،

وقالت في صوت خافت : كده برضه ياكاريمان ؟!!.. تهون عليك العشرة ، ويهون عليكِ ولادك .. منّك لله !!..

وعندما عاد الدكتور محمد لاحظ أن والدته حزينة وشاردة ، فسألها : مالك ياماما .. فيه إيه ، إنتِ تعبانة ؟؟.. فلم تستطع أن تردّ عليه ، وأعطته الإعلان ووضعت رأسها على يديها .. وقرأ الدكتور محمد الإعلان ، وابتسم في سخرية وقال لأمّه : هوّ ده اللي مزعّلك ؟!..

فقالت أمّه : يابني أنا كان عندي أمل لآخر لحظة إنّها تفوق وترجع لعقلها .. لغاية ما وصل الإعلان ده ، عرفت إنّه مفيش فايدة .. أنا صعبان عليّ الولاد .. كل يوم بيسألوني إن كانت أمّهم حاترجع واللاّ لأ !!..

فقال ابنها : ماتشغليش بالك ياماما .. أنا مش حاريّحها .. لا حاطلّقها ولا حاطلب منها الرجوع للبيت ، إلاّ إذا عرفت السبب .. وإن كانت عاوزة ترجع ، يبقى زيّ ما خرجت بإرادتها يبقى ترجع بإرادتها .

وجاء يوم الجلسة ، وانبرى محاميها يُعَدِّدُ مساوئ الزوج وسوء معاملته لزوجته بضربها وإهانتها أمام الناس ، وبخله الشديد ، وعدم إنفاقه على البيت بما يكفي .. وأنه منذ زواجها حتى اليوم لم يشترِ لها فستانًا واحدًا ، أو هدية في أيّة مناسبة ، ولا يحتفل بعيد ميلادها ولا بعيد زواجهما .. وأنه يقضي كل وقته في عمله سواء في الكلية أو في البيت ، ولا يخرج معها مطلقًا ، حتى أحسّت بأنّها تعيش في سجن .. ولهذا فإنّها تطلب الطلاق للضّرر .

وسأل القاضي الدكتور محمد فيما نُسبَ إليه ، ولم يكن الدكتور محمد قد وكّل محاميًا وفضّل أن يدافع هو عن نفسه ، فقال للقاضي : لقد فوجئتُ بهذه الادعاءات التي لم أتوقّعها .. لهذا أرجو من المحكمة الموقّرة أن تؤجّل القضية إلى موعد آخر لأحضِرَ ما يُكَذِّبُ هذه الادعاءات ، وإذا كان لدي المدّعية أيّة أدلّة أو شهود إثبات ،

فيمكنها إحضارها في الجلسة القادمة ، فوافق القاضي ، وأعلن تأجيل الجلسة لمدّة أسبوعين لإعطاء فرصة للطرفين لإحضار الأدلّة ، ثم رُفِعَتْ الجلسة .

وخرج الدكتور محمد من المحكمة وهو يبتسم ساخرًا ويقول : صدق الله العظيم (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) !!.. بينما وقفت كاريمان مع المحامي ، يتشاوران في الأمر ، وقد كانت تحلم بأن المحكمة سوف تحكم لها بالطلاق في أوّل جلسة ، كما أوهمها المحامي .

وفي الجلسة الثانية نودي على الزوجين .. وكان الدكتور محمد قد أحضر معه الصائغ الذي يتعامل معه ، و" الخيّاطة " التي تفصّل الفساتين لكاريمان ، وأحضر أيضًا بعض فواتير الحُليّ الذهبية وملابس السيدات .. وشهد الصائغ بأن الدكتور محمد اشتري منه أكثر من مرّة هدايا لزوجته التي كانت تختار الهدايا بنفسها .. كما شهدت " الخيّاطة " بأنّها فصّلت فساتين كثيرة لزوجة الدكتور محمد ، ومن ضمن هذه الفساتين الفستان الذي ترتديه الآن في المحكمة .. ومن ضمن الأدلّة التي أحضرها الدكتور محمد مع الفواتير ، بعض صور الحفلات التي كانت تقيمها الأسرة في المناسبات المختلفة ، كما أحضر أيضًا جهاز تليفزيون صغير وشريط فيديو، مسجّل عليه حفلات أعياد ميلاد أفراد الأسرة ، بما فيهم كاريمان التي كانت تُقَدَّمُ لها الهدايا العديدة في هذه المناسبات .. واستأذن الدكتور محمد من القاضي أن يعرض شريط الفيديو ، ووافق القاضي ، وبعد عرض بعض اللقطات اكتفى القاضي ، وأصدر قرارًا برفض دعوى الطلاق .. خاصةً وأن كاريمان لم تستطع إحضار أيّ دليل يثبت ادّعاءاتها .

وخرج الدكتور محمد وهو يبتسم ، ولم يُعِرْ كاريمان أيّ انتباه .. بينما وقفت هي مع محاميها وهي في شدّة الغيظ .. وسألته : مفيش طريقة أخرى نعملها عشان نحصل

على الطلاق ، فقال المحامي : في الحقيقة فيه .. بس ده يتوقّف عليك وعلى موافقتك ، فقالت متلهّفة : اعمل معروف ، قوللّي بسرعة ، وأنا موافقة على أيّ شيء يوصّلني للطلاق .. فقال لها المحامي :

إذن ، تعالي المكتب النهارده الساعة سبعة مساء ، وحاقولّك إيه اللي ممكن نعمله .. وذهبت إليه في الموعد ، وسألته بشغف : إيه بقى اللي ممكن نعمله عشان نكسب القضية ؟!.. واتفق معها على خطّة ماكرة قد تساعدها على الحصول على الطلاق ، في جلسة الاستئناف .. وشرح لها تفاصيل الخطّة ، فوافقت عليها ، ووعدها أن يستأنف الحكم .

وبعد أيام قليلة وصل إعلان آخر للدكتور محمد بموعد جلسة الاستئناف .. وفي هذه الجلسة ، طلب محامي كاريمان من القاضي عقد جلسة سرّية لأن موكّلته تريد أن تُفْضِي للمحكمة بأسرار خاصة جدًّا .. وعُقِدَتْ جلسة خاصة حضرها الدكتور محمد وكاريمان ومحاميها ..

وقال محاميها : إن موكّلتي تحمّلت كزوجة مالا تستطيع زوجة أخرى أن تتحمّله .. ففضلاً عن اعتداء زوجها المتكرّر عليها بالضرب والسبّ والإهانة ، إلاّ أنه لم يُرَاعِ ولم يُقَدِّرْ صبرها على ضعفه الصحّي ، فهو غير قادر على إعطائها حقّها الشرعيّ كزوجة ، وكانت تتحمّل من أجل أولادها .. ولكنها لم تجد تقديرًا لهذا الصبر ، فاضطرّت أن تلجأ إلى القضاء لتطلب الطلاق ، خاصّةً وأنّها عرضت عليه أكثر من مرّة أن يعرض نفسه على الأطباء للعلاج ، فكان يرفض باستمرار ، وهي كما ترى المحكمة ، مازالت في سن الشباب ، وتتحلّى بجمال جذّاب وأنوثة كاملة وتخشى على نفسها الفتنة ، وادّعي محامي كاريمان أن زوجها يعاني من مرض تناسليّ يجعله عاجزًا عن ممارسة الحياة الزوجية مع زوجته ، ولما كانت الزوجة في عزّ شبابها فإنّها تخشى على نفسها الفتنة ، ولهذا فهي تطلب الطلاق ..

وسأل القاضي الدكتور محمد فيما سمعه ، قال الدكتور محمد : إن المدّعية تلجأ إلى أيّة وسيلة لتحصل على الطلاق ، وأنا في الحقيقة لا أعرف السبب ، وهذا هو السبب في رفضي لطلب الطلاق .. لقد ادّعت في محكمة أوّل درجة أنني بخيل ، وأنني لم أشترِ لها هدية ولا فستانًا منذ زفافنا ، وأنني أُهينها ، وأنّها حبيسة البيت ، ولقد استطعتُ أن أُثبت كذب ادّعاءاتِها ، ولهذا اقتنعت محكمة أوّل درجة ، ورفضت الدعوى ، ولهذا لجأت إلى محكمة الاستئناف ، ولجأت إلى هذه الحيلة الجديدة بالادّعاء بضعفي .. وعلى أيّ حال أنا مستعد للعرض على الأطباء المختصين لإثبات كذب الادّعاء الأخير .. فأصدر القاضي أمره بتأجيل القضية شهرًا لعرض الزوج على الطبيب المختص ، وإعداد تقرير طبّي مفصّل عن حالة الزوج وعرضه على المحكمة .

وعُرِضَ الدكتور محمد على القومسيون الطبّي لفحصه ، وأعدّ القومسيون الطبّي تقريرًا يقول : إن الدكتور محمد يتمتّع بصحة جيدة وأنه ليس به أيّ ضعف يعوقه عن ممارسة الحياة الزوجية ومعاشرة زوجته .. وعُرِضَ التقرير على المحكمة .. فأصدر القاضي الحكم بتأييد الحكم السابق ، ورفض دعوى الزوجة لطلب الطلاق .. وعندما سمعت كاريمان الحكم ، أحسّت بالهزيمة وأنّها لن تستطيع أن تحقق حلمها بالحصول على الطلاق لتتزوج من حبيبها مجدي .. ووقفت خارج قاعة المحكمة تضغط على أسنانِها من الغضب .. وجاءها محاميها وأعلن أسفه ، فقالت له : مش مهم .. أنا حاعرف أتصرّف ..

وسألها المحامي : حاتعملي إيه ؟..

فقالت في ثقة : حاعمل اللي المحامين مايقدروش يعملوه .. حاستخدم ذكاء المرأة ، وحاتشوف النتيجة .. اتفضّل انت دلوقت ، وبعدين حاتصل بيك ، فانصرف المحامي ، ووقفت هي تفكّر وتفكّر .. ثم ضربت بقبضة يدها على يدها الأخرى وقالت وكأنّها وجدت الحل : وجدتُها .. أنا حاستعمل ذكائي .. وراحت تنظر هنا وهناك بحثًا عن

الدكتور محمد ، وأخيرًا لحقته خارج المحكمة وهو يستعد لركوب سيارته .. فجَرَتْ إليه ونادت عليه ، وكان قد بدأ يتحرّك بالسيارة ، ثم توقف عندما سمعها تناديه .. ونظر إليها في دهشة .. فمالت إليه من نافذة السيارة ، وبنظرة ماكرة لعوب ، قالت له : عندك مانع تقابلني بكره الساعة ستة في النادي ، مطرح ما كنا بنقعد سوا ومعانا الولاد ؟؟..

فقال لها : ممكن أعرف السبب ؟!!..

فقالت وهي تتصنّع الابتسام : بس لما تيجي حاتعرف كل حاجة .. بس ماتجيبش الولاد معاك ، ممكن ؟.. ففكّر لحظات قليلة ثم قال : ممكن ، مفيش مانع .

فقالت له بمزيد من المكر : إوعى تتأخّر ، الساعة ستة تمام في النادي .

فقال : إن شاء الله ، ثم انطلق بالسيارة عائدًا إلى البيت .. وحكى لأمّه أن كل محاولات كاريمان للحصول على الطلاق قد باءت بالفشل .

فقالت : الحمد لله .. ربّنا كريم .

ثم قال : بس فيه حاجة غريبة حصلت ، ومش عارف لها تفسير !!..

فقالت أمّه في دهشة : وإيه هيّ ؟!..

فقال : بعد ما خرجت من المحكمة وركبت العربية ، فوجئت بكاريمان بتنادي عليّ .. وجَتْ وطلبت إني أقابلها في النادي بكره الساعة ستة ، ومش عارف إيه هدفها من المقابلة دي !!..

فقالت أمّه : يمكن يابني رجعت لعقلها ، وعاوزة تتفاهم معاك عشان ترجع لولادها .. والله يابني يبقى خير .. ولو كان ده صحيح ولقيتها عاوزة ترجع البيت ، ماتعقّدش الأمور ، وخلّيك متسامح عشان خاطر ولادكم ، وتوجّهت إلى السماء بالدّعاء قائلة : يارب اهديها يارب .

فقال الدكتور محمد : أنا برضه مش قادر أستنتج الهدف من المقابلة دي .. ولكن على رأيك ، يمكن يكون ربّنا هداها !!..

وفي اليوم التالي اتصلت كاريمان بمجدي وطلبت منه ضرورة مقابلتها في النادي الساعة الخامسة والنصف مساء لأمر في غاية الأهمية .. وتوسّلت إليه أن يحضر ، فوعدها بالحضور .. وذهبت هي إلى النادي في الساعة الخامسة والربع ، وكانت ترتدي أكثر فساتينها شياكة ، وتفنّنت في وضع الماكياج ليزداد جمالها .. وجلست في النادي تفكّر في الخطّة التي رسمتها ، وهي تبتسم ابتسامة المكر والدّهاء ، وتضع ساقًا فوق ساق ، وتَهزّ ساقها .. وفي الساعة الخامسة والنصف جاء مجدي ووجدها في انتظاره .. فسلّم عليها وجلس بجوارها ثم قال متسائلاً :
خير .. إيه بقى الأمر اللي في غاية الأهمية ؟؟!!..
فقالت بدلال : ماتستعجلش .. بعد نصّ ساعة فقط ، حاتعرف كل حاجة .. أنا محضّرة لك مفاجأة هايلة ، حاتعرف منها أنا بحبك قدّ إيه ..فقال : طيّب ما تدّيني فكرة عنها .. فقالت : وتبقى مفاجأة إزّاي إذا قلت لك عنها دلوقت ؟.. ونادى مجدي على " الجرسون " الذي جاء ، وسأل مجدي كاريمان عما تريد أن تشربه ، فقالت بكل فرح : أحلى شربات في الدنيا !!..
فقال مجدي للجرسون : هات لنا اتنين فراولة .. وراح مجدي ينظر إلى كاريمان التي يبدو عليها السرور .. وراح يتساءل في نفسه : ياترى !! إيه المفاجأة اللي بتقول عليها ؟!.. وجاء الجرسون بالفراولة ، ووضعها على المنضدة وانصرف .. وكانت كاريمان تنظر في الساعة بين الحين والآخر ثم تنظر إلى مدخل النادي تترقّب مجيء زوجها ..

وفجأةً فرحت وقالت : استعد يا مجدي للمفاجأة .. وبعد لحظات جاء زوجها وقال : السلام عليكم .. ثم نظر إلى مجدي الذي كان يجلس بجوارها ، وكأنه يريد أن يسألها عنه ، وظن أنه قد يكون أحد أقاربها الذي أحضرته ليوفّق بينهما .. ووقف

مجدي بكل احترام ، وسلّم على الدكتور محمد وهو لا يعرفه ، وقد تملّكته الدهشة هو أيضًا .. والرجلان لا يدريان شيئًا .. وانتظر الدكتور محمد أن يدعوه أحد للجلوس ، ولكن لم يحدث .. فقال لكاريمان :

آديني جيت في الموعد حسب طلبك .. ياترى ، أقدر أعرف سبب المقابلة ؟!..

فقالت بمكر ودهاء : طبعًا .. دلوقت حالاً حاتعرف .. ثم نظرت إلى مجدي وقالت له : أقدّم لك الدكتور محمد عبد السلام ، جوزي .. فبدا على مجدي الذهول وعُقدَ لسانُه من المفاجأة .. ثم ابتسمت ابتسامة صفراء ، ونظرت إلى الدكتور محمد وقالت له : أقدّم لك الفنّان الكبير الأستاذ مجدي ابراهيم ، حبيبي .. اللي أنا طالبة منّك الطلاق عشان أتجوّزه ..

وبمجرّد أن سمع الدكتور محمد ما نطقت به كاريمان ، وكأن صاعقة قد نزلت عليه من السماء .. وشعر بدوار وكاد يسقط على الأرض .. وترنّح قليلاً وهو يحاول أن يتماسك ، واستند على المنضدة .. وأسرع إليه مجدي وسانده ، حتى لايقع على الأرض .. وكان مجدي هو الآخر في غاية الذهول .. وبعد أن تماسك الدكتور محمد ، نظر إلى كاريمان باحتقار وهو يستند على المنضدة ، ومازال مجدي يسنده ، وقال لها زوجها : هوّ ده سبب طلبك الطلاق ؟.. لو كنتِ أفصحتِ عن هدفك من البداية ما كنتش تردّدت لحظة في إني أطلّقك .. وإن كنت رفضت الطلاق المدّة اللي فاتت فَدَهْ كان عشان الأولاد ما يُحْرَمُوش من أمَهم ، وكنت باقول يمكن ترجعي لعقلك ، وتقدّري مسئولية البيت والأولاد .. ولكن مادمت عرفت السبب دلوقت .. فبكل بساطة أقولّك : إنتِ طالق .. طالق .. طالق ، وخلال أيام قليلة حاتوصلك ورقة الطلاق .

وابتسمت كاريمان ابتسامة المنتصرة ، التي فجّرت قنبلة شديدة الانفجار ، واستطاعت بها أن تحقق ما فشلت فيه في المحكمة ، وعجز عن تحقيقه المحامي .. وحاول الدكتور محمد الانصراف ، ولكنه كان مازال متأثرًا بالصّدمة التي وجّهتها إليه .. وسانده مجدي ، وقال له : اسمح لي أوصّلك ، وسانده وسار معه حتى خرج من باب النادي ووصل إلى السيارة ، وحاول الدكتور محمد أن يفتح باب السيارة ، ولكنه لم يستطع ، واستند على السيارة ، ووجد مجدي أن أعصاب الدكتور محمد المنهارة ربما لاتساعده على القيادة ، فقال له : أرجوك ، اسمح لي أسوق بدالك وأوصّلك لغاية البيت .. فنظر إليه الدكتور محمد ، ولأنه كان فعلاً في حالة لا تسمح له بقيادة السيارة ، فقد وافق .. وساعده مجدي على دخول السيارة ، وأجلسه على المقعد الأيمن الأمامي .. وتولّى مجدي القيادة .. وكان الدكتور محمد يرشده إلى الطريق حتى وصلت السيارة أمام البيت .. وخرج مجدي ، وساعد الدكتور محمد على الخروج من السيارة .. وقال لمجدي : أنا شاكر يا أستاذ ..

فقال مجدي : أنا آسف يا دكتور .. أنا فوجئت زيّ حضرتك تمام ..

فقال له الدكتور محمد : معلش ، بس أنا صعبان عليّ إن إنسان زيّك بهذه الروح الطيّبة والإنسانية ، يمكن أن تخدعه هذه الحيّة زيّ ما خدعتني .. أنصحك إنّك تفكّر ألف مرّة .. قبل ما تصبح ، الضحية التانية .. ومرّة أخرى أشكرك ، ومدّ يده وصافحه ، ودخل إلى البيت حيث صعد به المصعد .

أما مجدي فقد ظل واقفًا مذهولاً مما حدث ، وشعر بالحيرة .. ماذا يفعل الآن ؟!.. هل يعود إلى النادي حيث تنتظر كاريمان أم ينصرف عنها ؟.. واستقل تاكسيًا وعاد إلى النادي ، ووقف على بُعْد ينظر إلى كاريمان التي كانت تنتظر عودته بقلق بالغ .. ولكن مجدي تذكّر ما فعلته ، وجرأتها البالغة التي كادت تصيب زوجها في مقتل .. ووجد نفسه قد امتلأت بالكراهية والاحتقار لهذه المرأة التي غدرت بزوجها وتخلّت عن أولادها .. وهزّ رأسه وهو ينظر إليها من بعيد ، وقال بصوت خافت : مش ممكن

تكون دي إنسانة .. دي شيطانة .. لأ ، دي ألعن من الشيطان .. ثم انصرف وخرج من النادي ، وقرّر أن يبتعد عنها .

ظلّت كاريمان تنتظر ، وتنظر في ساعتها .. ولما فقدت الأمل في عودته كادت تُجَنّ ، وسيطر عليها شعور بالخوف والقلق ، أن تكون المفاجأة قد أثّرت عليه .. فخرجت من النادي مسرعة ، وذهبت إلى مرسمه فلم تجده .. وعادت إلى البيت في حالة هستيرية .. وظلّت تتصل بمجدي تليفونيًا .. وكان مجدي ينظر إلى التليفون ولا يردّ .

وظلّت على هذه الحال عدّة أيام ، تتردّد على النادي ، وعلى المرسم ، فلا تجد لمجدي أثرًا .. وكانت تبدو عليها العصبية في كل تصرّفاتها .

وذهب مجدي ذات يوم إلى النادي ، فوجد بعض صديقاتها اللاتي رآها معهن أوّل مرّة .. وذهب إليهنّ ، وقال لهنّ متسائلاً : تسمحولي أسألكم كام سؤال ؟..فقالت إحداهنّ : قوي ، اتفضّل يا أستاذ مجدي .. فجلس وقال : إنتم تعرفوا الدكتور محمد عبد السلام ، زوج السيدة كاريمان ؟..

فقالت : طبعًا .. كلنا نعرفه .

فقال مجدي : إيه رأيكم فيه ؟.. يعني في معاملته لكاريمان ؟..

فقالت أخرى : أوه .. يابخت كاريمان بالدكتور محمد .. ده راجل جنتل مان ، ولطيف ورقيق جدًا ، واحنا بنحضر معظم الحفلات اللي بيعملها في عيد ميلادها ، وعيد جوازهم ، وبيعاملها بكل احترام .. حتى أولاده الصغيّرين متأثرين بأخلاقه وأسلوبه ..

وسأل مجدي : وأولادهم قدّ إيه ؟..

فقالت إحداهنّ : عندهم خالد ، اتناشر سنة ، وعمرو عشر سنين .. إنما إيه ، آخر أدب .. طالعين لأبوهم بالضبط .

فقالت إحداهنّ : إنما إنت بتسأل الأسئلة دي كلها ليه ؟؟!!..

فقال : لا أبدًا ، مفيش حاجة .. على أيّ حال ، شكرًا .. وتركهنّ وانصرف ، وهزّ رأسه مقتنعًا أخيرًا بأن كاريمان كانت كاذبة في كل ما ذكرته عن زوجها ، وأنّها أخفت عنه أن لديها أولادًا .. وكانت على استعداد للتخلّي عن ولديها .. وحمد الله أن عرف الحقيقة في الوقت المناسب ..

وذات مساء اتصلت به كاريمان ، وكان يُعِدُّ بعض الحقائب للسفر .. ولما سمع رنين جرس التليفون ، نظر إليه متردّدًا .. وبعد لحظات رفع السماعة فإذا بها كاريمان تسأله بلهفة : مجدي .. إنت فين ياحبيبي ؟.. أنا قلبت عليك الدنيا ورحت لك المرسم كتير ، وسألت عليك في النادي .. أنا عاوزة أشوفك ضروري .. مجدي .. مجدي .. إنت ما بتردّش ليه ؟.. ولم يجد مجدي ما يردّ به عليها ، ووضع السماعة .

وجُنَّ جنونُها .. كيف يتحوّل عنها بهذه السرعة ، وهي تحبّه كل هذا الحب ؟.. وقرّرت ألاّ تستلم ، وذهبت في الصباح إلى المرسم فوجدته مغلقًا .. فسألت بوّاب العمارة عن الأستاذ مجدي فقال لها : الأستاذ مجدي سافر امبارح بالليل .. فصُدِمَتْ بهذا الخبر ، وقالت : سافر فين ؟..

فقال البوّاب : أنا سمعته بيقول إنّه مسافر إيطاليا ، وإنّه حايقعد هناك سنتين تلاتة .. فكاد يُغْشَى عليها ، واستندت إلى الحائط .. واقترب منها البوّاب وقال لها : سلامتك يا هانم .. أجيب لحضرتك كرسي ؟..

فقالت له : لأ شكرًا .. وتحاملت على نفسها ، ومَشَتْ وهي تشعر بمرارة الفشل والإحباط .. فقد هجرها حبيبها الذي عقدت عليه الآمال .. وتبدّد الحلم الذي كانت تعيش على أمل تحقيقه وأن تنعم بحياة سعيدة مع حبيبها مجدي .. وشعرت بأن الدنيا كلها قد تخلّت عنها .. وماذا تفعل بعد أن تركت بيتها وأولادها ، وبعد أن طلّقها زوجها ؟!..

وعادت إلى أمّها وعلامات اليأس بادية على وجهها ، ونظرت إليها أمّها ولم تعلّق ، وسلّمتها قسيمة الطلاق التي وصلت اليوم .. وجلست متهاوية على أقرب مقعد ووضعت رأسها على يديها وهي تشعر بالندم على ما وصلت إليه .. فلا هي حافظت على بيتها وحياتها السعيدة بين زوجها وولديها ، ولا فازت بتحقيق حلمها مع مجدي ، الذي اكتشف أخيرًا أنّها لا تستحق حبّه ، فتركها وهاجر .

وبدأت تفكّر وتعيد حساباتها من جديد .. وكيف لها أن تصلح ما أفسدته .. وظنّت أن الدكتور محمد بإنسانيته وطيبة قلبه ، يمكن أن يتجاوز عن أخطائها وأن يرحّب بعودتها إلى بيتها .. وهي تعلم أنه يحبّها ، وأنه يمكن أن يسامحها ، حتى ولو كان من أجل الأولاد ..وظلّت بجوار التليفون ، تنظر إليه وهي متردّدة .. وأخيرًا رفعت السماعة وطلبت الدكتور محمد الذي كان يستعد هو وولداه وأمّه للسفر لقضاء العطلة الصيفية في الإسكندرية .. ولما سمع جرس التليفون رفع السماعة وقال : آلو .. فقالت كاريمان : دكتور محمد ، أرجوك ما تقفلش التليفون واسمعني .. أتوسّل إليك .. أنا باعترف إني أخطأت في حقك وحق الأولاد .. وإن الشيطان قدرْ يضحك عليّ .. وأنا دلوقت عرفت غلطتي .. وربّنا بيسامح وبيقبل التوبة .. أرجوك سامحني .. خلّيني مع الأولاد .. وأوعدك إني حاكون خدّامة لكم كلكم .. أرجوك يا دكتور محمد .. ردّ عليّ .. قول إنّك سامحتني .. فقال الدكتور محمد : آسف .. النمرة غلط .. ووضع السماعة .

ولم تيأس كاريمان من إعادة المحاولة .. وذهبت بنفسها في الصباح إلى بيت الدكتور محمد ، فقابلها البوّاب ، وسألته : الدكتور محمد موجود ؟..

فقال البوّاب مندهشًا : إنتِ ما تعرفيش واللاّ إيه يا هانم ؟.. الدكتور محمد سافر امبارح بالليل هوّ والأولاد والست الكبيرة .. فكادت تصرخ ، وسألت البوّاب : ماتعرفش سافروا فين ؟..

فقال البوّاب : الله أعلم !!..

فمشت والدنيا تدور برأسها .. ويلفّها الندم ، بعد أن خسرت كل شيء ، ولم يعد في إمكانها إصلاح ما أفسدته .. فقد فات الأوان !!.. وراحت تمسك برأسها وتخفي وجهها وهي تصرخ ، وتتخيّل والدها وهو يقول لها : إنتِ لسّة مانتحرتيش ؟ إنتِ انتحرتِ من يوم ما سيبتِ بيتِك وجوزك ، واتخلّيتِ عن ولادك .. وتتذكّر الدكتور محمد وهو يرد عليها في التليفون ويقول : آسف .. النمرة غلط .. آسف ، النمرة غلط .. آسف ، النمرة غلط !!..

الفهرس صفحة

ترقّبوا الكتبَ القادمة :

* صَـرْخَـاتٌ فِي الْهَوَاءِ الْمُلَوَّث ..
* الْمُتَفَوِّقُونَ فِي مَدْرَسَةِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ . (الثمن مُدَعَّم)
* عَـرَفْـتُ اللهَ فَأَحْـبَـبْـتُـهُ !! (الثمن مُدَعَّم)
* التَّيْسيرُ مَأْرَبِي ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِي . (الثمن مُدَعَّم)
* الْهِدَايَةُ وَالنَّجَاة ، فِي أَحَادِيث رَسُول الله . (الثمن مُدَعَّم)

الكاتب في سطور :

- من مواليد القاهرة عام ١٩٣٦ . حصل على دبلوم المعلمين الخاص عام ١٩٥٨ ، والدراسات التدريبية التكميلية بكلية المعلمين عام ١٩٦٤ وتخرّج في معهد الإعداد والتوجيه بجامعة الأزهر عام ١٩٦٥ .
- درس البرنامج التدريبي لمعلمي اللغة الإنجليزية بالجامعة الأمريكية عام ١٩٧٤
- شارك في العمل الفدائي ضد الإنجليز في منطقة القنال عام ١٩٥١ ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وشارك في نفس العمل الفدائي عام ١٩٥٣ ، كما شارك في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .
- عمل مدرسًا للغة الإنجليزية في محافظتي الدقهلية والقاهرة منذ عام ١٩٥٨ ، وتدرّج في وظائف التربية والتعليم حتى أصبح مديرًا لإدارة التعليم الخاص بإدارة عابدين التعليمية بالقاهرة .
- شارك في العمل النقابي منذ عام ١٩٦٤ ، وأصبح نقيبًا للمعلمين في إدارة عابدين التعليمية في دورة عام ١٩٩٣ ، وفي دورة عام ١٩٩٧ ، وفي دورة عام ٢٠٠٠ .
- كان أوّل من حصل على لقب " المعلم المثالي " في مصر عام ١٩٦٥، في محافظة الدقهلية .
- حصل على لقب " المعلم المثالي " على مستوى الجمهورية عام ١٩٧٤ .
- نال تكريم وزارة التربية والتعليم باعتباره من روّاد التعليم ، في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ ، كما نال تكريم نقابة المهن التعليمية باعتباره من روّاد العمل النقابي في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و١٩٩٩ و ٢٠٠٠ .
- مارس فن التمثيل والإخراج المسرحي لعدّة سنوات ، وحصل على جائزة التفوّق الممتازة في التمثيل الصامت من جامعة عين شمس عام ١٩٥٨.
- قدّم عدّة عروض مسرحية من تأليفه وإخراجه بمدينة " مرات " بالمملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠وكتب العديد من القصص والمسرحيات والأغاني والأزجال .
- كتب عدّة مقالات في بعض الجرائد والمجلات المصرية ، وفي جريدة " صوت السلام " وجريدة " بلادي " في ولاية نيو جيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية .
- من مؤلفاته : كتاب " نهاية إسرائيل في القرآن الكريم – بين النبوءة والأرقام " وكتاب " دمار أمريكا قادم قادم – في الكتب السماوية " وكتاب " صرخات مكتومة " .

(كُتُب تحت الطبع للمؤلف)

صَـرَخَـاتٌ فِي الْهَـوَاءِ الْمُلَوَّثِ – المتفوّقون في مدرسة محمد بن عبد الله (الثمن مُدَعَّمٌ) – عَـرَفْـتُ اللَّـهَ ، فَـأَحْـبَـبْـتُـهُ (الثمن مُدَعَّمٌ) – التَّيْسِيرُ مَأْرَبِي .. فِي تَفْسِـيرِ الْقُـرْطُبِي . (الثمن مُدَعَّمٌ)

رقم الإيداع : ١٤٠٨٢ / ٢٠٠٢